الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

رقم الإيداع...../.....

الرقم التسلسلي.....

مراسيم الدنوش ورمزيته في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:
رقية قندوز

إشراف الأستاذة الدكتورة:
فاطمة الزهراء قشي

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د.أحمد صاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
أ.د.فاطمة الزهراء قشي	أستاذة التعليم العالي	جامعة منتوري	مشرفة ومقررة
د. عمارة علاوة	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا
د. عائشة غطاس	أستاذة محاضرة	جامعة الجزائر	عضوا

نوقشت يوم: 2006/11/13م.

السنة الجامعية: 1426هـ-1427هـ

2005م-2006م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهـــــــداء

إلى روح أخي الطاهرة أخي الحبيب "صليح"

إلى من وصانا بهما الرحمن برا وإحسانا والدي الحبيبان اللذان كانا مصدر الحب والعطاء فصرفا من عمرهما وصحتهما لتربيتي وتعليمي، وإيصالي إلى ما أنا عليه، فأسأل الله أن يحفظهما ويجازيهما خيرا.

إلى زوجي الذي كان إلى جانبي، فصبر علي وأمدني بالصبر والقوة عند ضعفي وقلة حيلتي.

إلى من احتضناني وتكفلا بمساعدتي والدا زوجي الكريمين اللذين تفهما مواصلتي للدراسة ووفرا لي كل الظروف الملائمة لذلك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمـــــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

دام الحكم العثماني بالجزائر أكثر من ثلاثة قرون، عرفت خلالها الجزائر تنظيمات سياسية وإداريـــة واقتصادية وعسكرية ساهمت في توطيد الحكم التركي بالجزائر، فالتقسيمات الإدارية مثلا وتنظيمات الإدارة المركزية والمحلية وُضِعت بما يتناسب مع طبيعة السكان، وما هو مناسب لتسير شؤون البلاد.

فـــنظرا لمســـاحة الجزائر الواسعة قسمت إلى ثلاث مقاطعات، وهي: بايلك الشرق، بايلك التيطري، بايلك الغرب، ويشرف على كل بايلك حاكم يلقب بـــ"الباي"، أما مدينة الجزائر وضواحيها فعرفت بدار السلطان كمقاطعة رابعة يشرف عليها الباشا أو الداي.

ومـــن أجل التسيير الحسن لهذه المقاطعات، تم تشكيل جهاز إداري على المستوى المركزي والمســـتوى المحلـــي، يقوم عليه مجموعة من الموظفين يديرون شؤون الإيالة، يرأسهم الباشا على مســـتوى دار الســـلطان والـــباي علـــى مستوى البايلك، وكانت هذه التنظيمات مزيجا من الأنظمة العثمانـــية المســـتحدثة، والتقالـــيد المحلية المتوارثة عن فترات الحكم الإسلامي السابقة، لسيما لدى الدولة الموحدية، والتي تبناها فيما بعد الزيانيون والحفصيون والمرينيون [1].

ووُضـــع جانـــب من هذه التنظيمات ليحدد العلاقة بين السلطة المركزية والسلطة المحلية، ونظـــرا لأهمية هذا الموضوع في فهم طبيعة التنظيمات الإدارية والاقتصادية، فقد دفعني ذلك إلى البحـــث فـــي أحد هذه الجوانب، وهو موضوع «**مراسيم الدنوش ورمزيته في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني**».

فعملـــية تقديم الدنوش؛ هي إحدى التقاليد التي حافظت عليها الإدارة العثمانية في الجزائر لفترة طويلة، وتحمل في طياتها أبعادا اقتصادية وسياسية وإدارية.

والدنـــوش هـــو كلمـــة تركية تعني "العودة"، أي عودة بايات المقاطعات الثلاث إلى مدينة الجزائـــر كـــل ثلاث سنوات، لتقديم الأموال والضرائب المفروضة على مقاطعاتهم، كمساهمة مالية وعينـــية (بضائع ومنتجات)، توجه لتدعيم مداخيل الخزينة العامة للإيالة،وانطلاقا من ما يقدمه الباي مـــن عوائـــد وهدايـــا تجدد له الولاية أو يتم عزله، فهذه الزيارة إذا إلى مدينة الجزائر هي بمثابة

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية -دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني- ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص279.

امـــتحان دوري يخضـــع لـــه البايات كل ثلاث سنوات، للمحاسبة وتقديم الضرائب، ولتجديد العهد والولاية والحصول على قفطان التولية بعد إثبات الطاعة والولاء.

وتصـــاحب عملية تقديم الدنوش مجموعة من المراسيم والتشريفات، تبدأ منذ انطلاق الباي مـــن البايلك وحتى وصوله إلى دار السلطان، أين يقدم فروض الطاعة والولاء للباشا ويوزع الهدايا والهـــبات، بعدمـــا كان قد مر بعدة محطات يجمع منها الضرائب المختلفة، ويوزع بالمقابل الهبات والهدايا.

والدنوش نوعان ؛ الدنوش الكبير: وهو ما يقدمه الباي بنفسه كل ثلاث سنوات، والدنوش الصـــغير: وهو ما يقدمه خليفة الباي كل ستة أشهر في فصلي الربيع والخريف.وقد ركزنا في بحثنا هـــذا على الدنوش الكبير، من جهة لأن المراسيم المصاحبة له تظهر خاصة عند ذهاب الباي بنفسه إلـــى مديـــنة الجزائـــر محملا بالعوائد والهدايا، ومن جهة أخرى أن أغلب المصادر قد ركزت في حديثها عن هذا النوع، خاصة ما يتعلق بقيمة العوائد والهدايا التي تحمل إلى الجزائر.

وعـــند دراســـتنا لموضـــوع «مراســـيم الدنـــوش ورمزيته في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني» لم نقم بتحديد الفترة الزمنية لهذه الدراسة، بل شملت كل العهد العثماني في الجزائر، لأننا لا نعرف متى استحدثت الإدارة العثمانية بالجزائر عملية تقديم الدنوش وأصبح البايات يقومون بها، لذلك بقيت الفترة الزمنية مفتوحة.

كمـــا لـــم نتـــناول بالدراسة أحد البيالك الثلاث كنموذج ــ ماعدا عند دراسة مراسيم تقديم الدنـــوش وتوزيـــع الهدايـــا ــ بل تناولنا المقاطعات الثلاث قسنطينة، التيطري والغرب لأن المادة الخـــبرية المتوفرة حول الموضوع بأكمله شحيحة، وإذا ما تناولنا مقاطعة واحدة فقط فلن تفي المادة الخـــبرية لتغطية الموضوع من جميع جوانبه، وإن كنا قد ركزنا على بايلك الشرق بالدرجة الأولى نظرا لشساعته وأهميته، ومن جهة أخرى لتوفر المصادر والمراجع حول هذا البايلك.

وتكمـــن أهمـــية دراســـة موضـــوع الدنوش والمراسيم الخاصة به في جانبها الاقتصادي، باعتـــبارها جمـــع للعوائد والضرائب في كل مقاطعة، وحملها إلى دار السلطان كل ثلاث سنوات، وبالتالـــي نـــتعرف على مكوناته النقدية والعينية، النقدية من حيث الكمية والعملات المتداولة وقتها، والعينية من حيث نوعية المنتجات والبضائع وأسعارها في تلك المرحلة.

كمـــا تظهر أهمية هذه الدراسة في جانبها السياسي والإداري، حيث تبرز لنا العلاقة القائمة بيـــن ســـلطة الباي وأصحاب النفوذ في البايلك، من قياد وشيوخ القبائل عند جمع الضرائب، وأيضا علاقـــة الباي بالباشا ووزراء الديوان في دار السلطان، من خلال الهدايا والهبات التي توزع عليهم، وكيف يتجسد الولاء بين السلطة المحلية والسلطة المركزية من خلال هذه العملية.

ولأن مـــرحلة الحكـــم العثمانـــي في الجزائر مازالت تحتاج إلى دراسة وتعمق خاصة في المواضـــيع التي لا تتعلق بالوضع السياسي، فقد دفعني ذلك إلى اختيار موضوع الدنوش، باعتباره يســـلط الضوء على إحدى جوانب الوضعية الاقتصادية في الجزائر خلال العهد العثماني، من خلال جمع الضرائب ونوعية المنتجات والبضائع الموجودة والأسعار والعملات النقدية المتداولة.

كمـــا أثار اهتمامي موضوع الدنوش وما يتبعه من مراسيم وتشريفات، خاصة بعدما اطلعت على المراسيم التي يسردها أحمد الشريف الزهار، عند وصفه لقدوم باي الغرب إلى مدينة الجزائر لـــتقديم الدنـــوش، فدفعنـــي ذلك إلى البحث في رمزية وأبعاد هذه المراسيم،خاصة وأنه لم تفرد لها دراسة خاصة باستثناء بعض الدراسات التي تناولته بصورة جزئية، وتعرضت لبعض جوانبه فقط، مـــثل رسالة دكتوراه الدولة للأستاذة فاطمة الزهراء قشي «قسنطينة المدينة والمجتمع أواخر القرن 18 إلـــى منتصـــف القرن 19»، عندما تناولت المحلة والدنوش لتوضح طبيعة سلطة الباي وإدارته للبايلك وعلاقته بالسلطة المركزية.

إضـــافة إلـــى بعـــض الدراســـات التي أشارت إلى هذه العملية عند حديثها عن التنظيمات الإدارية وجمع الضرائب،ولهذا رأينا أن الموضوع مازال في حاجة للبحث والدراسة المعمقة.

ويطرح هذا الموضوع جملة من الإشكاليات حاولنا الإجابة عنها من خلال هذا البحث .ففي الـــبداية بحثنا في جذورهذه العملية، ومتى أصبحت تقليدا يمارسه البايات في الإيالة؟ وذلك بالبحث في أول ظهور للتقسيم الإداري لمقاطعات الجزائر الثلاث ومتى عين أول باي في كل مقاطعة؟وهل تزامن استحداث عملية الدنوش مع تعيين أول البايات؟

عدنا أيضا إلى العهود السابقة للفترة العثمانية، إلى عصر الموحدين والحفصيين والزيانيين، لنعرف ما إذا كان قد عرف ولاتهم تقديم الدنوش والمراسيم الخاصة به، أم أن الإدارة العثمانية هي التي استحدثتها بالجزائر؟ وإذا كان الأمر كذلك هل يوجد ما يماثله في الإيالات العثمانية الأخرى؟

وباعتـــبار الدنـــوش هو تقديم للضرائب، التي يقوم البايات بجمعها من مقاطعاتهم، وتقديمها للخزيـــنة العامة بدار السلطان، فإننا قمنا بالبحث في مكوناته النقدية والعينية، وهل هناك إجماع بين المصـــادر حـــول مـــا يقدمـــه البايات من عوائد وهدايا، أم أنها تختلف فيما بينها من حيث الكمية والنوعية؟ وهل تظهر لنا هذه المكونات حالة الشدة والرخاء في البايلك أم لا؟

وانطلاقـــا مـــن عملية جمع الضرائب، كيف هي العلاقة بين البايلك والقبائل المتواجدة في مقاطعته وخاصة منها الواقعة على الطرق السلطانية؟وهل المحلة دائما كما تصورها لنا المراجع في صـــورة الجابي الظالم صاحب النفوذ والسطوة، أم أن هذا الوضع يتغير بتغير ميزان القوة المتواجد في منطقة ما، وتكون القبائل هي صاحبة النفوذ الحقيقي على المنطقة والسكان؟

وفـــي آخـــر البحـــث تحدثـــنا عن وصول الباي إلى مدينة الجزائر، والشروع في مراسيم وتشـــريفات الاســـتقبال والإقامة، وتوزيع الهبات والهدايا على الداي ووزرائه وخدامه، وحاولنا أن نبحـــث في هذه المراسيم والتشريفات ورمزيتها، ولماذا كل تلك المراسيم والطقوس والكم الهائل من الهدايـــا؟ أيجـــب عليه أن يقدم لكل أولئك الموظفين والخدم!؟وكيف يتم توزيع هذه الهدايا والهبات؟ وماهي نسبة الأموال التي تدخل خزينة الإيالة؟

ونجـــد أن الباي يحصل مقابل تقديمه لعوائد البايلك على قفطان التعيين وتجديد الولاية، فهل فعـــلا إعـــادة تعيينه أو عزله تخضع لقيمة الدنوش ورضا الداي على هذا التقديم؟وهل الدنوش فعلا ســـبب مهم في ترسيخ الولاء بين سلطة البايلك والسلطة المركزية؟ وأخيرا هل جعل الدنوش تقليدا فـــي الإدارة العثمانية بالجزائر، هو ضمان لعدم استقلال المقاطعات الثلاث عن دار السلطان وتبعية البايات لها بالمحاسبة الدورية؟

أمـــا المـــنهج الـــذي اعتمدته في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التاريخي، بهدف عرض الحقـــائق التاريخية، وتتبع بعض الأحداث والظواهر كعملية جمع الضرائب، وخط سير البايات إلى مديـــنة الجزائـــر، وأيضـــا تتـــبع المراسيم التي تقوم عليها هذه العملية، منذ بداية التحضير لجمع الضـــرائب وصـــولا إلـــى دار السلطان، وتوزيع الهدايا على الباشا ووزراء الديوان، ثم العودة إلى بايلكه من جديد محملا بقفطان التولية.

أمـــا المنهج التحليلي التاريخي، فاعتمدته عند مناقشة بعض القضايا ومحاولة الخروج منها باستنتاجات منطقية، كتحليل مكونات الدنوش العينية والنقدية، والمقارنة بين ما أوردته المصادر في

هــذا الــباب، ومعرفة وضعية البايلك الاقتصادية وما يعرفه من حالة الشدة أو الرخاء، إضافة إلى دراسة رمزية مراسيم الدنوش، وذلك لمحاولة فهم هذه المراسيم وما ترمي إليه.

أمــا أهــم المصــادر والمراجع والوثائق والمقالات والأطروحات التي اعتمدتها في دراسة موضوع الدنوش، فنذكر منها:

1-الوثائق غير المنشورة:

استعنت بمجموعة من الوثائق بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، وهي عــبارة عــن مراســلات بين بايات الأقاليم، وبين باشاوات الجزائر ووكيل الباستيون بالقالة، خلال النصــف الثانــي من القرن 18 وبداية القرن 19، قام بتنظيمها الأستاذ خليفة حماش. في: "كشاف الوثــائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، وتتحدث فيها عن إرسال الدنوش إلى مدينة الجزائر مــع ذكــر بعض مكوناته والاحتفالات والمراسيم التي حظي بها، كما تناولت أسعار بعض البضائع المنتجات، وهذه الرسائل هي:

-الرســالة رقم 34 من المجموع 1641: رسالة من أحمد باي إلى وكيل الباستيون، مؤرخة في 13 ماي 1765م، تتحدث عن توجه الباي إلى الجزائر لأداء الدنوش، والاستقبال الذي حظي به هناك من جانب الباشا.

-الرسالة رقم 63 من المجموعة 1641: رسالة من مصطفى خليفة صالح باي قسنطينة إلى وكيل الباستيون مؤرخة في 1778، تتحدث عن توجه الخليفة إلى الجزائر لأداء الدنوش، والاستقبال الذي حظي به هناك من جانب الباشا.

-الرســالة رقــم 68 مــن المجموعة 1641: رسالة من صالح باي إلى وكيل الباستيون، مؤرخــة فــي أوائــل ذي الحجة 1192، تتحدث عن تمويل الباستيون بالقمح والشعير وتحديد سعر القفيز الواحد من المادتين المذكورتين.

-الرســالة رقم 12 المجموعة 3205، الملف الثالث: رسالة من الحاج أحمد باي إلى حسين باشــا، مؤرخة في 13 ربيع الثاني 1243هـــ أهم ما تناولته الأوضاع في قسنطينة، استعداد أحمد باي للتوجه إلى الجزائر لحمل الدنوش، أحمد باي يريد التوجه إلى وادي سوف.

-الرســـالة رقم 13 المجموعة 3205 الملف الثالث: رسالة من الحاج أحمد باي إلى حسين باشـــا مؤرخـــة في أول ذي الحجة 1244هـــ، أهم ما ذكرته أن حسين باشا يطلب من أحمد باي أن يرسل خليفته إلى الجزائر لأداء الدنوش.

-الرســـالة رقم 7 المجموعة 3206 الملف الأول: رسالة من حسن باي الغرب إلى إبراهيم وكيل الحرج، مؤرخة في أواخر شعبان 1241هـــ، تحدثت عن إرسال كمية من السمن إلى الجزائر تكملة لدنوش الخليفة الذي أُدي في فصل الخريف.

2-المصادر والمراجع المنشورة:

أهم مصدر اعتمدت عليه في جميع فصول البحث هو **"مذكرات أحمد الشريف الزهار"**، هذه المذكـــرات كتـــبها الـــزهار(1196-1289هـــ/1780-1872م)، وهو نقيب أشراف الجزائر وأحد أعـــيانها ووجهائها، ونظرا لصلته بموظفي البايلك ووزراء الديوان، تولى نقابة الأشراف بعد والده فـــي الخمســـين مـــن عمره، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر انتقل بين الجزائر وتونس والمغرب، وعمل كاتبا لدى الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر وعندما استقر في الجزائر قام بكتابة مذكراته.

وهـــي تعتبر مصدرا مهما للفترة المتأخرة من العهد العثماني في الجزائر،حيث قسمت إلى أحد عشـــرة فصلا، كل فصل يؤرخ لأحد دايات الجزائر ابتداء من علي بوصبع باشا (1168-1171هـــ / 1754-1766) وصـــولا إلـــى حســـين باشـــا (1233-1246هـــ/1818-1830م)، آخر دايات الجزائـــر، مـــع تكـــر أهـــم الأحداث التي وقعت في عهدهم، ومما زاد في قيمة هذه المذكرات أن صاحبها تناول الأحداث بأسلوب بسيط وسهل.

وتكمـــن أهمـــية هذه المذكرات بالنسبة لموضوع الدنوش، في أن الزهار قد كتب عن هذه العملية بتفصيل كبير، حيث سرد كل تفاصيل سفر باي الغرب محمد الكبير إلى مدينة الجزائر لتقديم العوائد المفروضة عليه، فبدأ منذ خروجه من بايلكه وصولا إلى ضواحي مدينة الجزائر، ثم طريقة دخولـــه إليها وتوزيع الهدايا على الداي ووزراء الديوان، واستلامه لقفطان التولية وعودته من جديد إلى بايلكه، وكل هذه التفاصيل لا نجدها بهذا الشكل إلا عند الزهار، لذلك يعتبر مصدرا أساسيا في دراسة عملية تقديم الدنوش، وإن كان ما كتبه يعتمد على السرد التاريخي دون تحليل للأحداث.

وإلى جانب مذكرات الزهار نذكر:

-"**دلـــيل الحـــيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**"، الذي كتبه محمد بن يوسف الزياني، وهو مصدر مهم بالنسبة لتاريخ الناحية الغربية بالجزائر، والكتاب يتألف من قسمين: الأول يضـــم أربعـــة فصـــول تـــتحدث عن تأسيس مدينة وهران والتعريف بها، وذكر علمائها وأوليائها، وحكامها منذ تأسيسها،أما القسم الثاني فيتناول حكم بني زيان، والوجود الإسباني بوهران، ثم الفترة العثمانية بها، أين ذكر أخبار بايات المقاطعة الغربية،وعند حديثه عن هؤلاء البايات، تناول مراسيم تقديم الدنوش والعوائد التي يقدمها الباي ، وإن كان ما قدمه لا يصل في تفاصيله لما قدمه الزهار، حيث جاء مختصرا.

وهناك مصدر أخر مهم يتمثل في" **المرآة**" الذي كتبه حمدان بن عثمان خوجه، أحد الأعيان **والمثقفيـــن بالجزائـــر**، ومعرفـــته لعلوم الشريعة والتاريخ والقوانين الدولية واطلاعه على الثقافات **الأوروبـــية، وإتقانه** للغة العربية والتركية والفرنسية والإنجليزية زاد من قيمة الكتاب التاريخية، فقد **احـــتوى هـــذا المؤلَّف** على 13 فصلا، تناولت موضوعات جغرافية واجتماعية وتاريخية وسياسية **وقانونـــية، وأهـــم فصـــل** بالنسبة لهذه الدراسة هو الفصل الثامن، الذي تناول أصول الحكم التركي **وتنظيماته مع ذكر أسباب** مجيء العثمانيين للجزائر، وطبيعة حكمهم لها، ومع أن حمدان خوجه لم يذكر الدنوش ومراسيم حمله إلى الجزائر –وهو أمرا نستغربه نظرا لأنه يتناول التنظيمات الإدارية وأهمل هذه النقطة– إلا أننا استفدنا منه فيما قدمه عن باقي التنظيمات وجمع الضرائب.

إضافة إلى هذه المصادر التي كتبها جزائريون، هناك مصادر أخرى كتبها أسرى وقناصل أوروبـــيون، تقلـــدوا مناصـــب مهمـــة في الإيالة وتعرفوا على بعض النظم الإدارية والاقتصادية، **وجوانـــب مـــن الحياة** الاجتماعية والسياسية، وكتبوها على شكل مذكرات، ومن بين هذه المصادر نذكر:

-مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م.

-مذكرات تيدنا خزندار باي معسكر.

-مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب.

ذكـــرت هـــذه المصـــادر الثلاثة معلومات قيمة حول التنظيمات الإدارية، وموظفي الإدارة التركـــية ســـواء على مستوى البايلك أوعلى مستوى السلطة المركزية، وتحدثت عن المحلة وعملية جمع الضرائب، كما ذكرت لنا مكونات الدنوش و بعض مراسيم هذه العملية.

وإلـــى جانـــب هذه المصادر نذكر أيضا "**Alger au 18eme siècle**" الذي كتبه الفرنسي Venture De Paradis الـــذي عمـــل فـــي سفارة فرنسا بأسطنبول، وفي قنصلياتها الموجودة في مخـــتلف الإيـــالات العثمانية، مثل تونس بين سنتي (1780-1786م) والجزائر بين سنتي (1788-1790م)، واســـتطاع خـــلال هـــذه الفترات أن يكتب تقارير عديدة تضمنت معلومات حول الحياة السياســـية والاجتماعية في إيالة الجزائر وتونس. ويعتبر ما كتبه على أهمية كبيرة، نظرا للتفاصيل *التاريخـــية التـــي أوردها بخصوص سير الإدارة الجزائرية بمختلف أجهزتها، وكذلك مظاهر الحياة* الاجتماعية والاقتصادية في الإيالة.

ولأن هـــذا الموضوع اشتمل على جانب اقتصادي، تمثل في دراسة مكونات الدنوش النقدية والعينية، فقد استعنت بما كتبه ناصر الدين سعيدوني من دراسات مثل:

1- النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني.

2- ورقات جزائرية -دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني-.

كمـــا اســـتعنت بهـــا فيما يتعلق بالتنظيمات الإدارية، وموظفي الإدارة المحلية والمركزية، إضـــافة إلى عملية جمع الضرائب، وتفاصيل الطريق السلطاني الذي يسير عليه البايات وصولا إلى مدينة الجزائر عند تقديم عوائد الدنوش.

وتعتبر رسالة دكتوراه الدولة لفاطمة الزهراء قشي: **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول مـــن القرن 13هـــ-أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م**، أهم مرجع استندت إليه في تحلـــيل رمزية مراسيم الدنوش وتوزيع الهبات والهدايا، ودور المحلة في جمع الضرائب، والكشف عن طبيعة العلاقة بين البايلك والمتنفذين داخله، من شيوخ و قياد وبين البايلك والسلطة المركزية.

فقـــد تحدثـــت عـــن موضوع الدنوش ورمزيته، عند حديثها عن المحلة والدنوش، لتوضح طبيعة سلطة الباي وإدارته للبايلك، وعلاقته بالسلطة المركزية، وذلك في الفصل الأول من الرسالة الذي عنونته بـــ "قسنطينة تحت الحكم التركي".

كما استفدت مما كتبهEugene Vayssette تحت عنوان: **Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à1837** ، وهـــو الذي عمل في الجزائر ابتداء من 1847 معلمـــا ثم مديرا لأحد المدارس، كما كان مهتما بالكتابة والترجمة، وفي كتابه هذا نقل كثيرا عن صالح العنتري من خلال كتابه" فريدة مؤنسة" وكتاب "مجاعات قسنطينة".

واستعنت أيضا برسالة الماجستير لخليفة حماش: "**العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي مـــن سنة1798 إلى 1830**"، فيما يتعلق بالتنظيمات الإدارية، والمقارنة بين علاقة السلطة المحلية بالســـلطة المركـــزية فـــي الجزائر، والسلطة الحاكمة في الجزائر بالسلطة المركزية في إسطنبول. إضـــافة إلـــى رسالة الماجستير لجميلة معاشي: "**الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري مـــن القـــرن 16 إلى القرن 19**"، التي استعنت بها في دراسة التنظيمات الإدارية، وتوضيح العلاقة بين الباي والقبائل المتواجدة على طول الطريق السلطاني الرابط بين قسنطينة ومدينة الجزائر.

وفـــي دراستي لهذا الموضوع، اعتمدت خطة بحث حاولت من خلالها الإلمام بجميع جوانبه والإجابة عن الإشكالات المطروحة، ومن أجل ذلك قسمت هذا البحث إلى أربعة فصول وخاتمة.

أمـــا الفصل الأول، فيتحدث عن "**التنظيم الإداري للجزائر خلال العهد العثماني**"، ووضعنا هـــذا الفصل لأننا حاولنا من خلال حديثنا عن تأسيس إيالة الجزائر والبايلكات الثلاث، أن نبحث عن الفترة التي ظهرت فيها هذه التقسيمات الإدارية، وكيف كانت تُسيّر تلك المقاطعات قبل تعيين البايات علـــيها؟ وذلـــك لمعرفة متى ظهر منصب الباي وتم تعيينه في هذه المقاطعات، وذلك لنتوصل إلى معرفة أصل الدنوش، ومتى تم استحداثه كعملية إدارية يقوم به البايات كل ثلاث سنوات؟

كمـــا تناولنا الإدارة المركزية والمحلية، لنتعرف على موظفي هذه الإدارة، لأننا سنتناولهم بالحديـــث أثـــناء جمعهـــم للضرائب، وأيضا عند مراسيم الدنوش وتوزيع الباي للهدايا على وزراء الديـــوان بـــدار السلطان، والتعريف بهم في الفصل الأول ضروري، ليسهل علينا الحديث عنهم فيما بعـــد دون العودة لشرح وظائفهم، ومنه فإن ما جاء في الفصل الأول أمر مهم كتمهيد لما سيأتي في بقية الفصول.

أما الفصل الثاني، فجاء بعنوان "**الدنوش ومكوناته**"، قمنا فيه أولا بتعريف الدنوش والبحث فـــي أصـــل ممارسته، كما حاولنا أن نعرف ما إذا كانت ممارسته تعود إلى عصر فترة الموحديين والحفصـــيين والزيانيـــن، أم أن الإدارة العثمانية هي التي استحدثت هذه العملية؟، وهل تفردت به الجزائر أم أننا نجد ما يماثله في الإيالات العثمانية الأخرى؟

كمـــا قمـــنا أيضـــا بدراســـة مكونات الدنوش النقدية والعينية، وجعلنا كل واحدة في جدول للمقارنـــة بين ما أوردته المصادر والمراجع، واستخلاص نوعية المنتجات والبضائع المتداولة وقتها

وكميتها وأسعارها وأنواع العملات، وبالتالي معرفة وضعية البايلك الاقتصادية من حيث حالة الشدة والرخاء، ومقارنة المقاطعات الثلاث ببعضها البعض من حيث الوضعية الاقتصادية.

وفـــي الفصـــل الثالث، تناولت **الطريق السلطاني** أو خط سير البايات الثلاث، بداية من مقر بـــايلكهم وصولا إلى مدينة الجزائر. وأما المبحث الثاني لهذا الفصل، فتناولت **جمع الضرائب ومحلة الدنـــوش**، كمحاولـــة لإبراز علاقة إدارة البايلك بالقبائل المتواجدة في مقاطعته، خاصة منها الواقعة علـــى خـــط الطرق السلطانية، وهل المحلة كما تصورها المراجع في صورة الجابي الظالم صاحب الـــنفوذ والسطوة، أم أن هذا الوضع يتغير بتغير ميزان القوة المتواجد في منطقة ما، وتكون القبائل هي صاحبة النفوذ الحقيقي على المنطقة والسكان؟.

أمـــا الفصل الرابع والأخير، فجاء بعنوان "**مراسيم ورمزية تقديم الدنوش وتوزيع الهدايا**"، وهـــو يعتبر أهم فصل في هذه الدراسة، تناولت فيه المراسيم والتشريفات التي تصاحب زيارة الباي إلـــى مديـــنة الجزائر، وتتقسم هذه المراسيم إلى مراحل: فهناك مرحلة خروجه من بايلكه ووصوله ضـــواحي مديـــنة الجزائـــر، ثم دخوله المدينة والإقامة بها ثمانية أيام، وأخيرا عودته من جديد إلى مقاطعـــته، وخـــلال كـــل هـــذه المراحل تصاحبه مراسيم وتشريفات حاولت تحليلها وفهم رمزيتها وأبعادهـــا، وتدخـــل في هذه المراسيم توزيع الهدايا والهبات بدءا من الباشا ووزراء الديوان وصولا إلى الزرناجية والطبالين والخدم والعبيد، وكل شخص يأخذ الهدية التي تتناسب ومركزه.

وفـــي آخر مبحث لهذا الفصل، تناولت قفطان التعيين كرمز لتجديد الولاية للباي، الذي يأتي بعـــد إثـــباته الـــولاء للسلطة المركزية، بتقديمه أفضل العوائد والهدايا والسعي لإرضاء الباشا، الذي يكون له الحق في إعادة تجديد الولاية له، أو تنحيته عن منصبه وتولية باي جديد مكانه، ومنه حاولنا أن نعـــرف مـــا إذا كان الدنوش سببا رئيسيا في ترسيخ الولاء بين سلطة البايلك والسلطة المركزية بـــدار الســـلطان؟ وهـــل جعل الدنوش تقليدا في الإدارة العثمانية بالجزائر هو ضمان لعدم استقلال المقاطعـــات وبقائها تابعة للجزائر، وذلك بالمحاسبة المستمرة؟ وهل فعلا إعادة تعيين الباي أو عزله يخضع لقيمة الدنوش ورضا الباشا عليه؟

أمـــا الخاتمة، فكانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات التي استخلصتها من هذه الدراسة ككل.

وككـــل بحـــث علمي يجد صاحبه صعوبات وعراقيل تقف عائقا أمام إنجازه له، واجهتني بعـــض الصـــعاب أهمهـــا قلة المصادر والمراجع وتشتتها، وهذا نتيجة لطبيعة الموضوع، حيث أنه

يعتـــبر جزئـــية صـــغيرة جـــدا، تدخل ضمن التنظيمات الاقتصادية والإدارية للجزائر خلال العهد العثماني، لذلك كانت المصادر والمراجع شحيحة.

كمـــا أن المراجع والمصادر التي تناولت الدنوش ومراسيمه، تحدثت عنه في سياق الحديث عـــن مواضيع أخرى مرتبطة به، وهو ما صعّب عليّ جمع مادة علمية وافرة تخدم الموضوع بشكل أكـــبر، إضـــافة إلى أنه لم تتوفر لديّ مراجع تساعدني في فهم وتحليل رمزية المراسيم والتشريفات بشكل أفضل.

كما أن ثقل الأعباء الاجتماعية كانت حائلا أمام التفرغ للبحث والدراسة وإعطائها حقها من الوقـــت والجهـــد، وتبقى الاستعانة بالأرشيفات والمصادر الموجودة خارج الجزائر كتونس وفرنسا وتركيا، والاستفادة منها أمرا يتطلب إمكانيات مادية كبيرة يصعب تأمينها.

وأخـــيرا، أحمـــد الله العلي القدير على أن أعانني ويسّر لي إنجاز هذا البحث رغم ما لاقيته من صعوبات، وأسأله -تعالى- أن يكون خالصا لوجهه وعلما نافعا ينتفع به.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

التنظيم الإداري للجزائر خلال العهد العثماني

أولا: تأسيس إيالة الجزائر وظهور البايلكات الثلاثة

1-دار السلطان

2-بايلك التيطري

3-بايلك الغرب

4-بايلك الشرق

ثانيا: الإدارة المركزية والمحلية

1-الإدارة المركزية

2-الإدارة المحلية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كـــان من الضروري أن نفرد فصلا لدراسة التنظيم الإداري للجزائر خلال العهد العثماني، لأن لـــه علاقـــة كبـــيرة بالوضعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومعرفة التنظيمات الإدارية سيساعدنا على فهم العديد من الظواهر والحوادث المتعلقة بهذه الجوانب، ومن خلال دراسة التنظيم الإداري للجزائـــر نتوصـــل إلى تاريخ ظهور مقاطعات الجزائر الثلاث: الشرق والغرب والوسط، وبالتالـــي متى تم تعيين أول البايات على هذه المقاطعات، لنصل إلى الفترة التي أصبح فيها الدنوش تقلـــيدا يمارســـه البايات، كما أن معرفة موظفي الإدارة العثمانية في الجزائر، يعيننا على فهم تلك المراســـيم والتشـــريفات، المصـــاحبة لعملية تقديم الدنوش والتي يقوم بها الباي وموظفو البايلك كل ثلاث سنوات.

أولا: تأسيس إيالة الجزائر وظهور البايلكات الثلاثة

عـــرف المغرب الأوسط في بداية القرن السادس عشر ضعفا كبيرا، كان له تأثير سيئ على أوضـــاعه، حيث قسم إلى إمارات صغيرة مفككة ومتناحرة، أمثال: إمارة جبل كوكو ببلاد القبائل، والإمـــارة الحفصـــية بقسنطينة، وإمارة الذواودة بالحضنة والزاب وإمارة بني جلاب بتقرت ووادي ريغ وإمارة بني يزناسن وفقيق بالحدود الغربية، وإمارة الثعالبة بالجزائر بني مزغنة ومتيجة[1].

وقـــد دفـــع هذا الوضع الاسبان إلى غزو موانئ الجزائر ومدنها الساحلية والسيطرة عليها، بهـــدف اســـتعمار دويلات المغرب ككل، وكانت البداية بالمرسى الكبير (بالقرب من وهران) سنة (911هـــ/1505م)[2]، ثم مدينة وهران سنة (915هـــ/1509م)، وتوسعوا نحو الشرق فاحتلوا بجاية سنة (915هـــ/1510م) [3].

ونتـــيجة لهذه التوسعات التي قام بها الإسبان، شعر سكان مدينة الجزائر بالخطر من الهجوم علـــى مدينتهم، خاصة وأن الخطر يحيط بهم من الشرق والغرب، فأرسل وفد جزائري إلى إسبانيا سنة (1511م/916هـــ)، وتنازل للإسبان عن الجزر الساحلية المواجهة للمدينة، فأسسوا في إحداها

---

(1)-يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1999. ص252.

(2)-عزيز سامح آلتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 1989. ص17.

(3)-أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت. ص120،110.

حصنا كبيرا أصبح شوكة في حلق هذه المدينة يهدد أمنها وسلامتها[1].

ووسط هذه الأحداث التي عانت فيها المدن الساحلية الجزائرية من الاستعمار الإسباني، وصل إليهم اخبار مجموعة من البحارة المقيمين بميناء حلق الوادي بتونس، وبطولاتهم في مساعدة مهاجري الأندلس والوقوف ضد السفن الإسبانية وعلى رأس هؤلاء البحارة الأخوان "أروج" و"خير الدين" باربروس[2].

وأول دعوة وجهت للأخوين للقدوم إلى المغرب الأوسط تمت على أيدي سكان بجاية، وذلك في (1512م/ 918هـ)، فاستطاع أروج التحرش بالإسبان هناك، وعاد راجعا إلى حلق الوادي بعد إصابته[3]. وأدرك بعد هذا الإخفاق ضرورة إيجاد مركزاً لهم بالقرب من بجاية، بدل حلق الوادي يساعدهم على التفوق على الإسبان، فوقع اختيارهم على مدينة جيجل التي كانت تحت حكم الجنويين، ثم خضعت لسيطرة أوندري دوريا سنة (1513)، فانتزعوها سنة (1514م/920هـ)، وأصبحت مركزا لهم[4]، ومنها حاولوا انتزاع بجاية من الحامية الإسبانية أولا في (سبتمبر 1514م شعبان 920هـ)، ثم في(1515م/921هـ)، لكن محاولتهم باءت بالفشل واضطروا إلى طلب الامدادات من السلطان الحفصي، إلا أن هذا الأخير تخلى عنهم خوفا من ازدياد نفوذهم والاستيلاء على تونس، فلم يتحقق لهم النصر فعادوا ليتمركزوا في جيجل[5].

وفي أوائل سنة (1516م/922هـ) استنجد سكان مدينة الجزائر بأروج وأخيه خير الدين، لطرد الاسبان من قلعة بينون المبنية على إحدى الجزر المقابلة لمدينة الجزائر، نتيجة تهديدهم للمسلمين ونهب أموالهم فأرسلوا إليهما رسالة يلتمسون فيها مساعدتهما، وكتبوا لهما عهدا بالسماح لهما بالعيش والإقامة بمدينة الجزائر، فقام أروج بتلبية طلبهم، وفي طريقه مر بشرشال، فطرد الإسبان منها وترك حامية عسكرية بها، ثم عاد إلى مدينة الجزائر وشرع في قصف حصن البينون

---

(1)-يحي بوعزيز: مرجع سابق. ص253-254

(2)-Grammont, (Henri DE) : **Histoire d'Alger sous la domination turque (1516-1830)**, Paris, Ernest le roux, 1887, P19-21.

(3)-خليفة حماش: **العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1988. ص24.

(4)-يحي بوعزيز: المرجع السابق .ص256.

(5)-عزيز سامح ألتر: مرجع سابق. ص47-49.

لعدة أيام، لكن المدفعية كانت ضعيفة ففشل في دك الحصن[1]

ونتساءل هنا، لماذا استقر أروج في مدينة الجزائر بعد أن كان قد اختار جيجل مركزا له، فعرفه أهلها وأصبحوا مؤيدين له، وبالتالي وجد من الدعم ما يسمح له بالاستمرار في أعماله البحرية ضد الاسبان، في حين أن الجزائر تبقى مجهولة له رغم أن سكانها هم الذين دعوه للإقامة بها؟

لقد كان لأروج وخير الدين أسبابا كثيرة دفعتهما للانتقال من جيجل إلى الجزائر، منها دعوة السكان لهما للإقامة بها، لأن دخولهم إليها بدعوة من سكانها وبتأييد منهم يختلف عن دخولهما إليها عنوة، كما أن أروج وجد بعد مواجهاته مع الإسبان، أن أي مجهود عملي في سبيل تأسيس قوة تقف أمامهم لا بد أن تكون بدايتها من مدينة الجزائر، التي تتمتع موقع جغرافي هام، حيث تتوسط ساحل المغرب الأوسط، وتشرف على عمقه من ناحية الجنوب وعمق البحر المتوسط من ناحية الشمال، وكخطة تنفيذية أولى احدث أروج انقلابا جذريا في نظام المدينة السياسي، عندما اغتال حاكمها سالم التومي، وأعلن نفسه أميرا مكانه، ثم قام بتنظيم شؤونها[2]

وفي سنة (1517م/923هـ) توجه أروج نحو جنوب مدينة الجزائر فاستولى على المدية وملیانة والبليدة ثم تنس، حيث طرد منها أميرها الزياني مولاي عبد الله الذي كان مواليا للاسبان، وبذلك توسع نفوذ أروج وأخيه[3]، فرأى أروج أن يقسم المملكة الجديدة -إداريا- إلى مقاطعتين: مقاطعة شرقية يشرف عليها خير الدين، ومقرها الإداري مدينة دلس، ومقاطعة غربية يشرف عليها أروج نفسه، ومقرها الإداري مدينة الجزائر[4].

وبعد هذا التنظيم الذي أحدثه أروج في مملكته الجديدة، توجه إلى تلمسان بطلب من أهلها، لمساعدتهم على التخلص من السلطان الزياني أبي حمو الثالث، الذي استولى على الحكم من أخيه أبي زيان بمساعدة الإسبان، فاستطاع أروج السيطرة على المدينة، وعين نفسه أميرا عليها، لكن الاسبان حاولوا استرجاع المدينة، وانتهى ذلك بمطاردة أروج حتى استشهد في أوت

---

[1]-سامح آلتر: مرجع سابق .ص 50-52.

[2]-خليفة حماش: مرجع سابق .ص27.

[3]-سامح آلتر: المرجع السابق .ص 57-58.

[4]-أحمد توفيق المدني: مرجع سابق .ص186.

1518م/924هـ [1].

وأمام فقدان خير الدين لأخيه كعضد ومعيل له، وبعد تجربته في حربه مع الاسبان وإدراكه لمدى قوة نفوذهم وسيطرتهم، وجد نفسه ملزما بالبحث عن قوة تعينه على تثبيت نفوذه في الجزائر، خاصة وأنه تعوزه الذخيرة الحربية والإطار العسكري الكفء، ولم تكن هذه القوة إلا الدولة العثمانية، خاصة بعد الصيت الذي أصبحت تتمتع به بعد فتوحات بلاد الشام ومصر، وحصول السلطان العثماني على مفاتيح الأماكن المقدسة بصفته حامي الحريمن الشريفين[2]. ففكر في الاستعانة بها لأنها الدولة الوحيدة القادرة على مساعدته، ولم يكن سكان الجزائر ليرفضوا الفكرة مع إدراكهم لمكانة وبطولات الدولة العثمانية بالمشرق.

وجاءت موافقة السكان على الاستعانة بالدولة العثمانية بعد أن تم اقتراح إرسال رسالة للسلطان العثماني سليم الأول، يعلنون فيها طاعتهم وقبول تبعيتهم لدولته، وحمل هذه الرسالة وفد من أعيان مدينة الجزائر برئاسة الفقيه أبو العباس أحمد بن القاضي، وذلك في أوائل ذي القعدة 920هـ/ أوائل نوفمبر 1519م[3].

وعاد الوفد إلى الجزائر سنة (1520هـ/926هـ) حاملا معه موافقة السلطان العثماني قبول طاعة أهل الجزائر له، والإذن لهم في إلقاء الخطبة وصرف السكة له، كما أرسل رفقتهم سنجقا إلى خير الدين كدليل على أن الجزائر أصبحت ضمن أقاليم دولته وأهلها صاروا من رعاياه[4].

وبذلك دخلت الجزائر تحت نفوذ الدولة العثمانية، وأصبحت ضمن ولايتها، ويختلف المؤرخون في طبيعة الوجود العثماني في الجزائر، لكن الشيء الذي لا يختفون فيه أن طلب خير الدين المساعدة من الدولة العثمانية كان عاملا مهما في طرد الإسبان من المدن الساحلية، والعمل على توحيد البلاد تحت قيادة واحدة، بعد التفكك والانقسام الذي كانت تشهده قبل مجيء العثمانيين، فقد وصلت حدود الجزائر في نهاية العهد العثماني حسب وليام شارل، إلى نهر ملوية من الغرب وطبرقة من الشرق، والبحر المتوسط من الشمال، أما الحدود الصحراوية فهي لا تتجه في خط

---

[1]-DE Grammaont : Op-Cit, P24-26.

[2]-خليفة حماش: مرجع سابق. ص29.

[3]-عبد الجليل التميمي: "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول، سنة 1519"، المجلة التاريخية المغربية، ع6، 1976، تونس . ص116-120.

[4]-خليفة حماش: المرجع السابق. ص30.

مستقيم، وأراضيها يحيط بها الغموض، كما قدر مساحتها بثمانين ألف ميل مربع[1].

استمر الوجود العثماني بالجزائر أكثر من ثلاثة قرون، اختلف المؤرخون في مراحل الحكم العثماني بها، والكثيرون قسموها إلى أربعة مراحل هي[2]:

1. مرحلة البيلربايات 1519-1588م.
2. مرحلة الباشاوات 1588-1659م.
3. مرحلة الآغاوات 1659-1671م.
4. مرحلة الدايات 1671-1830م.

لكـــن هناك من الباحثين من خالف هذا التقسيم لاعتبارات عديدة، أمثال أبو القاسم سعد الله، الذي يرى أنه لم يحدث خلال المراحل المذكورة ما غير من سمة الحكم نحو الجزائريين[3]. كما أن خلـــيفة حمـــاش يـــرى أن تلك التسميات: البيلربايات، الباشاوات، الآغاوات، والدايات، ليست سوى ألقاب إدارية وليست أنظمة أو مراحل سياسية، ولذلك اعتمد تقسيم آخر استند فيه إلى منصب حاكم الجزائر، ومن هي الجهة التي تقوم بتعيينه[4].

ولـــم يحـــدث إجماع بين الباحثين حول مراحل الحكم العثماني بالجزائر، لأن كل واحد يقدم تقسيما حسب وجهة نظره، فمنهم من يستند إلى اللقب الذي يطلق على الحاكم، ومنهم من يركز على منصـــب الحـــاكم وعلاقـــته بالدولة العثمانية، وآخرون اعتبروا أن علاقة الحاكم بالجزائريين هي الأساس في التقسيم، ويبقى لكل وجهة نظره.

تميزت الخمسون سنة الأولى من تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني بمحاولة تحرير المدن الســـاحلية من الإسبان، وتأمين الحدود الشرقية والغربية، والقضاء على المتمردين في الداخل، وذلك مـــن أجل توحيد البلاد تحت سلطة واحدة هي السلطة التركية، وقد عمل الحكام الأوائل على ذلك،

---

(1)-وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتعليق اسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982. ص27-28.

(2)-انظر: ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985. ص 23-24. وأيضا عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائرية، 1994. ص16.

(3)-انظر: أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج1، ط1، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998. ص138-139، الهامش 2.

(4)-لمزيد من المعلومات انظر: خليفة حماش: مرجع سابق. ص31-33.

وأهمهم: خير الدين باربروس وحسن بن خير الدين وصالح رايس. فخير الدين تصدى للتمرد الذي قـــاده أحمد بن القاضي في بلاد القبائل، والهجومات الإسبانية على السواحل الجزائرية[1]. أما صالح رايـــس (959-963هـــ/1552-1556م)، فاهتم بإقرار النظام وتنظيم الإدارة المركزية، فبنى مقر الحكـــم بقصـــور الجنينة ووسع نفوذ السلطة المركزية، بمدينة الجزائر إلى أقاليم الجنوب، وتصدى لمحاصـــرة وتصـــفية الوجود الإسباني ومراكزه بالسواحل الجزائرية، كما عمل على وقف تدخلات الدولة السعدية بإقليم تلمسان[2].

أما حسن بن خير الدين فقد ولى على الجزائر ثلاث مرات امتدت من 1544م/951هـــ إلى ســـنة 1567م/974هـــ. وكانت أعماله أيضا تدخل في نطاق توحيد البلاد وإخضاع جميع المناطق للسلطة التركية، كما عمل على تنظيم الجيش وإقامة النظام الإداري، الذي أسسه أروج وتبعه خير الديـــن من بعده[3]، ثم إنه قسم الجزائر إلى ثلاث مقاطعات، أطلق على كل مقاطعة اسم "البايلك" أو "ولايـــة" أو "لـــواء"، وهذه المقاطعات هي مقاطعة التيطري-مقاطعة الغرب-مقاطعة الشرق، وكان يحكـــم هـــذه المقاطعات حاكم يطلق عليه لقب "الباي"، أما مقاطعة مدينة الجزائر التي كانت تعرف "بدار السلطان" فكانت تحت تصرف الباشا أو الداي مباشرة[4].

وقـــد تعمدت البحث في بدايات ظهور هذه المقاطعات أو البايلكات الثلاثة لنعرف متى ظهر منصب الباي في أيالة الجزائر، وبالتالي نبحث في عملية تقديم الدنوش التي يقوم بها هؤلاء البايات، ومتى أصبحت تقليدا يمارس في الأيالة؟

أمـــا التقسيمات التي قام بها حسن باشا بن خير الدين في الجزائر، فتدفعنا لطرح العديد من الأسئلة: فما هو الدافع الذي جعله يقسم الأيالة إلى مقاطعات، ثم متى كان بالضبط هذا التقسيم؟وهل هـــذه التقسيمات تنفرد بها أيالة الجزائر فقط، أم أنه نظام عثماني متبع في جميع الولايات العثمانية الأخـــرى؟ ثم هناك سؤال أهم: أول بايات الذين عيّنوا على هذه المقاطعات الثلاث، هل تم تعيينهم فـــي الفـــترة نفســـها أم كـــان ذلك على فترات مختلفة، وبالتالي اختلفت الفترة الزمنية لظهور هذه

---

(1)-عبد الرحمن الجيلالي: مرجع سابق. ص 48-51.

(2)-ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية. ص104-108.

(3)-محمد المهدي بن علي شغيب: أم الحواضر في الماضي والحاضر -تاريخ قسنطينة-، ، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980. ص353.

(4)-محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972. ص35-36.

البايليكات؟ ثم كيف كانت تسير هذه المقاطعات قبل تعيين البايات عليها؟

لقد كانت السلطة العثمانية عاجزة عن وضع جميع القطر الجزائري تحت يد حاكم واحد، لأن هناك من الجزائريين من هو ضد حكمهم، ولهذا قسم القطر الجزائري إلى أربع مقاطعات ليسهل التحكم بها، وبغض النظر عن اضطراب الوضع الداخلي وكثرة الثورات والمعارضين، فإن التسيير الحسن لشؤون الدولة السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية يتطلب هذا التقسيم، خاصة وأن الجزائر ذات مساحة كبيرة ويصعب إدارتها من مركز واحد، لذلك نجد أن الحكام العثمانيين استطاعوا بواسطة هذا التنظيم أن يبسطوا نفوذهم على مختلف جهات الوطن تقريبا، ويستمر حكمهم للبلاد مدة طويلة[1]، ثم أن حسن بن خير الدين لم ينفرد بهذا التنظيم الذي استحدثه في الجزائر، بل هو أصلا نظام عثماني تعتمده الآيالات العثمانية: فكل أيالة يحكمها باشا يمثل السلطة العثمانية، وهذه الأيالات تنقسم إلى مقاطعات إدارية أصغر تعرف بالسنجق أو اللواء وحاكمها أمير اللواء، فمجموعة من السناجق تشكل إيالة عثمانية[2].

بالنسبة لأيالة الجزائر يذكر حمدان خوجة في كتابه المرآة «أنه عندما تم توحيد تلمسان وقسنطينة إلى باقي أجزاء الأيالة، وجد الباشا نفسه مضطرا إلى تنظيم إدارة هاتين المقاطعتين الجديدين فأرسل بايا إلى قسنطينة وآخر إلى معسكر، وفي نفس الوقت تم تعيين باي في المدية»[3].

لكن حمدان خوجه لم يكن دقيقا فيما قاله، فبايات المقاطعات الثلاث المذكورة لم يتم تعيينهم في الفترة نفسها، والسبب أن هذه المقاطعات أصبحت تابعة لباقي أجزاء الأيالة في فترات مختلفة، وسنحاول أن نذكر بإيجاز ظروف التحاق هذه المقاطعات بالسلطة العثماني في مدينة الجزائر. لكن قبل ذلك يجب ذكر وضعية دار السلطان باعتبارها مقر عاصمة الأيالة.

---

(1)-محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص21.

(2)-أحمد المرسي الصفصافي: "الدولة العثمانية والولايات العربية"، المجلة التاريخية المغربية، ع30/29، 1983. تونس. ص334-335.

(3)-حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982. ص137-138.

1-دار السلطان:

تشـــمل فـــي الأصل إقليمي الساحل ومتيجة، وكانت خاضعة لحكم الداي مباشرة الذي أوكل إدارة أوطـــان دار السلطان(*) إلى أغا العرب، وهو المسؤول عن أعمال السكان المحليين[1]، وكان كل وطن مكونا من دواوير يسكنها الأهالي، ومن أحواش يملكها موظفو السلطة التركية والانكشارية والمرابطون وبعض الأثرياء الجزائريين[2].

ويعـــود تنظيم مقاطعة دار السلطان إلى عهد أروج وخير الدين بربروس، حين قام بتقسيمها إلـــى مقاطعة شرقية وأخرى غربية-مثلما سبق ذكر ذلك- ومنذ تلك الفترة اعتمدت مدينة الجزائر عاصمة للأيالة، خاصة بعد ارتباطها بمركز السلطة العثمانية بأسطنبول وإعلانها أيالة عثمانية.

2-بايليك التيطري:

بعدما حكم الزيانيون مدينة المدية، أصبحت في مطلع القرن السادس عشر تحت حكم أمير تـــنس، وعندما جاء أروج إلى الجزائر وانتصب ملكا على المدينة، وبدأ في بسط نفوذه داخل البلاد، أحـــتل المديـــة بعد انهزام أمير تنس حماد بن عبيد بالمتيجة حوالي سنة 1517م/923هـــ، ثم ترك بالمديـــة حامـــية مؤلفة من الأتراك وبعض الأندلوسيين وعاد إلى الجزائر. وعندما خلفه أخوه خير الديـــن في الحكم سنة 1518 عزز المراكز الهامة في البلاد بتأسيس قواعد عسكرية تسمى "النوبة"، وعـــندما فكر في تقسيم البلاد إلى مقاطعات جعل منطقة التيطري إحدى هذه المقاطعات إلى جانب باليك الشرق وبايلك الغرب، وجعل المدية عاصمة لها[3].

وفـــي ذلـــك يذكـــر أحمد الشريف الزهار، أن البايات الثلاثة مرتبون على حسب فتوحات الأتـــراك الأولائل، فأول فتو حهم كان ناحية تيطري، فولوا هنالك بايا واسموه باي البايات وأسكنوه المدية[4].

(*) -مقاطعة دار السلطان مؤلفة من عدة أوطان: وطن الفحص، بني خليل، السبت، بني موسى، الخشنة، يسر. انظر: صالح عباد: **الجزائر خلال العهد التركي1514-1830**، دار هومة للنشر والتوزيع،الجزائر،2005، ص289-290.

(1)-P.Boyer : **l'Evolution de l'Algérie médiane (Ancienne département d'Alger) de 1830, à, Livrarie d'Amérique et d'orient**, paris, 1960. P18-19.

(2)-ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر. ص29.

(3)-مولاي بلحميسي: "مدينة المدية عبر العصور"، مجلة الأصالة، ع2، الجزائر،1971، ص138-139.

(4)-أحمد الشريف الزهار: نقيب أشراف الجزائر ، مذكرات (1246/1168هـــ)، (1754-1830م)، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،، دت. ص35.

وإذا كـــان بايلك الشرق وبايلك الغرب قد فرضتهما الحاجة الإدارية، ولهما وحدة إدارية منذ العهدين الحفصي والزياني، فإن بايلك التيطري الضيق قد فرضته المسألة الأمنية، فهو الدرع الواقي لدار السلطان من أخطار حركة قبائل الجنوب دائمة التهديد للشمال[1].

وقـــد أدخلت على بايلك التيطري تنظيمات عديدة ما بين 1518-1775م[2]، ومن ما سبق نســـتنتج، أن هـــذا الـــبايلك استمر لسنوات تحت، سلطة الحامية التركية قبل أن يعين البايات عليها وتصبح بايلك تابعا لمركز السلطة التركية في دار السلطان.

وأغلب المصادر والمراجع تجمع على أن حسن بن خير الدين هو الذي أرسل أول باي إليها ســـنة 1548م/955هـــــ، وهـــو رجـــب باي (1548-1568م) [3]. أما بالنسبة لحدود هذا البايلك، فيحدده وليام شالر من الناحية الغربية بنهر مزفران الذي يفصلها عن بايلك الغرب، ومن الناحية الشرقية نهر بوبراك الذي يفصلها عن بايلك الشرق، ومن الجنوب الصحراء[4].

وبايلـــيك التيطري يعتبر أصغر البايلكات وأفقرها، وأكثرها ارتباطا بالسلطة المركزية، لهذا وضـــع بجانب الباي حاكما يتصل مباشرة بالجزائر، ويهتم بأمور القيادات الأربعة التي كان البايلك يـــتكون مـــنها[5]، ونتـــيجة لقـــربه من مركز السلطة بالجزائر، فقد كان دايات الجزائر يحاولون باستمرار إضعاف قوة باياته احتياطا من أي تمرد قد يقومون به[6].

3-بايليك الغرب:

كانـــت رقعـــته تمـــتد ما بين المملكة المغربية غربا، وبايلك التيطري ودار السلطان شرقا، والبحر المتوسط شمالا والصحراء جنوبا، وهو يعتبر في المرتبة الثانية، لكون الأتراك استولوا على الجهة الغربية وجعلوا فيها بايا قبل الجهة الشرقية[7].

---

[1]-صالح عباد: مرجع سابق، ص281.

[2]-مولاي بلحميسي: المرجع السابق. ص139.

[3]-لمزيد عن المعلومات في هذا الموضع انظر: مولاي بلحيسي: مرجع سابق،. ص139-140.

[4]-وليام شالر: المصدر السابق. ص34.

[5]-ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق. ص30.

[6]-P.Boyer : Op-Cit, P120.

[7]-الأغا إسماعيل بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا، وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990. ص270

ويعـــود تاريخ ظهور البايلك كتقسيم إداري وسياسي خلال حكم حسن باشا ابن خير الدين، ففـــي ســـنة 970هـــ/ 1563 أصبحت مازونة عاصمة للبايلك وابن خديجة بايا عليها، وهذا نتيجة موقعها، حيث تتوسط القبائل ما بين مستغانم وتنس وقريبة من الشلف[1].

لكن قبل إرسال ابن خديجة بايا على مازونة والغرب الجزائري ككل، كانت هناك محاولات طويلـــة لحكـــام الجزائـــر للاستيلاء على المنطقة واخضاعها لسيطرتهم، فكانت لهم مواجهات مع الزيانييـــن وسلاطين المغرب والإسبان، والخلاصة أن هذه المواجهات بدأت منذ عهد أروج بربوس الـــذي استشـــهد فـــي تلمسان سنة 1518م/921هـــ عند محاولته الاستيلاء عليها، وفي عهد صالح رايس استطاع تأمين الحدود الغربية للجزائر، فوضع حدا لبقايا دولة بني عبد الواد (بنو زيان)، فقام بتنحية آخر حكامها مولاي الحسن بن عبد الله بن محمد الثاني سنة 1554م/961هـــ، فتحولت بذلك تلمســـان إلـــى ســـنجق يعود الحكم فيه إلى قائد الحامية الانكشارية، الذي يتلقى أوامره من الجزائر مباشرة قبل أن تلحق تلمسان وإقليمها ببايلك الغرب في فترة لاحقة[2].

ورغـــم وجـــود هـــذه الحامية الانكشارية إلا أن منطقة الغرب بقيت تعاني من اضطرابات وحـــروب مـــع سلاطين المغرب وبقايا أسرة بني زيان والإسبان[3]، حتى بعد تأسيس بايلك الغرب وتعييـــن الـــبايات عليها لم يعرف استقرارا بالنسبة للعاصمة فقد تغيرت من مدينة إلى أخرى ولعدة مـــرات، قـــبل القرن الثامن عشر كانت مازونة عاصمة للبايلك وتلمسان قاعدته الرئيسية، وعندما تولـــى مصطفى بوشلاغم الحكم عمل على جمع بين مازونة في الشرق المقاطعة وتلمسان بغربها، فجعـــل بذلـــك "معســـكر" عاصـــمة البايلك سنة 1701م/1112هـــ، وكان وضعها مباشر لبايلك التـــيطري، فقـــد بقيت تلمسان والمناطق غرب الجزائر تحت سلطة الحامية العسكرية منذ 1554م وحتى 1563، أين ظهر بايلك الغرب كتنظيم سياسي وإداري وعُيّن عليه أول باي، وذلك في عهد حسن بن خير الدين عندما ولي على الجزائر للمرة الثالثة (1567-1568م)

ثـــم غيرت إلى وهران في الفتح الأول سنة 1708م-1120هـــ، ثم مستغانم سنة 1732م/

---

[1]-Walsin Esterhazy : **Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Paris, Gesselin, 1840.P165.

[2]-ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية. ص106.

[3]-لمزيد من المعلومات هذا الموضوع انظر: المكي جلول: مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من (631-1263هـــ)، (1847/1234م) رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993. وأنظر أيضا: أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثية سنة بين الجزائر وأسبانيا، سبق ذكره.

1144هـ، بعدها عاد المقر إلى معسكر سنة 1737م-1150هـ وأخيرا انتقل إلى وهران بعد الفتح الثاني في عهد الباي محمد الكبير سنة 1792م/1205هـ[1]، وكان وضعها مشابها لبايلك التيطري، فقد بقيت تلمسان والمناطق غرب الجزائر تحت سلطة الحامية العسكرية منذ 1554م وحتى 1563م، أين ظهر بايلك الغرب كتنظيم سياسي وإداري وأرسل إليه أول باي وذلك هي عهد حسن بن خير الدين عندما وليا على الجزائر للمرة الثالثة (1567-1568م).

ويختلف بذلك بايلك الغرب عن بايلك التيطري والشرق، فقد اتخذ صبغة عسكرية نظرا للمنافسات والحرب التي نشبت بين الأتراك وسلاطين المغرب الأقصى من جهة، ونظرا لمتطلبات الدفاع العسكري ضد القاعدة الحربية الإسبانية في وهران والمرسى الكبير من جهة أخرى. وهذا ما أكسبه قوة معتبرة جعلته دائما على أهبة الاستعداد للدفاع والحرب[2].

4-بايليك الشرق:

يعد إقليم قسنطينة من أكثر أقاليم الإيالة الجزائرية ثروة وخصبا، ومن أوسعها مساحة، فهو يمتد من البحر شمالا، إلى ما وراء بسكرة ووادي سوف وتوقرت وورقلة في حوض وادي ريغ وإيغرغر جنوبا، ومن الحدود التونسية شرقا، إلى ما وراء إقليم ونوغة وبرج حمزة وأعماق جرجرة غربا[3].

ومدينة قسنطينة هي قاعدة بايلك الشرق، تقع على نهر الرمل على مسافة نحو أربعين ميلا من البحر، وموقع هذه المدينة من أعظم المواقع[4]. فيذكر الكاتب كاليبر Galibert أن بايلك قسنطينة يؤلف مملكة حقيقية تفوق في أهميتها بايلك التيطري ووهران، وذلك لعدد سكانها المرتفع ومساحتها الشاسعة وثرواته الكبيرة ومناخه المعتدل والخصائص الإيجابية التي يتوفر عليها[5].

---

[1]-محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1978، ص190-192.

[2]-مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص297.

[3]-يحي بوعزيز: "الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن 19م"، مجلة الثقافة، ع80، الجزائر، 1984. ص160.

[4]-وليام شالر: مصدر سابق، ص36.

[5]-Eugène Vayssettes : **Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837**, presentation de Ouarda Siari-Tengour, Editions Bouchene, Paris, 2002 p8, 148.

وبـــايلك الشرق هو آخر بايلك يلتحق بالسلطة العثمانية بشكل رسمي، ويعبر أحمد الشريف الـــزهار عـــن ذلـــك بقوله: «وأخيرا فتحوا الناحية الشرقية، ونصبوا فيها بايا وسموه باي الشرق، وكانت قسنطينة بيد ملوك تونس، فلما رجعت لحكم الجزائر سكن باي الشرق بها، وكان لا يضاهيه باي تيطري وباي الغرب من حيث القوة ووفرة الرعية، ولزمته لا تعدلها لزمتهما»[1].

ونتساءل هنا عن تاريخ الالتحاق الرسمي لقسنطينة بالسلطة العثمانية بالجزائر؟ وهل فصلت المصـــادر فـــي تاريخ وكيفية استقرار العثمانيين بها وإخضاعهم لها؟ ثم لماذا كانت قسنطينة آخر مقاطعة تلتحق بالجزائر؟

إن هـــذا الفـــتح الذي يذكره الزهار كان ومازال محط جدل بين الباحثين والدارسين لتاريخ قســـنطينة خـــلال العهد العثماني، فلم يكن هناك اتفاق بينهم حول تاريخ استقرار قسنطينة بها، وهذا نتـــيجة لتعدد الروايات واختلاف المصادر حول هذا الموضوع، وبالتالي فإن الفصل فيه أمر صعب خاصـــة وأن هـــناك الكثير من الدراسات ناقشت الموضوع ولم تصل إلى نتيجة حاسمة، والروايات عديدة ومختلفة.

فهـــايدو Haedo اعتـــبر سنة 926هـــ /1520م أين دخل خير الدين بربروس ميناء القل هـــي ســـنة دخوله قسنطينة باعتبار الميناء تابعا لها[2]، أما الأمبيري فيحدد التاريخ بسنة 932هـــ/ 1526م تـــاريخ وفـــاة أمير تونس أبي عبد الله محمد[3]، والعطار اعتمد تاريخ خروجهم من تونس (1534) [4] أما العنتري فقد ذهب أبعد من ذلك فاعتمد سنة 1050هـــ-1640م تاريخ فتنة قسنطينة[5].

وهـــذه مجـــرد عيـــنات بسيطة عن اختلاف الروايات حول دخول العثمانيون قسنطينة، وقد ناقشها الكثير من الباحثين أمثال جميلة معاشي في رسالتها "الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق" والتـــي توصـــلة فـــي الأخير إلى أن دخول العثمانيين مدينة قسنطينة لم يكن مرتبطا بتاريخ معين، بـــل

---

[1]-أحمد الشريف الزهار: مرجع سابق، ص35.

[2]-Fray diégo De Haédo : "Histoire des rois d'Alger" traduit par H.D DE Grammont", in R.A, N°24,1880, p120.

[3]-جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـــ إلى القرن 13هـــ(16-19م) دراسة اجتماعية سياسية، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1990-1991. ص94.

[4]-أحمد بن المبارك بن العطار: تاريخ قسنطينة، تحقيق رابح بونار، دت، دم. ص56.

[5]-محمد الصالح العنتري: تاريخ قسنطينة، تقديم يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت. ص7.

كان على مراحل وبعد محاولات عديدة[1].

أما ناصر الدين سعيدوني، فقد قدم لنا نظرية أخرى حول استقرار العثمانيون بقسنطينة من خلال مقال نشره بعنوان "رسالة من أعيان قسنطينة إلى السلطان سليمان القانوني في شأن صالح رايس (963هـ-1555م)"[2]. وأرسلت هذه الرسالة بعد الانتصارات التي أحرزها صالح رايس في الجزائر، فأبدى هؤلاء الأعيان مساندتهم وتأييدهم ورغبتهم في الدخول تحت راية الدولة العثمانية، لكونها أهلا لحماية الإسلام والمسلمين. ولذلك جاء سعيدوني ليعتبر تاريخها بمثابة الإلحاق النهائي والرسمي لقسنطينة بالكيان السياسي للجزائر[3].

رغم أن هذه الرسالة دعمت الوثائق الخاصة بتاريخ قسنطينة في العهد العثماني، وحاول سعيدوني من خلالها حسم إشكالية التحاق قسنطينة بالسلطة العثمانية، إلا أنها تطرح لنا جملة من التساؤلات حول هؤلاء الأعيان الذين أرسلوا هذه العريضة للسلطان سليمان القانوني، لأن أسماؤهم حسب ما ذكره سعيدوني غامضة، ولم يعرف عنهم إلا إمضاءاتهم التقليدية المتعارف عليها، فهل هؤلاء الأعيان (العلماء والشيوخ) يمثلون كل سكان قسنطينة أم يمثلون فئة قليلة فقط؟.

ألا يمكن أن تكون هذه العريضة من طرف الحزب المناصر للعثمانيين فقط وهم آل الفقون؟ وبالتالي فإنها لا تمثل جميع الرأي العام القسنطيني، ومنه لا يمكن الجزم أن تاريخها يعتبر بمثابة الإلحاق الرسمي والنهائي لقسنطينة بالسلطة العثمانية، لأننا نعرف أن أسرة عبد المؤمن وأتباعها لم يكونوا ليشاركوا في تحرير تلك العريضة وهم رافضون لوجود العثمانيين بقسنطينة[4] ورفضهم هذا كان من الأسباب الأساسية لتأخر دخولهم إليها.

والخلاصة التي نصل إليها أنه من الصعب الفصل النهائي في هذه النقطة خاصة وأن هناك جوانب مازالت غامضة، لكن كل ما يهمنا في هذه الدراسة أن العثمانيين حاولوا مرارا الدخول إلى قسنطينة والاستيلاء عليها، بل استطاعوا أن يتركوا حامية عسكرية خارجها بسطح المنصورة[5]، وهو الأسلوب الذي كان العثمانيون قد اعتمدوا في باقي المقاطعات حيث يتم ترك حامية عسكرية بها

---

[1]-جميلة معاشي: مرجع سابق. ص96.

[2]-ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية. ص101-121.

[3]-المرجع نفسه. ص114.

[4]-لمزيد من المعلومات حول انقسام سكان قسنطينة بين مؤيد للأتراك ومعارض لهم، انظر: محمد الصالح العنتري: مصدر سابق.

[5]-أحمد بن المبارك العطار: مصدر سابق، ص57.

تمهيدا للسيطرة الكلية عليها وإرسال البايات إليها فيما بعد.

بالنسبة لقسنطينة فقد تم تعيين باي عليها بعد فتنة قسنطينة لسنة (975هـ/1567م)، وتكون بذلك آخر مقاطعة يصلها حاكمها من الجزائر، فتلك الاضطرابات جعلت السكان يثورون على الحامية العسكرية وشكوها للباشا، فاستغل الباشا هذه الفرصة وقام بضم المدينة والمناطق التابعة لها إلى باقي المقاطعات، وجعل عليها أول باي خلفا لقائد الحامية العسكرية، وقد أجمعت أغلب المصادر على أن أول باي عُيّن على قسنطينة هو عثمان باي[1]، وكان ذلك في عهد ولاية حسن بن خير الدين الثالثة (1562/1567م)، وبذلك يكون هو الذي عين أول البايات على المقاطعات الثلاث.

لكن الشيخ عبد الكريم الفقون (ت 1662م) لم يذكر في مخطوط "منشور الهداية" لقب " الباي" بل أورد كلمة "والي البلدة" وكلمة " الأمير"[2] ،فيبدو أن لقب الباي لم يعرف به حكام قسنطينة إلا في فترة متأخرة من الحكم العثماني.

ثانيا: الإدارة المركزية والمحلية.

تتطلب منا دراسة مراسيم الدنوش ورمزيته معرفة التنظيم الإداري لأيالة الجزائر خلال العهد العثماني، والتعرف على موظفي الأيالة-صلاحيتهم ومهامهم سواء على المستوى المركزي أو على المستوى الإقليمي المحلي، لأن هذه المراسيم والأبعاد مرتبطة بجميع هؤلاء الموظفين على اختلاف مستوياتهم، لكننا سنقتصر عند تقديمهم على المرحلة الأخيرة من تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، ومن جهة أخرى لوضوح التشكيلة الإدارية خلال الفترة الأخيرة، والحقيقة أننا لم نجد دراسات تتناول تطور التنظيمات الإدارية في الجزائر، خلال كل فترة من العهد العثماني ولذلك نجد أغلب الدراسات تركز على المرحلة الأخيرة فقط.

والنظام الإداري العثماني نظام محكم التسيير، متصل ببعضه البعض على شكل سلسلة متصلة الحلقات، ابتداء من حكام أصغر الوحدات في الدولة، ومرورا بحكام الولاية التي تتبعها تلك

---

[1]-فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (أواخر القرن 18 إلى منتصف القرن 19)، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1998. ص68

[2]-عبد الكريم الفقون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم تحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1987. ص67.

الوحدات، وانتهاء بالسلطة المركزية في استنبول حيث يقيم السلطان العثماني[1].

1-الإدارة المركزية:

تقوم الإدارة المركزية في الجزائر خلال العهد العثماني على مجموعة من الموظفين السامين على رأسهم:

أ-الداي:

يعتبر الداي رئيسا للدولة، وقائدا للقوات النظامية الانكشارية تشمل مهامه الإشراف على اجتماعات الديوان وشؤون الإدارة العامة، فهو الذي يعين البايات على رئاسة البايلك والموظفين الرسميين بمختلف المناصب، وهو صاحب القرار في تسيير الشؤون الخارجية والعسكرية في الحروب، ويوقع على معاهدات السلام، ويجدد أو يرفض حقوق الاستغلال للشركات الأجنبية، ويتلقى الضرائب والإتاوات من الدول الأوروبية، ويستقبل السفراء[2].

وكلمة "الداي" كلمة تركية لها معاني عديدة أهمها "العم" أو "الخال"[3]، وتستعمل هذه الكلمة في الجزائر تعبيرا عن الجندي الذي يعنيه الأوجاق ليتولى الحكم إلى جانب الباشا خلال الفترة بين سنتي (1671-1711م)، وبعدها أصبح يطلق عليه الألقاب المتداولة في الإدارة العثمانية في باقي الأيالات مثل "الباشا"[4]، ويذكر وليام شالر أن لقب الداي لم يكن يلفظ في الجزائر وإنما يستعمله الأجانب[5].

وحتى يعين الداي أو الحاكم الجديد، يجتمع ديوان الأيالة بحضور كبار الموظفين والعلماء ومعظم جنود الأوجاق وقوادهم[6]، وبعد الاتفاق على الوالي الجديد يتقدم إليه العلماء والأعيان

---

(1)-خليفة حماش: مرجع سابق. ص35.

(2)-وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر، 1980. ص77.

(3)-ديران كلكيان: قاموس تركي فرنسي، مطبعة مهران، باب العالي، استنبول، 1329هـ/1911م. مادة داي (Daiy). ص565.

(4)-خليفة حماش: المرجع السابق. ص46.

(5)-وليام شالر: مصدر سابق. ص43.

(6)-خليفة حماش: المرجع السابق. ص35.

ليجلسوه على كرسي الحكم ويلبسوه الخلعة السلطانية أو القفطان[1]، ثم تجرى بعد ذلك احتفالات هذا التعيين، واختيار الباشا الجديد يتطلب إرسال هدية بهذه المناسبة للسلطان العثماني، ليحصل على رموز الولاية (الفرمان التقليدي والسيف والقفطان)، فتنصيب الداي رسميا لا يقع إلا بعد وصول تأكيد السلطان لانتخابه[2].

أما المرتب الذي يتقاضاه الداي فلا يختلف عن مرتب أي جندي انكشاري آخر، ولا يختلف عنهم سوى أنه أول من يتلقى مرتبه يوم دفع المرتبات[3]. ويبلغ مرتبه 40 رغيفا يسلمها له شيخ البلدة، لكن إلى جانب هذا المرتب يتحصل على مداخيل أخرى، تتمثل في عوائد قناصل الدول وهدايا البايات الثلاثة وهدايا كبار موظفي الدولة عند تنصيبهم، إضافة إلى نسبة محدودة من غنائم الغزوات البحرية[4].

ب-الديوان:

هو بمثابة مجلس عام يضم وزراء الدولة وكبار موظفيها وقادتها العسكريين والعلماء[5]، ولا يستطيع أن يصبح أي شخص في الديوان إلا إذا توفرت فيه الشروط التي ينص عليها القانون، فيجب أن تكون له خبرة في الجيوش البرية والبحرية[6].

والديوان هو الذي يقرر في كل ماله علاقة بسياسة الأيالة الخارجية أو الداخلية، وإذا حدث أي اضطراب أو تمرد فإن أعضاء الديوان يحققون في الأمر، ويعملون على إعادة الأمن والاستقرار[7]، وينكر Venture De Paradis، أن أيالة الجزائر كان يوجد بها الديوان الخاص وهو مجلس الدولة والديوان العام وهو المجلس العمومي[8].

---

(1)-أحمد الشريف الزهار: مصدر سابق. ص 141.

(2)-وليام شالر: مصدر سابق. ص43.

(3)-خليفة حماش: مرجع سابق. ص43.

(4)-لمزيد من المعلومات حول الداي انظر:

-Venture De Paradis : **Alger au 18 eme siécle**, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898. P108-109.

(5)-خليفة حماش: المرجع السابق. ص55.

(6)-حمدان خوجة: مصدر سابق. ص121.

(7)-المصدر السابق. ص123.

(8)-Venture De Paradis : Idem, P118.

ورغم ما ذكرته بعض المصادر عن الديوان، إلا أننا مازلنا نفتقر إلى دراسات معمقة حول تشكيلة الديوان ومهامه وصلاحياته، والتطور الذي خضع له طيلة العهد العثماني، وإن كان بعض الباحثين حاولوا الإلمام بالموضوع[1].

لكن أغلب المصادر تحدثت عن الديوان في أواخر العهد العثماني، أين دخل في مرحلة من الضعف حتى عبر عنه وليام شالر بأنه أصبح مجرد شبح لاحول ولا قوة له[2]، أما حمدان بن عثمان خوجة فأرجع سبب ذلك إلى تركز السلطة المطلقة بأيدي الباشوات[3].

وبعد هذا الضعف الذي سرى إلى الديوان، لم يعد يقوم بمهام أساسية سوى جلسات المناسبات التقليدية كدفع المرتبات[4]، وتجديد البيعة للباشوات بمناسبة عيد الفطر[5].

وإذا كان الديوان قد فقد دوره كمجلس استشاري للباشا في الجزائر، فإنه بقي يؤدي دوره كمجلس للوزراء أو الحكومة، يُعتمد عليه في تسيير دفة الحكم، وكان الديوان يقتصر في هذه الحالة على الموظفين الذين كانوا يشغلون المناصب العليا في الأيالة ويشرفون على مؤسساتها الإدارية الرئيسية[6]، والباشا هو الذي يعينهم وهؤلاء الموظفين هم: الخزناجي–الأغا– خوجة الخيل–وكيل الحرج–بيت المالجي–الخوجات أو الكتاب الأربعة[7].

الخزناجي: هو صاحب الخزينة وحارسها المكلف بإيداع مصادر دخل الدولة في شكل نقود ومقتنيات ثمينة، والإشراف على وجوه الانفاق المختلفة كدفع أجور الأوجاق[8]، فهو الوحيد الذي يسمح له بدخول الخزينة سواء لإيداع الأموال بها أو سحب ما تحتاجه نفقات الدولة، فعند مطلع الشمس من كل يوم يسلم الداي المفتاح إلى الخزناجي، وتبقى الخزنة مفتوحة إلى الزوال فقط، وعندما يوصد الخزناجي بابها ويسلم المفتاح إلى الداي لا تفتح مرة أخرى، حتى في أيام دفع

---

(1)–راجع: ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية وخليفة حماش: مرجع سابق وغيرهم.

(2)–وليام شالر: مصدر سابق. ص42.

(3)–حمدان خوجة: مصدر سابق. ص154.

(4)-Venture De Paradis : Op-Cit. P 66-67.

(5)–حمدان خوجة: المصدر السابق. ص154.

(6)–خليفة حماش: مرجع سابق. ص56.

(7)–وليام شالر: المصدر السابق. ص43.

(8)–ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر. ص170

المرتبات، ويساعد الخزناجي في مهامه بعض الموظفين من الحضر واليهود[1].

وكـــان الخزناجي يحتل مركزا ساميا في الأيالة، فهو يعد الشخصية الثانية بعد الباشا، فينوبه عـــند غـــيابه في رئاسة الديوان، وسيتقبل القناصل ويتفاوض معهم حول المسائل المتعلقة بعلاقات الأيالة مع بلدانهم، ويفصل في القضايا التي ترفع له من قبل الرعية، وقد كانت الحكومات الأوروبية تشير إليه في وثائقها باسم "الوزير الأول"، وتورد اسمه مباشرة بعد اسم الباشا في قوائم الهدايا التي ترسلها إلى الأيالة، كما كانت حصته تأتي مباشرة بعد حصة الباشا سواء من حيث قيمة محتوياتها أو حجمها، وكل هذا نتيجة المكانة التي يحتلها[2].

آغـــا العرب: يعتبر من الموظفين السامين، إذ يقود وحدات الفرسان التي تتكون في معظمها من العرب والقبائل[3]، كما أنه يدير المناطق الداخلية للأيالة وبصفة خاصة المناطق المحيطة بمدينة الجزائر، كمتيجة والساحل وأوطان دار السلطان والمناطق الملحقة بها[4].

وقـــد رتـــبه أسير الداي كاتكارت-قنصل أمريكا في المغرب- حسب نظام البروتوكول في الأيالة في المرتبة الثانية من حيث المعاملة والهدايا التي يحظى بها[5].

خوجة الخيل: هو المشرف على أملاك الدولة، وزادت أهميته بسبب أهمية المنصب من الناحـــية المالـــية[6]، ومـــن المهام التي يقوم بها التصرف في الجمال المخصصة لنقل الجيوش والعـــتاد الحربـــي، وهو الذي يأمر بتوزيع هذه الخيول والجمال على مختلف قبائل الأيالة التي تـــتولى الاعتـــناء بها، والمحافظة عليها وذلك بعد أن تتمغ بخاتم الدولة[7] كما أنه يشرف على تجنيد الفرسان (رجال المخزن)، وهو الذي يتحكم في القبائل المقيمة بعزل البايلك الواقعة بدار

---

(1)-Venture De Paradis : Op-Cit. P106-107.

(2)-خليفة حماش: مرجع سابق. ص59-60.

(3)-حمدان خوجة: مصدر سابق، ص128.

(4)-أحمد الشريف الزهار: مصدر سابق، ص48.

(5)-جيمس ليندر كاتكارت: مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص144.

(6)-وليام شالر: مصدر سابق، ص43.

(7)-حمدان خوجة: المصدر السابق، ص128.

السلطان أو الموجودة بباليك التيطري[1].

ويعتبر خوجة الخيل بمثابة الوزير الثالث في حكومة الآيالة الجزائرية، حسب مراسيم التشريفات التي تخول له الحصول على نصف ما يعطى للخزناجي وآغا العرب من الهدايا[2].

-**يالي وكيل حرج**: هو موظف سام، يقوم بجميع أنواع النشاطات التي تتعلق بالميناء، سواء منها التجارية أو العسكرية[3]، كصناعة السفن والإشراف على عتاد الحرب، وتوزيع غنائم الحرب، كما يتولى أحيانا الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية[4].

ورغم المهام التي يقوم بها هذا الموظف، إلا أن سلطته بقيت محدودة مقارنة بالخزناجي وخوجة الخيل، وهذا بسبب ضعف النشاط البحري ومعاداة جماعة الأوجاق والانكشارية له، باعتباره المشرف على طائفة الرياس المنافسين لهم في الحكم[5].

-**بيت المالجي**: هو المسؤول عن كل المسائل المتعلقة بالوراثة، وتحديد نصيب خزينة الدولة من الوراثة، أو من الأملاك التي تُصادر، سواء بسبب عزل الموظفين أو وفاة أصحاب الثروة أو غيابهم عن الجزائر، وفي حالة غياب صاحب الثروة فإن هذا المسؤول يتولى تسيير العقارات والأموال الموروثة، وعند وفاة المسؤول عن بيت المالجي فإن جميع أمواله والثروات المتوفرة لديه تذهب إلى خزينة الدولة[6]. ويساعده في أداء مهامه قاض وموثقان وكاتبا ضبط ومسجلون[7].

-**الخوجات أو الكتاب الأربعة الكبار**: أطلق لفظ "خواجة" في الإدارة العثمانية على الأشخاص الذين يحسنون القراءة والكتابة، أو المتعلمين الذين يمارسون وظائف التربية والتعليم في المؤسسات الحكومية -أو لمباشرة وظائف إدارة في الأجهزة الحكومية، وقد كان الباشا ومساعدوه

---

(1)-ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، ص227.

(2)-أحمد الشريف الزهار: مصدر سابق، ص45.

(3)-المصدر نفسه، ص50.

(4)-ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، ص227.

(5)-المرجع نفسه، ص228.

(6)-عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962. ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت. 1997.ص66.

(7)-حمدان خوجة: مصدر سابق، ص134.

يختارون كتابهم وأمناءهم من بين جنود الأوجاق المتعلمين[1].

وأهم هؤلاء الكتاب أو الخوجات وعددهم أربعة:

-**الكاتب الأول أو المقاطعجي**: وهو رئيس الكتبة الآخرين، المكلف بفرض الضرائب والمحافظة على سجل محاسبات الدولة الرئيسي، المشتمل على ما تحتويه سجلات الكتاب الثلاثة الآخرين، كالقوانين العسكرية المعمول بها وأسماء ورتب وأجور فرق الانكشارية من أوجاق ومحلة ونوبة، لأن تلك الدفاتر الثلاثة يقيد فيها ما يجري تجنبا للخطأ أو النسيان[2].

-**الكاتب الثاني أو الدفتر دار**: يكلف بتسجيل مصادر دخل البلاد من الضرائب والرسوم العينية، ويعطى له حق مراقبة مخازن الدولة.

-**الكاتب الثالث أو وكيل الحرج الصغير**: يهتم بالسجلات الخاصة بغنائم البحر وأمور الديوان (الجمارك).

-**الكاتب الرابع أو الرقمجي**: مكلف بالسجلات المتعلقة بمصالح البايلك، والمتصلة بالشؤون الخارجية للبلاد مثل الشكايات الصادرة من القناصل المقيمين بمدينة الجزائر، وقد تراجعت مكانته ونفوذه نتيجة ازدياد المشاكل بين الجزائر والدول الأوروبية، والتي كانت تتجاوزه[3].

إضافة إلى هؤلاء الموظفين السامين والوزراء الرئيسيين، فإن هناك قائمة طويلة من الموظفين في الأيالة، وظائفهم متعددة ومراكزهم مختلفة ويصعب علينا تناولهم جميعا في هذه الدراسة، نظرا لعددهم الكبير من جهة ولأنه يخرج عن موضوعنا الرئيسي في هذا البحث من جهة أخرى، والواقع أن الكثير من المصادر والمراجع تناولت هؤلاء الموظفين مع إبراز مهامهم وصلاحياتهم ويمكن الرجوع إليها للإطلاع أكثر على الموضوع[4].

---

(1)-خليفة حماش: مرجع سابق، ص68.

(2)-حمدان خوجة: مصدر سابق، ص129.

(3)-ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، ص231.

(4)-لمزيد من المعلومات انظر:

-Venture De Paradis : Op.cit, P115-117.

-ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، ص214-256.

2-الإدارة المحلية:

تعتبر الإدارة المحلية صورة مصغرة عن الإدارة المركزية من حيث التنظيمات الإدارية وصلاحياتها، واختصاصات الموظفين، والاختلافات الواقعة بينها ناجمة عن طبيعة البايلك كمقاطعة تابعة للسلطة المركزية، لديها خصائصها ومميزاتها المستقلة، والتشكيلة الإدارية للبايلك قائمة على وظيفة الباي، ومجموعة من الموظفين المساعدين له أومن اعتبرهم سعيدوني كديوان للبايلك.

أ-الباي:

وهو المسؤول الأول على البايلك، أما بالنسبة للأيالة ككل فيأتي بعد الأغا في الترتيب حسب ما يذكره حمدان خوجة [1].

وهو يعين من طرف الداي ويخضع لسلطته، لكنه يتمتع بسلطة مطلقة ضمن حدود البايلك، فيسير الحامية الانكشارية المنظمة وغير المنظمة (القبائل) للمقاطعة، ولا يحد هذه السلطة سوى بعض الالتزامات، كالحضور لدار السلطان كل ثلاث سنوات لتقديم الضرائب وأصناف الهدايا[2].

ومن بين المهام الأخرى التي يقوم بها الباي، هي المحافظة على الأمن والحيلولة دون انتفاضة وعصيان القبائل، كما كان يتكفل بدفع أجور الحامية التركية الموجودة بالبايلك، وتأمين الطرق لإبقاء الاتصال بمركز السلطة بالجزائر، والاهتمام بالمرافق العامة بالمدن الكبرى التابعة له[3]، كما أن للباي حق التصرف في رعيته بالضرب والسجن والعقوبة، وحتى القتل عند ارتكاب العرب لأي خطأ، أما الأتراك فإنه لا يستطيع قتل أحدهم إلا بمشاورة الباشا[4].

والباي يختار من الموظفين الذين يكونون حاشية الباشا، ومن كبار أعضاء المليشيا التركية، وأحيانا من الأتراك القاطنين بالمدينة، أو من منطقة أخرى من الأيالة[5]، ويذكر حمدان خوجة أنه قد جرت العادة في بايلك الشرق أن يكون الباي صهرا لشيوخ العرب، ومطلعا على العادات

---

[1]-حمدان خوجة: مصدر سابق. ص138.

[2]-E. Vayssettes : Op-Cit. P24.

[3]-ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ-العهد العثماني-، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. ص20.

[4]-محمد بن يوسف الزياني: مصدر سابق. ص190.

[5]-مبساوي أحمد: النظام الإداري ببايلك الشرق 1791ـ 1839م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1987-1988. ص49.

والتقاليد المعمول بها في تلك المناطق[1]، أما استرهازي (Esterhazy) فيذهب إلى أن منصب الباي يمكن أن يشترى، فالشخص الذي يقدم أكثر الهدايا وأعلاها للباشا أو لأحد الرجال المهمين في الديوان، هو الذي يعين بايا[2].

والباي الجديد يجد موردا هو بداية لثروته، يتمثل فيما يتركه الباي القديم من عتاد حربي وكل ما له صلة بالإدارة التي كان مكلفا لها، لأنها لا تعود إلى ورثته بل تترك في مسكنه تحت تصرف الباي الجديد، حتى لا يكون مضطرا إلى شرائها أو المطالبة بالأموال اللازمة لذلك[3].

ب-الخليفة:

له سلطة التصرف في شؤون الأوطان (مناطق السهول) وسلطته تشمل كل المقاطعة، ويخضع لأوامره القياد، ويعمل على جمع الضرائب باستخدام الحامية العسكرية مرتين في السنة مرة في فصل الربيع وأخرى في فصل الخريف، ويذهب بها إلى الجزائر نيابة عن الباي، وهذا ما يعرف بالدنوش الصغير[4].

ويذكر الأغا إسماعيل بن عودة المزاري «أن الباي كان له خليفتان من الترك، أحدهما ينوب عنه في الخروج إلى الرعية بالجهة الشرقية خاصة، لأخذ مال الدولة منها، ويتصف فيها بما شاء على إرادة الباي، وفي القدوم إلى الجزائر ويقال له خليفة الشرق، والآخر ينوب عنه في قاعدته بالجلوس، إذا غاب الباي عن الرعية أو حالة الدنش (كذا)، ويقال له خليفة الكرسي» [5].

جـ-الباش خزناجي أو الخزندار:

يكلف بمصادر دخل الدولة، والنفقات المترتبة عن مختلف أوجه النشاطات الاقتصادية والمالية بالبايلك[6]، و يذكر تيدنا خزندار باي معسكر في مذكراته، أن مهمة الخزندار ليست سهلة، فهو الذي يعد المحلة ويرتبها ويتفقد كل شيء، كما يمكن أن يكون الخزندار أحيانا وسيطا بين

---

[1]-حمدان خوجة: مصدر سابق. ص138.

[2]-W.Esterhazy : Op-Cit, P239.

[3]-حمدان خوجة: المصدر السابق. ص138.

[4]-E.Vayssettes : Op-Cit. P25.

[5]-المزاري: مصدر سابق. ص271.

[6]-ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية. ص243.

الأشخاص الذين يريدون الحصول على منصب معين في البايلك وبين الباي، حيث يدفع أولئك مالا له مقابل الحصول على المنصب[1]، ولذلك اكتسب منصب الخزناجي أهمية كبيرة في البايلك.

د-قايد الدار أو شيخ البلد[*]:

كان مكلفا بالإدارة وشرطة المدينة، يوفر للحامية العسكرية المؤونة الشهرية، ويدير الممتلكات الريفية للبايلك، والعقارات المصادرة الواقعة داخل المدينة، ويهتم بما يحتاجه موظفو المساجد. وهو أيضا قاض ينظر في التجاوزات والجرائم المقترفة في المدينة، ويستطيع أن يعاقب دون تمييز بالحبس أو التعزير، ماعدا أحكام الإعدام فهي تخضع للباي[2].

هـ-آغا الدائرة:

هو قائد فرسان المخزن، مكلف بكل ما يهم هذه الجيوش، فهو يدير مثلا في بايلك الشرق تسعة وثلاثين قبيلة، وعادة ما تسند له خرجات ضد القبائل المضطربة[3]، ومنصب آغا الدائرة لا يتولاه من الناس إلا من كان من أبناء البيوت الكبار المؤهلين له غاية التأهيل[4].

و-الباش كاتب:

يتولى كتابة برقيات الباي، ويراقب المراسلات المكتوبة من الكتاب الآخرين، ويرسل برقيات تعيين موظفين آخرين، ويساعده في أداء مهامه كتاب فرعيون، مكلفون بكتابة التقارير الشفوية في القضايا الخاضعة لعدالة الباي، والمراسلات العامة مع الشيوخ والقياد.

---

[1]-احميدة عميراوي: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني -مذكرات تيبنا أنموذجا-دار الهدى، الجزائر، 2003. ص61-63.

[*]-هما وظيفتان منفصلتان لكنهما متشابهتان في المهام، والفرق بينهما أن؛ قايد الدار موظف إداري رسمي مكلف بتطبيق القوانين الإدارية في حين شيخ البلد: يشرف إشرافا أدبيا على أمور المدينة العامة، والإشراف على حسن جباية الضرائب من التجار والحرفيين، والمشاركة في الاجتماعات التي يدعو إليها نقيب الأشراف، وتوارث منصب قايد الدار أسرة ابن الأبيض منذ 1168هـ-1755م، حتى بداية القرن 19م أين استولت عليه أسرة ابن البجاوي، أما منصب شيخ البلد فقد احتكرته منذ بداية الحكم العثماني أسرة الفقون: انظر: معاشي: مرجع سابق.ص 129-130.

[2]-E. Vayssettes : Op. Cit, p25.

[3]-Ibid. P25

[4]-المزاري: مصدر سابق. ص272.

ز-الباش سيار:

يحمـــل إلى الجزائر برقيات الباي للباشا، ويسلمها له بنفسه ويتلقى الاتصالات التي يمكن أن تحدث، ويرافق الخلفية عند حمله الدنوش إلى الجزائر.

ح-الباش سايس:

يدخل تحت سلطته كل ما يتعلق بالحراسة ورعاية الخيول و الأحصنة التي يمتلكها البايلك و حمايتها.

ط-شاويش الكرسي (شاوش العرش):

عددهمـــا إثنان وأصلهما تركي، عندما يخرج الباي يسيران امامه مباشرة ويحييان الجمهور باسمه[1].

وجمـــيع هـــؤلاء الموظفيـــن الذين سبق ذكرهم، يشير Vayssettes إلى أنهم يحملون اسم مخازنـــي أي رجـــال الحكومـــة، وأنهم لهم حق التقرب من الباي، ومرافقته في كل خرجاته، فهم يمـــثلون مستشـــاريه الخاصـــين[2]، وتحـــت هؤلاء الموظفين السامين، الذين كونوا الإدارة العليا للمقاطعة، يأتي مجموعة من الموظفين أقل درجة، ولا يتصلون بالباي مباشرة إلا عند الضرورة[3].

ويمكن أن نخلص في هذا الفصل؛ إلى أن التنظيم الإداري في الجزائر خلال العهد العثماني كـــان تنظـــيما محكما، فالتقسيمات الإدارية وأجهزة الحكم التي عرفتها الأيالة، ساهمت في التسيير الحســـن لشؤون الدولة، ومكنت العثمانيون من السيطرة -ولو بشكل نسبي-على البلاد، وبقية الإيالة موحدة دون أي انقسامات، إلا إذا استثنينا بعض الثورات الداخلية الرافضة لسلطة العثمانيين.

وما ساعد أيضا العثمانيين في إدارة شؤون الإيالة، هو المحافظة على بعض التقاليد الإدارية التـــي كانت سائدة في العهد الحفصي والزياني، نظرا لملاءمتها لأوضاع البلاد، وتماشيها مع الحالة السائدة آنذاك بالأرياف والحواضر، فأبقوا مثلا على سلطة شيوخ القبائل ورؤساء العشائر، ودعموا

---

[1]-E. Vayssetes : Op-Cit.P 25-26.

[2]-Ibid. P26

[3]-لمزيد من المعلومات حول باقي الموظفين انظر: E. Vayssetes : Op-Cit.P 26-28.

-ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية. ص245-246.

-المزاري: طلوع سعد السعود، ج1. ص272.

مرابطـــي الطرق وشيوخ الزوايا، فحافظوا على أوضاع أراضي المخزن الخاضعة وأراضي السيبا الممتـــنعة، واكتفى بذلك الأتراك بالإشراف غير المباشر، بينما أعطيت للأعيان والموظفين المحليين المتعامليـــن مـــع أهالي الأرياف صلاحيات محدودة، خاضعة لتوجيهات الموظفين الأتراك المقيمين بالمدن العسكرية المهمة [1].

[1]-ناصر الدين السعيدوني: ورقات جزائرية. ص254-255.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

الدنوش ومكوناته

أولا: تعريف الدنوش

ثانيا: أصل ممارسة عملية الدنوش

ثالثا: مكوناته

1-الأموال النقدية (الكمية والعملات)

2-الأموال العينية (المنتجات والأسعار)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ظهـــر لـــنا ممـــا سبق، أن الإدارة العثمانية في إيالة الجزائر محكمة التنظيم في العديد من الجوانب، حيث حافظت على مجموعة من التقاليد طيلة تواجدها بالجزائر، وهو ما كان عاملا مهما فـــي تسهيل إدارة البلاد من جهة، واستمرار مؤسسات الدولة في تأدية المهام المنوطة بها من جهة أخرى، وإن كانت قد حدثت فيها بعض التغيرات.

وتعتـــبر عملية تقديم الدنوش إحدى التقاليد التي حافظت عليها الإدارة العثمانية في الجزائر لفـــترة طويلة، فهي لا تعد حدثا اقتصاديا فحسب، بل هي أيضا ظاهرة ذات أبعاد سياسية، تشرح لنا جانبا من العلاقة القائمة بين البايات كحكام للأقاليم، والباشوات كولاة على الإيالة ككل.

ولفهم هذا الحدث الاقتصادي والسياسي والإداري، ينبغي فهم مدلوله ومعناه، ومعرفة جانب مـــن الوضـــع الاقتصـــادي في تلك الفترة، المتمثل في نوعية البضائع والمنتجات والأموال النقدية المتداولة وقتها.

أولا: تعريف الدنوش

كانـــت المقاطعـــات الـــثلاث: الشـــرق-الغرب-التيطري تابعة لمركز السلطة التركية بدار السلطان، وتخضع لسلطة الباي الذي يُعيّنه باشا الجزائر، وكان كل باي ملزما بالدخول إلى للجزائر كـــل ثلاث سنوات، أن لم يلحقه عذر من مرض، وإلا بعث خليفته عوضا عنه، وذلك لتقديم الأموال والضـــرائب المفروضـــة علـــى بايلكه، ويسمى هذا التقديم "الدنوش"[1]. فقد كان البايات يخضعون لمحاسبات دورية تتم وفق قواعد تقليدية جرت الإدارة العثمانية بالجزائر عليها، فكان كل باي ملزما بـــأن يقوم بتلك المهمة بنفسه عند مرور أول سنة على تعيينه، ثم يبقى بعد ذلك يقوم بها بنفسه مرة كل ثلاث سنوات[2].

والدنـــوش نوعان، هناك الدنوش الكبير وهناك الدنوش الصغير، أما الأول فهو ما كان يقوم بـــه الـــباي بنفسه كل ثلاث سنوات، وإن كان بعض البايات يرسلون أحيانا بالخليفة بدلا عنهم، كما فعـــل مثلا الباي بوشلاغم باي الغرب، حيث كان خليفته محي الدين المسراتي هو المكلف بإيصال الدنـــوش الكبير[3]. وسنركز في بحثنا هذا على هذا النوع باعتبار أن المراسيم المصاحبة له تظهر

---

[1]-محمد بن يوسف الزياني: مصدر سابق. ص190.

[2]-خليفة حماش: مرجع سابق. ص87.

[3]-W.Esterhazy: Op-Cit. P173.

خاصة عندما يتنقل الباي بنفسه إلى الجزائر لتقديم الأموال والضرائب ومختلف الهدايا.

أمـــا الدنـــوش الصغير؛ فهو التقديم السداسي لضرائب البايلك لخزينة الأيالة بواسطة خليفة الـــباي ويكـــون في فصلي الربيع والخريف[1]، وعندما "يدنش الباي فإن خلفاؤهم لا يدنشون" حسب تعبـــير الـــزهار[2]، وفي هذا النوع لا تظهر المراسيم بشكل كبير كما هو الحال في الدنوش الكبير، وكـــلا النوعيـــن بمـــثابة مطلـــب عينـــي (بضائع ومنتجات) ومساهمة مالية توجه لتدعيم مساهمة المقاطعات في مداخيل الخزينة العامة للجزائر[3].

لكـــن إذا كـــان معنى "الدنوش"؛ هو الأموال العينية والنقدية التي يحملها البايات وخلفاؤهم لتقديمها لخزينة الأيالة بالجزائر، فما معنى كلمة الدنوش من الناحية اللغوية؟، وهل هي كلمة عربية أم تركية؟.

ورد لفظ الدنوش في العديد من الوثائق والمراسلات الموثقة في سجلات الإدارة العثمانية[4]، ولـــم نجد له شرحا في هذه الوثائق والمراسلات، بل مذكورة بشكل عفوي باعتبارها محلولا معروفا مستعملا من طرف الجميع، في حين نجد أحمد توفيق المدني[5] يذكر أن كلمة "الدنوش" كلمة محلية تعنـــي المحاســـبة على الضرائب، وهو نفس المعنى الذي أورده ناصر الدين سعيدوني[6] في كتابه "النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني".

وأمـــا W.Esterhazy فـــيذكر أن الفعـــل المشتق من كلمة دنوش هو "يُدنش" فنقول يدنش الـــباي، ويشـــرح ذلـــك قائلا: «أن في عمالة وهران نقول يشرق الباي أي يذهب إلى الشرق، وفي عمالـــة قســـنطينة نقول يغرب الباي أي يذهب إلى الغرب»، وهذا الفعل يعني أن هذا الباي يذهب

---

[1]-E.Vayssetes: Op-Cit. P31.

[2]-أحمد الشريف الزهار: مصدر سابق. ص35.

[3]-ناصر الدين سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية-الفترة الحديثة-**، دار الغرب الإسلامي. بيروت، 2001. ص334.

[4]-انظر: **الرسالة7، المجموعة 3206 الملف الأول والرسالة12-13**، المجموعة 6205 الملف الثالث، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

[5]-أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 . ص110. التهميش 2.

[6]-سعيدوني: **النظام المالي**. ص100 تهميش 70.

إلى الجزائر لأخذ اللزمة المفروضة عليه[1].

ويبدوا أن المعنى الذي قدم له لم يكن شرحا لغويا بقدر ما كان شرحا لمعنى الدنوش من الناحية الاصطلاحية.

والملاحظ أن أحمد الشريف الزهار الذي تحدث عن هذا المصطلح في بعض المواضع من مذكراته، ووصف بدقة الزيارة التي تتعلق به، صاغ هذا المصطلح بأساليب اللغة العربية، وأخضعه لقواعدها، فجعله مرة في صيغة الفعل ومرة في صيغة الاسم، فقال في الحالة الأولى[2]: «وقد كان من عادة البابالار (يقصد البايات) أنهم كانوا يدنشون كل ثلاثة أعوام»[3]. وقال في الحالة الثانية: «لما وقفت المهادنة مع الإصبانيول، كما ذكرنا جاء وقت الدنوش»[4]، وقال أيضا: «أما دنوش باي الشرق، فإنه يدخل الجزائر في فصل الصيف كل ثلاثة أعوام»[5].

لكن إذا رجعنا لمعنى "الدنوش" من الناحية اللغوية نجد أنه كلمة تركية تعني "العودة"[6]، ومن تم فحقيقته هي "دنوش Dönüs" الذي يعني العودة، وبناء على ذلك يكون معنى المصطلح هو عودة أو رجوع البايات بأنفسهم كل ثلاث سنوات، أو يرسلون نيابة عنهم خلفاءهم كل ستة أشهر إلى مدينة الجزائر، ليقدموا للباشا حساباتهم المالية وتقاريرهم العامة، وفق ذلك يعلنون خضوعهم له، باعتباره الحاكم الأول في البلاد، وصاحب اليد المطلقة على كل الموظفين بها، والمسؤول الأكبر على الأحداث التي تقع فيها، وانطلاقا من ذلك يحدد مصير الثقة التي وضعها فيهم الباشا عند تعيينهم، وذلك إما بتجديدها لهم وإلباسهم القفطان مرة أخرى أو سحبها منهم وتعيين من يخلفهم، وقد يعاقبهم زيادة عن ذلك، ويتحدد كل ذلك بناء على التقارير السرية التي تصله عنهم[7]. ومن جهة أخرى العودة كل ثلاث سنوات وتقديم الضرائب وفروض الطاعة تثبت مدى الولاء الذي يكنه الباي والبايلك ككل لمركز السلطة العثمانية بدار السلطان.

---

(1)-W.Esterhazy: Op-Cit P172.

(2)-خليفة حماش: "أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية"، تحية وتقدير للأستاذ خليل الساحلي أوغلو، ج1، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، أكتوبر-نوفمر 1997، ص153.

(3)-الزهار: مصدر سابق، ص29.

(4)-المصدر نفسه، ص36.

(5)-المصدر نفسه، ص46.

(6)-ديران كلكيان: مرجع سابق، مادة دونش. ص592.

(7)-خليفة حماش:" أهمية المصطلحات التركية"، ص88.

وهـذا التقديم يـأخذ صيغا احتفالية محكمة بطقوس دقيقة ومعبرة، فانتقال الباي إلى مدينة الجزائـر تصـاحبه احتفالات ومراسيم وتشريفات، تبدأ بتجهيز موكب الباي، من تحضير المحاصيل والأمـوال والمنـتجات المخـتلفة، ثـم الانطلاق نحو الجزائر مرورا بعدة محطات على الطريق السـلطاني، وأخيرا الاحتفال بوصول الباي وشروعه في توزيع الهدايا[1]، والتي يستفيد منها الباشا وحاشـيته من وزراء وموظفين سامين وكذا الرعية، فيقدم للباشا أحسن الهدايا قبل أن يدفع الغرامة (محصول الضرائب المتنوعة)، ويحصل بالمقابل على هدايا سنية تتمثل خاصة في قفطان التولية.

إذا مصـطلح الدنـوش الـذي يعني العودة، يؤكد لنا أن العبرة من تقديم الحسابات المالية والهدايـا المخـتلفة، والاحتفالات والمراسيم الطويلة المرافقة له، ليست فقط محاسبة ومتابعة الباشا لولاة مقاطعاته وجمع الأموال في خزينة الأيالة، بل هي قبل كل شيء إثبات للولاء وتجديد للولاية، فهـذه الضـريبة التـي يرسـلها الباي للباشا من قبل خليفته كل ستة أشهر، ويأخذها هو كل ثلاث سنوات، هي تأكيد لتبعيته وولائه للسلطة المركزية، وفي الوقت ذاته يتم بموجبه توقيفه أو تعيينه من قـبل الباشا، فإذا التمس فيه حسن النية والولاء قام بتجديد ولايته على رأس البايلك، أما إذا تبين له أنه غير وفي لواجباته وشك في ولائه يقوم بتنحيته، ويحدد ذلك انطلاقا من ضريبة الدنوش وقيمتها ومكوناتها[2].

ثانيا: أصل ممارسة عملية الدنوش

عـند دراستنا للتنظيمات الإدارية التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني، وصلنا إلى أن العثمانيـين فـي الجزائر حافظوا على بعض التقاليد الإدارية التي كانت سائدة في الفترة الإسلامية السـابقة، التـي ورثوها عن بقايا الإدارة الزيانية و الحفصية ومن قبلهم الموحدية[3]، لكن هل تقديم عوائـد الدنـوش إلـى الخزيـنة العامة بالجزائر يعود لهذه الفترة، أم أنها عملية استحدثتها الإدارة العثمانـية؟. وإذا كان الأمر كذلك هل نجد ما يماثله في الإيالات العثمانية الأخرى بالمشرق، أم أن الإدارة الجزائـرية انفـردت بهـذه الظاهرة؟ وأخيرا إذا انفردت به الجزائر هل تزامن ظهوره مع ظهور البايلكات وتعيين البايات عليها، أم أن تأخر إلى فترات لاحقة؟.

إذا رجعـنا إلى الفترات السابقة للعهد العثماني في الجزائر، نجد أن الدويلات التي كانت قائمة

---

(1)-الزهار: مصدر سابق. ص36 وما بعدها.

(2)-سيمياوي: مرجع سابق. ص55.

(3)-سعيدوني: ورقات جزائرية. ص254.

في المنطقة بدءا من دولة المرابطين والموحدين ثم الحفصيين والزيانيين، كان يحكمها أمراء يخضعون لسلطتهم ولاة الأقاليم[1]، وكان لهؤلاء الولاة سلطات واسعة، فكان لهم حق التصرف في تعيين أو عزل من دونهم من الموظفين، وتدبر أمور الجيش والقضاء وجباية الخراج والقيام بالتحركات العسكرية المختلفة وغير ذلك، لكن رغم اتساع سلطتهم إلا أن الأمراء المرابطين والموحدين لم يتركوهم دون رقابة وإشراف منهم، وذلك حتى لا يستبد أحد الولاة بولايته، وينفصل بها عن الدولة، فكان الأمراء يتفقدون الولايات ويطلعون على تصرفات عمالهم، كما كانوا يستدعونهم أحيانا إلى مركز الحكم لمحاسبتهم كما فعل الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن، حيث استدعى ولاة الأندلس في سنة 564هـ-1168م، وذلك للاطلاع على أعمالهم[2].

وفي بعض الأحيان كان الوالي ينتقل من ولايته متوجها للعاصمة ليعرض على الخليفة بعض المشاكل التي تواجهه، كما فعل أبو علي الحسين بن الخليفة عبد المؤمن الوالي في قرطبة، حيث توجه في سنة 575هـ-1179م إلى العاصمة مراكش لمناقشة بعض المشاكل في الأندلس مع الخليفة الموحدي[3]،

ومن خلال هذا نجد أن قضية محاسبة الحكام لولاتهم كانت واردة في السابق، وهذا أمر منطقي، لكن انتقال الولاة إلى العاصمة للمحاسبة لم يكن في وقت محدد أو بصورة منتظمة، كما لم أجد من خلال البحث أن هذه المحاسبات، وتقديم التقارير حول المقاطعات كان يشترط فيه التزامن في كل مرة مع تقديم الضرائب والمحاسبات المالية، وهل ولاة الأقاليم هم الذين يقومون بنقلها وتقديمها، أم أن الأمراء هم الذين يرسلون من يتولى هذه المهمة؟.

هذا بالنسبة للمحاسبة وتقديم الضرائب، أما بالنسبة تبادل الهدايا بين الباشاوات والبايات- وهي إحدى مراسيم الدنوش- فلم تكن ظاهرة جديدة استحدثت في الجزائر خلال العهد العثماني، فتبادل الهدايا بين الحكام والولاة ، عرفتها دويلات المغرب قبل هذه الفترة، بل أن التاريخ الإسلامي وحتى تاريخ الشعوب الأخرى عرف هذه الظاهرة.

ويتزامن هذا التقديم خاصة عند إعلان الطاعة والولاء لخليفة أو سلطان ما، فكانت الهدايا

---

[1]-انظر في الموضوع، روبار بروشنفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ج2، ترجمة حمادي الساحلي، ط1،دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988. ص99 وما بعدها.

[2]-حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس -عصر المرابطين والموحدين- ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980. ص137-138.

[3]-المرجع نفسه. ص139.

تـــزيد تأكيدا على هذا الولاء، فنجد أمراء وسلاطين دويلات المغرب في القرون الوسطى، يرسلون الوفود محملة بالهدايا إلى الخلفاء العباسين والفاطميين، لإعلان الطاعة والولاء لهم.

فـــيذكر ابن خلدون مثلا أن يوسف بن تاشفين، عندما بسط سيادته على الأندلس، أرسل إلى الخلـــيفة العباسي أحمد المستظهر بالله (487-512هـــ/ 1074-1118م)، بوفد من الأعيان وزوده بهديـــة ثمينـــة وكتاب يطلب فيه تقليدا بولاية البلاد، التي بسط نفوذه عليها فجاء الرد بتقليد الخليفة وعهد له بالولاية[1].

كمـــا ذكر ابن حيان في كتابه "المقتبس في أخبار بلد الأندلس"، أن العديد من أمراء البربر بـــالعِدْوَة (بـــلاد المغـــرب)، قـــد أعلنوا الطاعة والولاء للخليفة الأموي بالأندلس الناصر لدين الله، فأرسلوا إليه بالهدايا طلبا للمودة معترفين بطاعته، ومن هؤلاء الحسن بن عيسى الحسيني الذي كتب لـــه سنة 318هـــ/930 م معلنا عن ولائه وأرسل إليه مع الكتاب نيفا وعشرين فرسا عِدْوِيّة، وثلاثا وعشـــرين من كرام الإبل وعشرا من الضأن الدمانية وغزالين جميلين، وثمانية من النعام، فرضى الناصر لدين الله بذلك وعقد له الولاية[2].

لكن تقديم الهدايا هنا يختلف عن تقديم الهدايا المصاحب للدنوش، فهذه الهدايا كانت تقدم عند إعـــلان الـــولاء لأول مرة، أو في مناسبات معينة، كما أن الأمراء كانوا يرسلونها في بعثات تضم الأعـــيان والفقهـــاء، أما ما كان يقدمه البايات للباشوات في الجزائر فكانوا يؤدونه بأنفسهم وبشكل دوري كـــل ثـــلاث سنوات، أو مع خلفائهم كل ستة أشهر. لكن مع ذلك هناك هدف مشترك بينهما وهو تأكيد الولاء والطاعة واستمالة الحاكم وإرضائه.

ومـــنه نستنتج أن عملية تقديم الدنوش التي كانت تؤدى كل ثلاث سنوات من طرف البايات وفق مراسيم وتشريفات محددة لتأدية الضرائب وتقديم تقارير عن مقاطعاتهم، لم تعرفها الإدارة التي كانت سائدة في الفترة الإسلامية السابقة على للعهد التركي بتلك الصورة وبذلك الشكل، ومنه تكون قـــد استحدثت خلال العهد العثماني، وإن كانت فكرة محاسبة الحكام لولاتهم ودفع هؤلاء الضرائب للسلطة المركزية، وتبادل الهدايا فيما بينهم كانت واردة قبل هذه الفترة.

---

[1]-سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية، 1985. ص156.

[2]-ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: بيدرو شمنطار، ج5، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، الرباط، كلية الآداب، 1979، ص265.

وإذا كـــنا قد وصلنا إلى أن الدنوش هو تقليد عثماني استحدثه الأتراك فإن ذلك يوصلنا إلى إشكالية أخرى: هل انفردت الجزائر بهذا التقليد، أم أن الإيالات العثمانية الأخرى عرفت ما يماثله؟

الثابت أن التنظيمات الإدارية في الإيالات العثمانية مستمدة في الأصل من التنظيمات القائمة فـــي مركـــز هـــذه السلطة، لكن هناك اختلافات بين التنظيمات الموجودة بين الإيالات في الشرق ومثـــيلاتها فـــي الغرب وفي أوروبا، لكن الشائع بين هذه الإيالات هو إعطاء مقاطعات أو ولايات مقـــابل دفـــع مـــبلغ للسلطان، وقدر محدد من الضرائب للخزينة، ويكون على رأس الولاية وال له نصيب وافر من حرية التصرف[1].

وبالتالـــي فـــإن هـــذه الإيالات متشابهة عموما من الناحية التنظيمية، لكن تختلف في بعض الجوانـــب، فمن خلال المراجع التي تم الاطلاع عليها لم أجد ما يماثل الدنوش في الإيالات العثمانية بشـــكله المعـــروف في الجزائر، وتبقى الفكرة الأساسية الموجودة هي تقديم الولاة للحكام الضرائب والـــتقارير الخاصة بمقاطعاتهم، إضافة إلى تبادل الهدايا، وهذه هي الأشكال التي كانت موجودة في الـــدول الإســـلامية منذ العصور الوسطى، فيما يتعلق بعلاقة الحكام بولاة مقاطعاتهم، في حين تبقى الاختلافات بينها في بعض التفاصيل.

ومـــن خلال ما سبق، نصل إلى أن عملية تقديم الدنوش بتلك الطريقة التي يقوم بها البايات فـــي الجزائـــر، اســـتحدثتها الإدارة العثمانية في هذه الأيالة، لأنه لم يكن لها مثيل لا في الدويلات الإســـلامية الســـابقة لهـــذه الفـــترة، ولا في الإيالات العثمانية الموجودة في المشرق، لكن متى تم اســـتحداثها فـــي الجزائر؟، وهل أوردت المصادر أول البايات الذين قاموا بتقديم الدنوش إلى مركز الســـلطة بالجزائـــر و أصبحت بذلك تقليدا متبعا في الإدارة العثمانية بالجزائر؟ ثم هل عرفت هذه العملية تطورا خلال مراحل الحكم العثماني بالجزائر؟.

إذا رجعنا إلى المصادر التي تناولت موضوع الدنوش، نجد أنها لم تذكر متى ظهر الدنوش لأول مـــرة، ومـــن هم أول البايات الذين قدموا إلى الجزائر لتأديته، فأحمد الشريف الزهار مثلا في مذكـــراته-وهـــو أهـــم مصـــدر تحـــدث عن موضوع الدنوش بإسهاب وشرح بالتفصيل المراسيم المصاحبة لهذه العملية- قال: «...فلما رجعت (قسنطينة) لحكم الجزائر سكن باي الشرق بها، فكان

---

[1]-عبد العزيز الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط4، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1982. ص121.

هذا الباي هو أصغر البايات في التقديم...»[1].

فـإذا افترضنا أن الزهار يعني بـ "هذا الباي" هو أول باي أرسل إلى قسنطينة تكون تأدية الدنـوش، قد انطلقت مع أول البايات الذين أرسلوا إلى البايلكات الثلاث، أما إذا كان يعني بها بايات قسـنطينة إجمالا فإن ظهوره لم يتزامن مع إرسال البايات لأول مرة، ويبدوا أن الرأي الثاني أرجح لأنـه تحـدث عـن بايلك الشرق دون أن يشير إلى باقي البايلكات، وهو دليل على انه يتحدث عن الموضـوع إجمالا، كما أنه بعد بضع أسطر من هذا يعود فيقول:«وكان هؤلاء البايات يدنشون كل ثلاث سنوات وخلفائهم يدنشون مرتين في السنة»[2]، دون أن يشرح متى بدأ ذلك.

ومـنه، فإن استحداث هذه العملية وجعلها تقليدا متبعا في الإدارة العثمانية بالجزائر، لم يرد فـي المصـادر التي تم الاطلاع عليها، كما لم يرد تطور هذه العملية إذا كانت عرفت تغيرات منذ بدايتها وحتى نهاية العهد العثماني بالجزائر، أين توقف البايات عن تأديتها بعد سقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي.

وعلـيه نتسـاءل أن كان استحداث هذه العملية وممارستها قد تزامنا مع التغير الذي عرفه نظام الحكم العثماني بالجزائر، حين استبدل منصب البيلرباي الذي كانت له صلاحيات واسعة ومدة طويلـة في الحكم سنة 1588 "بالباشا"، الذي أصبح يعين بقرار من الباب العالي كل ثلاث سنوات، وذلـك خوفا من استقلال الجزائر عن مركز الدولة العثمانية باسطنبول، وانفراد الحكام في الجزائر بالسلطة؟

منطقـيا نجد أن هذا الرأي أقرب إلى أن يتقبله العقل، فتقسيم الجزائر إلى ثلاث بيالك ودار السـلطان وتعيـين باي على رأس كل بايلك يتطلب متابعة دورية لهم ومراقبتهم تجنبا لحدوث أي انفصـال وتمرد عن دار السلطان[3]، فكان تعيين الباي لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد بعد زيارته لمدينة الجزائر وتقديم عوائده الوسيلة لتحقيق ذلك.

ومـنه فإن استحداث تقديم عملية الدنوش كل ثلاث سنوات تزامن ظهورها بعد 1588 سنة تغيير نظام الحكم في الجزائر إلى نظام البشاوات، الذين يعينون لمدة ثلاث سنوات، لكننا لا نستطيع أن نجزم بهذا الأمر، لأنه يبقى مجرد افتراض لا توجد مصادر تدعمه.

---

[1]-الزهار: مصدر سابق. ص35.

[2]-المصدر نفسه. ص35.

[3]-مشي: مرجع سابق، ص67.

ولذلـك سنحاول أن نعود إلى المصادر للبحث في الموضوع، فإذا لم نجد في المصادر متى تـم استحداث عملية تقديم الدنوش وأصبحت تقليدا متعارفا عليه يقوم به البايات كل ثلاث سنوات؟! سنبحث متى ذكرت المصادر هذه العملية لأول مرة؟ ومن هو الباي الذي ذكر اسمه لأول مرة أيضا في تأدية الدنوش إلى مدينة الجزائر؟

يذكر محمد صالح العنتري في "تاريخ بايات قسنطينة" أن سكان قسنطينة عندما اجتمع رأيهم على "سي فرحات" بأن يكون واليا عليهم أخبروا الباشا في الجزائر بذلك، فكتب له الأمر وأرسل له بالقفطـان، فدخـل الناس تحت طاعته، فجمع أموال من الزكاة والعشور وحملها إلى الجزائر سنة 1063هـ/1749م، ومعـه أشراف البلاد فاستقبله أكابر الدولة وعظموه، وبقي في الجزائر ثمانية أيام[1].

ولـم يذكـر العنتري ما إذا أصبحت هذه الزيارة فيما بعد "عادة" يقوم بها البايات كل ثلاث سنوات؟ وهل رجع "سي فرحات" أو حتى ابنه "محمد" بعد ثلاث سنوات من ذلك إلى الجزائر أم لا؟

كمـا لم يذكر مصطلح "الدنوش" عند العنتري إلا ابتداء من الباي "حسين بوكمية" (1125-1149هـ/1713-1736م)، حيـث يقول عنه: «...لما طالت ولايته وبدت قوته، طلب الإذن من الباشـا بالجزائـر لأجل أن يمشي إليه بقصد زيارته والوقوف ي حضرته، فأعطاه الإذن... فحينئذ نهض وعبأ من تلك الأموال التي جمعها لتكون له الحرمة والرياسة، ثم تقدم إلى الجزائر في موكب عظـيم... فلما حل في حضرة الباشا تأدب وأعطاه حق سلطته ثم سلم له تلك الأموال ففرح بها... وأقـام في ضيافته ثمانية أيام بعدها أذن له الباشا بالرجوع إلى قسنطينة فارحا (كذا) مسرورا، وهذا هو المتسمى (كذا) عندهم "بالدنوش" وهي كلمة عجمية (كذا)» [2].

ومـا ذكره العنتري يعد أول ما ذكر عن الدنوش من خلال المصادر، والوصف الذي قدمه لمراسيم الدنوش هي نفسها المراسيم التي عرف بها فيما بعد.

ومع أن العنتري لم يذكر أن الباي "بوكمية" أول باي يقدم الدنوش إلى الجزائر، إلا أن هناك ملاحظة تستدعي الاهتمام، فهذا الدنوش الذي قدمه "بوكمية" جاء بعد سنة 1125هـ/1713م تاريخ تولية هذا الباي على قسنطينة.

---

[1]-أحمد سيساوي: فريدة مؤنسة في حال دخول قسنطينة المشهور بـ"تاريخ بايات قسنطينة"، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1980-1981، ص73-75.

[2]-المرجع نفسه، ص86-87.

ورجوعا إلى الوقائع التاريخية، فإنه في سنة 1123هـ/1711م، قام الداي "علي شاوش" بطرد الباشا المبعوث من السلطة العثمانية بالجزائر، وإنهاء وجودهم بها وأصبح الداي يختار من بين الانكشارية الموجودة بالجزائر من طرف الديوان[1].

فهل يمكن أن تكون عملية تقديم الدنوش قد استحدثها الدايات بعد هذه الفترة التي حدث فيها انفصال شبه كلي عن الدولة العثمانية بعد رفض استقبال الحاكم المعين من طرفها؟!

وحتى يضمن الدايات/ الباشاوات عدم استقلال مقاطعات الجزائر الثلاث كما -استقلت الجزائر عن استنبول- أصبح البايات يعينون لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد، انطلاقا مما يقدمونه من عوائد وهدايا إلى الباشا ووزراء الديوان أو ما يسمى بالدنوش، وهم بذلك يخضعون الباي لامتحان دوري يضمنون من ورائه الولاء والتبعية ووحدة الإيالة.

ومع ذلك فإن هذا الرأي يبقى فرضيا لا يمكن الجزم بها نهائيا طالما أن العنتري لم يذكر أن الباي "بوكمية" أول من قدم الدنوش إلى مدينة الجزائر، لكن هناك بالمقابل حقيقة أكدها لنا العنتري وهي ما يتعلق "بالدنوش الصغيرة" أو العوائد والضرائب التي يقدمها خليفة الباي إلى الجزائر كل ستة أشهر في فصلي الربيع والخريف.

فقد ذكر أن الباي "زرق عينو" باي قسنطينة (1149-1170هـ/1736-1756م) وضع أو استحدث وظائف المخازنية في إدارة البايلك منها: الكتاب، الأغوات، الشواش، آغا العرب، قايد الدار، المحتسب، صاحب الشرطة، الخليفة وهو: «المتكلف بالمال الذي يمشي من عند باي قسنطينة إلى الجزائر ليوضع في الخزنة، ويسمى "بالبياش" -وهو لفظة أعجمية- يمشي في كل عام مرتين، مرة في فصل الخريف، لكن في الزمان المتأخر صاروا يسمونه "بدنوش الخليفة" غير الدنوش المتقدم ذكره (يقصد الدنوش الذي قدمه الباي بوكمية)»[2].

ومنه فإن الدنوش الصغير استحدثه باي قسنطينة الباي زرق عينو، خلال منتصف القرن 18م بعد أن كان البايات يمارسون هذا التقليد كل ثلاث سنوات.

ويؤكدوا لنا هذا الأمر الفرضية السابقة من أن الدنوش الكبير استحدث بعد سنة 1711 لأنه من غير المحتمل، أن تكون الفترة بين استحداث الدنوش الكبير والصغير لمدة طويلة جدا قد تصل

---

[1]-صالح عباد: مرجع سابق، ص152.

[2]-سيساوي: **فريدة مؤنسة**، ص92-93.

إلـــى قرون بل بالعكس من الطبيعي أن تكون الفترة الزمنية بينهما قصيرة نسبيا، ومنه ففكرة ظهور الدنوش مع بداي مرحلة الباشاوات (1588-1659) فكرة مستبعدة، نظرا لبعد الفترة الزمنية، كم أن فكرة ظهوره بعد سنة 1711 ما زالت تحتاج إلى مصادر أخرى تدعّم ما ذكره العنتري.

ثالثا: مكوناته

إن مـــا كـــان يقدمه البايات للسلطة المركزية من ضرائب وهدايا كان يشكل عوائد بايلكهم، وهـــذه العوائـــد هـــي ما يسمى بالدنوش الأصغر، الذي يقدمه خليفة الباي كل ستة أشهر في فصل الربـــيع والخريف، أو ما يسمى بالدنوش الكبير الذي يقدمه الباي بنفسه كل ثلاث سنوات[1]. ويتألف مـــن كميات من المنتجات العينية مثل القمح والشعير والعسل، والشمع والزيتون و الأغنام والأبقار والخيل والكسكس المحضر والبرانس والأغطية والحصر، بالإضافة إلى مبلغ من النقود[2]، وما كان يدفعه خليفة الباي يمثل نصف ما يدفعه الباي في كل شيء إلا في المصوغ، فلا يهديه الخلفوات[3].

وتخـــتلف مكونـــات الدنوش النقدية والعينة من باي إلى آخر، ومن بايلك إلى آخر، وسنقوم بدراســـتها بشـــيء من التفصيل من حيث النوعية والكمية، والعملات بما فيها المستعملة مع تقدير قيمتها و أسعارها، انطلاقا مما جمعناه من معطيات متناثرة.

1-الأموال النقدية (الكمية والعملات):

لـــم تكن قيمة الدنوش متساوية بين البايلكات الثلاث، فقد كانت تختلف من بايلك لآخر. فنجد دنـــوش بايلك الشرق مثلا أكبر من دنوش بايلك الغرب والتيطري مجتمعين في بعض الحالات، أما هذا الأخير فكان أقلهم عوائد وهدايا لأن باسلك الشرق هو الأكبر مساحة و سكانا و ثروة[4].

فيذكر "V. De Paradis" مثلا أن الحصة النقدية التي كان يقدمها محمد الكبير باي الغرب تقـــدر بثلث ما يدفعه بايلك قسنطينة، إلا أن ما كان يدفعه كحصة عينية يعدّ أضعاف ما كان يدفعه صـــالح باي قسنطينة إلى الخزينة، حيث كانت تلك الحصص تقدر بما يزيد عن ثلاثة آلاف قرش،

---

(1)-فتيحة الوليش: الحياة الحضرية لبايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993-1994. ص19.

(2)-سعيدوني: دراسات تاريخية . ص342.

(3)-الزهار: المصدر السابق. ص46.

(4)-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وهي تتكون من منتجات مختلفة[1].

ويـــرجح V. De Paradis سبب ذلك إلى قيمة البضائع التي كان يدفعها الباي محمد الكبير علـــى الـــرغم من أن قيمتها الحقيقية ليست كذلك، فقيمة بضاعة الشمع مثلا لم يكن يصل ثمنها إلى خمســـين قرش، كما أن الكيلة الواحدة من القمح لم تكن تصل هي الأخرى إلى نصف جنيه، إضافة إلى أن العبيد الذين كان يقدمهم لم يكونوا يكلفونه أي مبلغ يذكر[2].

لكـــن إذا أخذنـــا هذه المنتجات بقيمها الحقيقية، سنجد أن قيمة ما يدفعه الباي محمد الكبير للخزينة العامة لا يزيد كثيرا عما يقدمه صالح باي قسنطينة فعليا[3].

فـــلا يهـــم مـــا تكلـــف هذه المنتجات الباي محمد الكبير لكن المهم ما قيمتها في السوق أن وضـــعت للبيع! فالعبد الواحد مثلا كان يقدر تقريبا بـــ500جنيه جزائري[4]، ونفس الشيء بالنسبة للمواد النادرة الضرورية مثل الشمع، فكم تكلف الخزينة لو تم استيرادها؟!

ولدراسة مكونات الدنوش بشكل أوسع تم وضع جدول لتصنيف هذه المكونات النقدية، وذلك بالـــرجوع إلى ما أوردته بعض المصادر والمراجع، وركزنا على الدنوش الكبير لأهميته من جهة، ولتركيز المصادر بدورها عليه من جهة أخرى.

---

(1)-V. De Paradis : Op- Cit. pp146-148.

(2)-Ibid., p147-148.

(3)-صالح فركوس: **بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير 1779-1796م**، دبلوم الدراسات المعمقة ، جامعة قسنطينة،1979 .ص144.

(4)-V. De Paradis : Idem. p148.

المصدر	دنوش بايلك الشرق	دنوش بايلك الغرب	دنوش بايلك التيطري	دنوش أوطان دار السلطان	نوع العملة
Shaw[1] 1720	120.000 أو 300.000	100.000 أو 250.000	50.000 أو 125.000	50.000 أو 125.000	قروش فرنك
L .De Tassy[2] (1725	من 80.000 إلى100.000	من 40.000 إلى 50.000	12.000	12.000	ريال بوجو
Thednat[3] 1782		333.000			جنيه
الزهار[4] 1785	110.000	110.000	80.000	20.000	ريال بوجو
كاتكارت[5] 1788	100.000 و24.000				باتكا جوداس سكوين
V. De paradis[6] 1790-1788	228000	273000	67000	50000 125000 فرنك	بياستر (قرش قوي)
W. Shaler[7] 1822	60000	75000	40000	16000	دولار اسباني
Rozet[8] 1833	778811	622402,5	41021,3		فرنك

(1)-سعيدوني: **النظام المالي**. ص102.

(2)-المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

(3)-عميراوي: مرجع سابق. ص114.

(4)-اعتمدنا هذه الأرقام عن سعيدوني: **النظام المالي** رغم أننا لم نتعرف كيف توصل إليها، لأننا قمنا بحساب المبالغ التي ذكرها الزهار ووجدناها بعيدة عن مبالغ سعيدوني، ولأن الزهار أحيانا لا يذكر المبلغ بالضبط، اعتمدنا مبالغ سعيدوني تجنبا للخطأ.

(5)-كاتكارت: مصدر سابق. ص116.

(6)-V. De Paradis : Op-Cit. PP145-148.

(7)-شالر: مصدر سابق. ص159.

(8)-A. Nouschi : **Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919**, Paris, 1961, p110.

ومـــن خلال هذا الجدول، يبدو الفرق واضحا بين دنوش البايلكات الثلاث، من حيث المبالغ الـــنقدية، فيـــبرر لنا دنوش بايلك الشرق في الطليعة من حيث المبالغ التي يساهم بها، ويقاربه بايلك الغـــرب –وإن كـــان فـــي بعض المصادر هو الأكثر قيمة–، ثم يأتي بايلك التيطري وأوطان دار السلطان في نفس المرتبة تقريبا، وهذه القيم الواردة في الجدول جاءت في سنوات مختلفة ومتباعدة، وبعملات مختلفة أيضا.

والملاحـــظ أن هذه المبالغ ذات قيمة كبيرة، خاصة ما يتعلق ببايلك الشرق والغرب، فيذكر "W.Esterhazy" أن ســـفر البايات إلى الجزائر يكلفهم مليون على الأقل، أي ما يساوي 100000 ســـكة جزائـــرية دون حساب المصاريف[1]، ونتساءل لماذا دنوش الشرق ويليه دنوش الغرب أكبر قـــيمة مـــن دنوش مقاطعة الوسط؟ ثم لماذا هذه المبالغ المالية التي أوردتها المصادر مختلفة القيمة، هل هذا راجع لاختلاف العملات، أم أن قيمة الدنوش أصلا مختلفة من سنة لأخرى؟

الملاحـــظ أن عوائد الدنوش تزيد وتقل بحسب ما يملكه البايلك من ثروات وخيرات و منه فـــإن بـــايلك الشـــرق يعتـــبر الأهـــم من حيث القيمة المالية، نظرا لعدد سكانه المرتفع والمساحة الشاســـعة(*)، وثـــرواته الكبـــيرة، وتربـــته الجيدة، ومناخه المعتدل في بعض الجهات، إضافة إلى خصـــائص إيجابية أخرى سبق ذكرها[2]. ويليه من حيث هذه المميزات بايلك الغرب، وإن كان أقل مـــنه مساحة وسكانا وثراء، وهذا ما يفسر ارتفاع قيمة دنوش هذين البايلكين عن مقاطعة التيطري وأوطان دار السلطان، وهو ما سنلمسه أيضا في المكونات العينية نتيجة للأسباب نفسها تقريبا.

ونتـــيجة لما يملكه هذين البايلكين من خصائص ومميزات، من حيث المساحة وعدد السكان والـــثروات المختلفة، ارتفعت عوائد البايلك المتمثلة أصلا في الالتزامات المالية المأخوذة من القبائل القاطنة بأراضيه الواسعة، وهي على شكل ضرائب متنوعة.

ومـــن المظاهر التي تسترعي النظر، أن ميزانية بايلك الشرق والغرب كانت تفوق ميزانية دار السلطان التي يديرها الداي نفسه.

فقـــد كانت ميزانية المنطقة الشرقية حسب ما ورد في ملفات عثر عليها في قسنطينة سنة 1837م أثناء الحملة الفرنسية عليها، تتضمن مداخيل الضرائب التي بلغت 5076705 فرنكا، أي ما

---

(1)-W. Esterhasy : Op-Cit. p146.

(*) –انظر مساحة بايلك الشرق والمناطق التابعة له في الفصل الأول.

(2)-H. Vayssetes; Op-Cit. p145.

يتجاوز مليار من فرنكات 1955م.

في حين أن ميزانية البلاد كلها حسب الاستنتاجات من الملفات التابعة إلى خوجة الخيل وكراس العشور، التي وضعها أفراد من الجيش الوافدين مع الماريشال De Bourmont سنة 1830، لم تتضمن من المداخيل من الصنف، نفسه إلا بمقدار 16000000 فرنكا، أي بين 300 و 350 مليون فرنك 1955[1].

كما أنه وحسب الجدول السابق، فإن مجموع ما يقدمه البايات وقياد أوطان دار السلطان يصل إلى مبالغ كبيرة، فما أورده ويليام شالر مثلا سنة 1822 وصل مجموعه إلى 155000 فرنك، وهو ما يمثل حوالي 50 مليون فرنك بحساب فرنكات سنة 1955م،أي بنسبة أكثر من20 % من المجموع العام من ميزانية البلاد، وهذه الظاهرة تدل على مدى للبايات من مداخيل ومدى ما يرجع للدولة من أموال نتيجة المدخول العام ونسبة الإنتاج في البلاد[2].

ولأن المبالغ الواردة في الجدول جاءت بعملات مختلفة، فقد وضعنا جدولا آخرا حاولنا فيه التعريف بهذه العملات، من حيث قيمتها ونوع المعدن المصنوع منه، وذلك لتوضيح الاختلافات الحاصلة بينها، وكيف أن ذلك يؤثر في اختلاف قيمة الدنوش النقدية من مصدر لآخر.

---

[1]-أوتدري برينان وأوتدري نوشي وإيف لاكوست: الجزائر بين الماضي والحاضر، ت: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص138.

[2]-المرجع نفسه. ص138.

المصدر	العملة	قيمتها	المصدر المعتمد	نوع المعدن	أصلها
shaw 1720 1785 الزهار 1788 كاتكارت	الريال بوجو البانكاجودس (الريال)	1,883 فرنك 3,3 فرنك 28 مصون	سعيدوني: النظام المالي ص208 الزبيري: التجارة الخارجية ص71 شالر: المصدر السابق ص261	الفضة	الجزائر
تيدنا 1782	الجنيه	5 فرنك	سعيدوني: النظام المالي ص202		فرنسا
V. De Paradis 1788	البياستر (قرش قوي)	6,50 فرنك	عائشة غطاس: مرجع سابق، ص115[1]		إسبانيا
كاتكارت 1788	السكوين	108 مصون	شالر: مصدر سابق ص261	الذهب	الجزائر
شالر 1822	الدولار الإسباني	5,43 فرنك 5,25 فرنك 3,40 فرنك	شالر: مصدر سابق ص260 سعيدوني: النظام المالي ص201 سعيدوني: النظام المالي ص201		إسبانيا
L. De Tassy 1725 Rozet 1833	الفرنك	0,55 بوجو	Nouschi : Op-Cit. p110		فرنسا

والملاحظ من خلال الجدول؛ أن هذه العملات منها ما هي جزائرية محلية، ومنها ما هي أجنبية، فمن العملات المحلية نجد: ريال بوجو -سكوين- أما الأجنبية فهي: البياستر-والدولار الإسباني- الجنيه-الفرنك الفرنسي، وللإشارة فإن قائمة العملات المحلية والأجنبية لا تقتصر على القائمة التي وردت في الجدول فقط، فهناك الكثير من العملات الأخرى.

ويتم ضرب العملات المحلية في مدينة الجزائر بدار السكة، وهي تضرب باسم السلطان الحاكم آنذاك في اسطنبول ، أما العملات الأجنبية فقد وصلت إلى الجزائر بطرق مختلفة، وذلك إما من تعاملها مع الشركات الأجنبية، وحصولها على حصتها من الإتاوات والهدايا الدولية، وإما من إجراءات فدي الأسرى المسيحيين، ونشاط المؤسسات الفرنسية بالشرق الجزائري[2].

---

[1]-عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1985، ص155.

[2]-سعيدوني: النظام المالي. ص194.

وأهـم العمـلات الأجنبـية المنتشرة في الجزائر آنذاك: عملات إسبانيا وتونس والمغرب الأقصـى، والأقطـار العثمانـية بالمشرق والدويلات الإيطالية، والبرتغال والنمسا وفرنسا، وتعتبر العملـة الإسـبانية أهـم العمـلات الأجنبية المنتشرة في الجزائر، قد ساعدها على ذلك الكشوفات الجغرافـية في العالم الجديد، وتهاطل المعادن الثمينة عليها، إضافة إلى هجرة الأندلوسيين واليهود نحـو الجزائر، وحيوية النشاط الاقتصادي الذي مارسه هؤلاء، كما أن وجود الإسبان في السواحل الجزائـرية لمدة طويلة، خاصة بوهران والمرسى الكبير (1509-1792)، ساهم في انتشار العملة الاسبانية بالجزائر[1].

ونتـيجة لتنوع العملات في الأسواق الجزائرية فإن هذا يصعب علينا الدراسات المتعلقة بها لأن ذلـك يتطلـب تحديد قيمتها وهو ليس بالأمر السهل، لأن قيمتها غير ثابتة وتتغير باستمرار، والمصـادر الموجـودة غـير كافية لمثل هذه الدراسات، وبما أن المبالغ الواردة في الجدول الأول تخـتلف مـن مصدر لآخر، ووردت بعملات مختلفة في سنوات مختلفة أيضا ، فإن كل هذا يعتبر عاملا قويا يجعل قيمة الدنوش تختلف من مصدر لآخر.

فـنجد مـثلا L. De tassy يذكر أن قيمة دنوش بايلك الشرق لسنة 1725 كان 300000 فـرنك، بيـنما يذكـر Rozet 778811 فرنك لسنة 1833، كما يذكر الدكتور Shaw أن دنوش بايليك التيطري سنة 1720 كان 12,000 ريال بوجو، في حين يذكر الزهار سنة 1785، 80000 ريال بوجو.

والملاحظ هنا أن رغم التشابه في العملة بين هذه المبالغ، إلا أنها غير متساوية ومنه فإن اختلاف الفترة الزمنية هي علة هذا الفارق في قيمة الدنوش، لكن كيف لهذا الاختلاف أن يكون سببا لحدوث هذا الفارق؟

مـن المهـم أولا أن نذكر أن النقود المعدنية المستعملة في الجزائر، سواء المحلية منها أو الأجنبية كانت تواجه أوضاعا صعبة، نظرا لصعوبة تحديد قيمتها تحديدا دقيقا ثابتا، وهذه الصعوبة راجعـة إلـى عدم استقرار الوضع الاقتصادي بالبلاد، وما انجر عنه من تذبذب في أسعار التبادل التجاري، مما جعل قيمة النقود تتغير من وقت لآخر[2].

فقـد تتغير بعد عدة سنوات أو من سنة لأخرى، وأحيانا تتغير قيمتها في السنة عدة مرات،

---

[1]-سعيدوني: النظام المالي. ص 195-196.

[2]-المرجع نفسه. ص212.

فالأكـيد أن قيمة المبلغ الذي ورد سنة 1720 يختلف عن قيمة المبلغ الذي ورد سنة 1785، وطبعا هـذا يصـعب علينا مقارنة هذه المبالغ المالية مع بعضها البعض، حتى وإن كانت من نفس العملة، ويصـعب أيضـا تحديـد قيمتها الحقيقية، فقيم العملات التي أوردناها في الجدول الخاص بها، هي ليسـت بالضـرورة قيمـتها الحقيقية في تلك السنوات التي تعود إليها، لأننا رجعنا في تقييمها إلى مصادر غير المصادر التي أوردتها في الأصل.

فـنجد مـثلا قـيمة "الريال بوجو" الذي ذكره Shaw سنة 1720م، والزهار سنة 1785م جـاءت بثلاث قيم: 1,883 فرنك- 3,3 فرنك- 28 مصون، وكل قيمة تعود لمصدر مختلف، هو نفسـه يخـتلف عن المصدر الذي أورد تلك العملة في الأصل، وبالتالي من الصعب معرفة قيمتها الحقيقية ومقارنة المبلغ الذي ذكره Shaw مع المبلغ الذي ذكره الزهار.

كما أن البوجو وهو يكاد يكون الوحدة الأساسية الشائعة بالنسبة للنقود الفضية، لا يمكن أن نتخذه أساسا لتقييم النقود الفضية الأخرى، لأن النظام المالي جعله يتعرض لألف تعديل وتغيير[1].

إذا فإن التغيرات التي تتعرض لها قيمة العملات، تعتبر من الأسباب الرئيسية لتفاوت عوائد الدنـوش مـن مصـدر لآخـر، لكن اختلاف قيمة العملات ليس السبب الوحيد لاختلاف قيمة هذه العوائد.فمن جهة أخرى، نجد أن العوائد الفصلية التي يقدمها البايات للخزينة العامة، تختلف من سنة لأخرى، وذلك تبعا لتأثير العوامل الطبيعية وما ينجر عنها من القحط والمجاعة والأوبئة على تطور كمية الإنتاج وأسعاره، وبالتالي تؤثر في مداخيل البايلك وما يجمعه من ضرائب.

ولذلـك نجـد أن السـنوات التـي يعاني فيها البايلك من القحط وندرة المحاصيل وتعاقب الكوارث، يكون فيها المردود الزراعي والحيواني ضعيفا، وهو ما ينعكس سلبا على العوائد الفصلية للبايلك، وخلافا لذلك. فالسنوات التي تتميز بالرخاء ووفرة الإنتاج ترتفع فيها قيمة هذه العوائد.

فلو رجعنا إلى الكوارث الطبيعية والصحية التي أوردها سعيدوني ابتداء من النصف الثاني مـن القرن 18 وحتى نهاية الفرة العثمانية[2]، نجد مثلا أن سنة 1822م تعرضت فيها الجزائر إلى زحـف الجراد وانتشار الأوبئة، ومن خلال الجدول نجد أن ما قدمه ويليام شالر من عوائد الدنوش والـذي كـان سـنة 1822م يعتبر قليلا مقارنة بما أوردته باقي المصادر، ومنه فإن هذه الكوارث الطبيعـية والمشاكل التي تتعرض لها البلاد، لها دور كبير في ارتفاع أو انخفاض قيمة الدنوش التي

---

[1]-سعيدوني: ورقات جزائرية. ص215.

[2]-المرجع نفسه. ص 558-570.

يقدمها البايات للخزينة العامة.

وهـناك فرضـية أخرى يمكن أن نستند إليها في اختلاف عوائد الدنوش من مصدر لآخر، وهـي أن هـؤلاء الباحثين والمؤرخين جمعوا المعلومات المتعلقة بهذه العوائد من مصادر مختلفة، فمـنهم مـن يرجع إلى الدفاتر والوثائق الرسمية التي تسجل مثل هذه المعلومات، ومنهم من يعتمد علـى ما يصل إليه من معلومات وأخبار من أشخاص معينين، وهناك من يكون حاضرا عند إعداد هـذه المكونـات والعوائـد، كما هو الحال بالنسبة لتيدنا خزندار باي معسكر. ومنه، فإن اختلاف المصدر الذي يجمعون منه معلوماتهم يؤدي بالضرورة إلى اختلاف قيمة العوائد.

إذا، كـل هذه الأسباب السابقة يمكن أن تفسر لنا الاختلاف الحاصل بين المصادر في قيمة عوائد الدنوش في نفس البايلك، أو من بايلك لآخر.

2-الأموال العينية (المنتجات والأسعار):

كمـا رأينا سابقا، فإن عوائد الدنوش سواء الصغير أو الكبير تتكون من مبالغ نقدية وكمية مـن المـواد العينية، كالقمح، الشعير، العسل، الزيتون، الأغنام، الأبقار، الخيل، الكسكس، البرانس، الأغطـية والحصر... وغيرها من المنتجات التي ينتجها البايلك، ويحملها الباي كل ثلاث سنوات، خليفته كل ستة أشهر إلى الجزائر.

ولتسـهيل دراسـة هذه المكونات العينية، قمنا بوضع جدول مماثل للجدول السابق الخاص بالمبالغ النقدية، يشمل هذه المواد المختلفة، وذلك رجوعا إلى بعض المصادر.

المصدر	مواد غذائية	حيوانات	ألبسة وأفرشه	أشياء أخرى	الباي
تـــيدنا[1] 1782	25 جلـد تيس ملبنة بالسمن 25جرة كبيرة من العسل	25 بغل حصان	25 لحاف صوف أحمر 50 زوجا خف حمراء 50 لباس صوف	12 عبدا 25 قنطار شمع	بـــاي معسكر
الـــزهار[2] 1785	20 قـــنطار سمن أكـثر من 20 قنطار عسل 20 قـــنطار جوز	خيول نمـــور وسباع بقر وحشي	برانس زغداني حياك قرمز تلمساني حياك حرير صنعة فاس البلاغي والرواحي بالذهب اشترانبيات بالذهب	أكـثر من 30 عبدا كبار أكـثر من 20 عبد صغار أكثر من 30 قنطار شمع أثاث ومصوغ	بـــاي الغرب
	السمن المحـــور (كمـــكس مجفف)	المواشـــي التونسية الخيول	المصوغ- الملبوس- سبح العنـــبر والمـــرجان- الـــبرانس السوســـدي والجريدي والقفصي المجبود (جلد مطرز)	عطـــور الـــورد والياسمين الأثاث	بـــاي الشرق
كاتكارت[3] 1788		40 حصانا بريا 56 بغلا			بـــاي الشرق
V.De Paradis 1788-1790[4]	600قفيز قمح كل سنة	البقر، الغنم، الإبـــل، الخـــيل، البغال	أقمشة صوفية	الجنود والأسارى	بـــاي الشرق

(1)-عميراوي: مرجع سابق. ص114.

(2)-الزهار: مصدر سابق. ص46-44

(3)-كاتكارت: مصر سابق. ص116.

	10000كيلة قمح كل سنة	البقرة، الغنم الإبل		100قنطار شمع النحل-أسارى	باي الغرب
W.Shaler [2]1822	10000كيلة شعير كل سنة				باي الغرب ، باي الشرق
بن عودة المزاري	بيض النعام		الحياك-الزرابي-ريش النعام	العبيد والإيماء	باي الغرب
			البرانس-الحياك-المصوغ		باي الشرق
Rozet [3]1833	13000 صاع قمح، 450 جرة زبدة، تمور، عسل، زيتون، كسكس	600 كبش-600 بقرة-200 بغل	100 برنوس-100 حايك-60 جزدان-سبح مرجان-جزم مطرزة-أسرجة مذهبة	عطور	باي الشرق

يتضح من خلال الجدول كميات متنوعة من البضائع والمنتجات، التي كان يحملها البايات إلى مدينة الجزائر، وتعود هذه الكميات لسنوات مختلفة لكنها متقاربة إلى حد ما: 1782، 1785، 1788، 1822، 1833، وقد عمدنا إلى تقسيم هذه البضائع والمنتجات إلى مجموعات تضم نفس الصنف: الحيوانات ،المواد الغذائية، الألبسة والأفرشة، أشياء أخرى.

لكن اقتصرت هذه المكونات على بايلك الشرق وبايلك الغرب، وهو ما أوردته أغلبية المصادر حيث ركزت عليهما أكثر مما ركزت على بايلك التيطري، وهذا لقلة ما يقدمه بایاته مقارنة بباي الشرق والغرب، مع أننا وجدناه خلال ذكر المكونات النقدية.

والتنوع الوارد في مكونات الدنوش يعود إلى أسباب مختلفة، أغلبها متعلقة بأسباب اختلاف مكونات الدنوش النقدية نفسها، كتفاوت البايلكات في المساحة والإمكانات الطبيعية، واختلاف

---

[1]-V. De Paradis : P145-148.

[2]-بن عودة المزاري: مصدر سابق. ص273.

[3]E. Nouschi : Op-Cit, P110.

السنوات الواردة في الجدول التي قدم فيها الدنوش، إضافة إلى اختلاف المصادر التي جمع منها هؤلاء المؤرخون معلوماته.

فتفاوت البايلكات في المساحة والإمكانات الطبيعية ينعكس على ما يقدمه البايات خلال مساهماتهم الفصلية أو السنوية للجزائر، فبايلك الشرق مثلا ذو العوائد العينية المتنوعة والمعتبرة الكمية، نجد أن أراضي العزل التابعة له تكتسب أهمية خاصة ترتكز على جودة الأراضي وسعة المساحة الإجمالية، التي قدرها وارني في تقريره سنة 1860 بـ112351 هكتار، وفي تقارير أخرى قدرت بـ 146693 هكتار[1].

كما يصفها الورثيلاني عندما مر بها خلال رحلته بقوله: «وباي سطوته وحاله كبير وعساكره كثيرة، تنفذ منها للجزائر أموال عظيمة من المغرم... واسعة الأرزاق... كثيرة فيها اللحم والسمن والقمح والتين، وما أحسنها من زرع وضرع، تأتيها القوافل من كل النواحي، قليلة الفواكه كثيرة المزارع...»[2]،ويفسر هذا بأن المنطقة عرفت سنوات من الرخاء، وتحسن المحاصيل الزراعية.

ولأن بايلك الشرق أكبر البايلكات مساحة، فإن القبائل والمناطق الخاضعة له عددها كبير، وهذا يزيد من قيمة الضرائب التي يجمعها الباي من هذه المناطق،ولعلّ قيمة ضيفة الدنوش تفسر لنا ذلك فهذه الضريبة يدفعها البايلك للمساهمة في الدنوش الفصلية والسنوية التي ترسل إلى الجزائر من قسنطينة، والتي كثيرا ما عجزت خزينة البايلك على توفيرها، لذلك يتوجب الالتجاء إلى أهالي الأرياف للمساهمة بها تحت اسم "ضيفة الدنوش" وقد قدرت قيمتها عشية الاحتلال بـ800.000 فرنك، كان يقدمها الحاج أحمد باي لداي الجزائر[3].

فلو أخذنا مثلا قيادات الأوراس الثلاثة: الأوراس، بلزمة، النمامشة، لوجدنا أنها توفر مبالغ مالية وعوائد عينية ضخمة لحكام قسنطينة، فقيادة النمامشة كانت تساهم بما يقدر بـ 3000 رأس غنم كلما توجهت لها المحلات الفصلية، هذا فضلا عن رسم التولية "الفرح"، الذي يقدمه القائد مقابل خلعة التولية، والذي يتجاوز 3000 بوجو فضة، وأحيانا يصل إلى 6000بوجو فضة (ريال)، أما

---

[1]-سعيدوني، النظام المالي. ص91.

[2]-الحسين بن محمد الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار -الرحلة الورثلانية-، تحقيق: محمد بن أبي شنب، ط2، دار الكتاب العربي، لبنان، 1974.ص 686.

[3]-فلة القشاعي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1970..ص74.

قـيادة بلـزمة فكانـت تـزود البايلك بأعداد هامة من الخيل والبقر والغنم، وبكميات ضخمة من الأخشـاب المسـتعملة فـي البـناء، زيادة عما تقدمه من رسوم نقدية تساهم بها[1]، والأكيد سنجد وضعيات مشابهة في بايلك الغرب باعتباره في المرتبة الثانية من حيث المساحة بعد بايلك الشرق.

والضـرائب التـي تجمـع من مختلف المناطق التابعة للبايلك تؤخذ في أغلب الأحيان من المنـتجات المحلـية، وعند الضرورة تسدد نقدا، وتتنوع بتنوع إنتاج القبائل التي تلزم بدفعها، مثل الحـيوانات كالماعـز والأغنام والأبقار والجمال والخيل والبغال، والمواد الأولية المتوفرة كالعسل والشـمع والـزبدة والملح والجلود والقطران والفحم والخشب[2]. ولذلك نجد مكونات دنوش البايلك تتـنوع بتـنوع المـناطق التابعةله، من حيث تضاريسها وظروفها المناخية ونوعية المواد الأولية الموجودة بها.

فنجد مثلا قبائل الساحل بجهات سكيكدة والبابور والقرقور وزمورة (ما بين جيجل، سطيف، والصومام)، غالبا ما تلزم عند دفع الغرامة بتقديم الأبقار والبغال والخشب، وقبائل شطابة والهضاب العلـيا بجهـات السقنية، وأولاد سلام تغرم خاصة بكميات من العسل والزبدة مع شيء من الخشب والفحـم، ونواحي السباخ حيث بحيرات الملح، كانت قبائل الزمول تساهم بكمية من الملح هي عشر ما كانت تستخرجه من الترسبات الملحية.

أمـا جهات تبسة فكانت تؤخذ غرامتها في الغالب من الحيوانات والجلود خاصة التي كانت تقدمهـا قـبائل العمامـرة، والمواشـي والجبال من أولاد سيدي يحيى بو طالب وعشائر الحنانشة والنمامشة، هذه كانت غرامتها تقدر عادة بـ3000 خروف سنويا، والحراكتة تسدد 1000 خروف سنويا[3].

لكـن هـذه المداخيل المحصلة من الضرائب مرتبطة كميتها بقوة المحال الفصلية، وفعالية الفرسـان المكاحلية، كما ترتبط أيضا بالوقت الذي تتوجه فيه هذه المحلات إلى المناطق الجبلية، إذ كلما زادت قوة المحلة وبرهن الفرسان على فعاليتهم في الوقت المناسب، كلما تضاعفت كميات هذه المصـادر النقدية والعينية التي تزود خزينة البايلك، وكلما ساعت المحاصيل ولم تتمكن المحلة من الـتوجه في الوقت الملائم، كلما قلت تلك المحاصيل واختصرت إلى أعداد محدودة من المواشي،

---

(1)-سعيدوني: **ورقات جزائرية**. ص 485-486.

(2)-قلة القشاعي: مرجع سابق. ص67.

(3)-المرجع نفسه: ص67.

وحملات قليلة من أخشاب البناء[1].

ونجد أن أغلب مكونات الدنوش التي يتم جمعها هي مواد عينية لأن العملة النقدية لم تكن واسعة الانتشار وكثيرة التداول بين الناس، بل ظلت إلى القرن السابع عشر محدودة الاستعمال، وحتى بعده، ويؤكد Raynal هذا بقوله: «إن النقد قليل الاستعمال في الجزائر، وأكثرية السكان تدفن نقودها تحت الأرض خوفا من تعسف النظام الحاكم»[2].

وبالمقابل، شاع مبدأ المقايضة مما حد من تطور الاقتصاد في الجزائر وبقائه بعيدا عن الأنظمة النقدية السائدة آنذاك بأوربا الغربية، وبالتالي لم يعد استعمال النقود يتجاوز نطاق الحواضر الكبرى[3].

وهو ما نلاحظه من خلال مكونات الدنوش وما تدفعه القبائل والفلاحين من ضرائب مختلفة، فهي في الغالب تدفع منتجات عينية للبايلك إما إلى جانب مبلغ نقدي من المال أو بدونه، فنجد مثلا أن "ضيفة الدنوش" قد قدرت عشية الاحتلال بـ800.000 فرنك قدمها الحاج أحمد باي لداي الجزائر، إضافة إلى هدايا عينية مكملة لها تشتمل على: 1.500 بقرة، 6000 خروف، 71 حصانا، برانس تونسية، حياك، أغطية، صوفية، ساعات ذهبية، عطور مختلفة، جلود، 700 سلة من التمر، 150 سلة من الزيتون، أقمشة متنوعة، 20 حمولة من الزبدة وأخرى من الكسكس، ومواد غذائية أخرى[4].

وذكر العنتري أنه بعد الفجاعة التي حدثت سنة 1219هـ/1804م ارتفعت فيها أسعار الحبوب، بينما «باقي الغلل من مأكولات ومشروبات كلها رخيصة السعر، إلا أن الدراهم قليلة بأيدي الناس في ذلك الزمان جدا، وعزيزة إلى الغاية (كذا)»[5].

وقلة العملة هنا دليل على ضعف القدرة الشرائية لغالبية السكان، فرغم انخفاض أسعار مختلف المنتجات، ظلت مستويات الأسعار مرتفعة بالنسبة إلى الطاقة الشرائية لمجموع السكان،

---

(1)-سعيدوني: ورقات جزائرية. ص486.

(2)-عائشة غطاس: مرجع سابق. ص 152-153.

(3)-سعيدوني: النظام المالي .ص222.

(4)-القشاعي: مرجع سابق. ص74.

(5)-العنتري: مصدر سابق. ص34.

وبالتالي زيادة نفقات كلفة المعيشة[1].

بالنظر إلى المنتجات الموجودة في الجدول، نجد أن أغلبها فلاحية أو ذات مواد أولية فلاحية، فهي عبارة عن مواد غذائية، حيوانات، ألبسة وأفرشة وأثاث، إضافة إلى أشياء أخرى كالعبيد والعطور والشموع...إلخ. ومن خلال هذه المنتجات نستنتج أن اقتصاد بايلكات الجزائر قائم على الزراعة وتربية الحيوانات بالدرجة الأولى، ومنه فإنه يعدّ مجتمعا ريفيا والدليل نسبة سكان الأرياف العالية.

ولأن هذه المنتجات الواردة في الجدول أغلبها فلاحية، فإنها تتأثر بالعوامل الطبيعية والمناخية، وحتى السياسية، خاصة وأنها تعود لسنوات مختلفة: 1782-1785-1788-1822م، لذلك نجدها مختلفة من حيث الكمية والنوعية، وذلك تبعا لسنوات الرخاء وفترة الإنتاج، وأعوام القحط وندرة المحاصيل وتعاقب الكوارث، وإن كان هذا الجدول لوحده لا يكفي لاستنباط سنوات الرخاء وأعوام القحط خاصة وأن كمية المنتجات غير محددة، وهذا يصعّب علينا المقارنة والاستنباط.

ونجد أن ما قدمه لنا خزندار باي معسكر والتقرير الذي عرضه Rozet سنة 1833 أكثر دقة مقارنة بباقي المصادر الواردة في الجدول، حيث تم تحديد كمية المنتجات ، فتيدنا كان دقيقا في تحديدها، باعتباره هو الذي قام بتحضيرها عند خروج الباي إلى مدينة الجزائر، نظرا لوظيفته كخزندار، أما Rozet فالمعلومات التي جمعها في تقريره غالبا ما يكون قد رجع فيها إلى دفاتر الإدارة العثمانية، لذلك جاءت بهذا الشكل، حيث أن الكمية والنوعية محددة ومفصلة.

وعندما قام سعيدوني بدراسة سنوات الرخاء وأعوام القحط في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وحتى نهاية الفترة العثمانية، وضع جدولا مفصلا بالأزمات الاقتصادية (الطبيعية والسياسية) التي حدثت خلال هذه الفترة، وهذا الجدول يعيننا على دراسة المعطيات المتوفرة لدينا بالنسبة لمكونات الدنوش.

وانطلاقا من هذا الجدول وجد سعيدوني الفترة التي سبقت سنة 1791 بأنها تميزت بنوع من الرخاء ووفرة الإنتاج، وهي الفترة التي حكم فيها الداي محمد عثمان باشا الجزائر، وحكم بايلك الشرق صالح باي، وبايلك الغرب محمد الكبير أشهر وأقوى البايات، وهي الفترة التي عرفت فيها

---

[1]-سعيدوني: النظام المالي. ص217.

الجزائر حياة الهدوء والاستقرار بفضل المواسم الجيدة والمحاصيل الوفيرة، وإن كانت هذه الفترة لم تخل من بعض السنوات الصعبة، لكن تأثير هذه الكوارث كانت محدودة خاصة على مستوى إنتاج الحبوب، فقد ظلت المحاصيل الزراعية متوفرة لجودة المواسم الفلاحية[1].

قد انعكست هذه المواسم الجيدة والمحاصيل الوفيرة على مكونات الدنوش، ويظهر ذلك من خلال المكونات التي عرضها الزهار في سنة 1785، وV. De Paradis لسنة 1788، حيث كمية المنتجات وفيرة، ونوعيتها مختلفة، تمثلت في الحيوانات والمواد الغذائية والألبسة والأفرشة والعبيد، وإن كانت القائمة التي قدمها الزهار خالية من الحبوب، ويمكن تفسير ذلك بظهور الجراد وانتشار المجاعة والطاعون في بعض المناطق، أدى إلى انهيار الإنتاج الزراعي وندرة الحبوب[2].

ورغم ما تميزت به هذه الفترة في عمومها من رخاء ووفرة في المحاصيل، إلا أنها عرفت أحيانا ارتفاع في الأسعار ونقصا في المنتوج، ففي رسالة بعث بها صالح باي إلى وكيل الباستيون مؤرخة في ديسمبر 1778م[*]/أوائل ذي الحجة 1192هـ[3]، يخبره فيها أن سعر القمح ارتفع ووصل نحو 42 ريال عنابي، ويمكن أن يكون سبب ذلك هو قلة هذا المحصول خلال هذه السنة، فهو يقول له: «ورد علينا كتابكم وعرفنا فيه من احتياجكم لمائة وخمسين قفيز من القمح لعولتكم، ومائة قفيز من الشعير لعلف دوابكم وثيرانكم... وهذا القدر كثير الذي تريدونه (كذا) من القمح والشعير ...». فعندما يكون العرض أقل من الطلب فإن الأسعار ترتفع، وإن كانت الوثيقة لا تشرح سبب ارتفاع الأسعار لكن في الغالب ترجع إلى مشاكل طبيعية كالجفاف والمجاعة...إلخ.

لكن، ورغم كل هذا لا يمكن أن يكون الدنوش خاليا تماما من الحبوب، ونحن نعلم أنه من المكونات الأساسية جدا، وهذا يجعلنا نتساءل عن غياب هذه المادة من قائمة الزهار، فهل المعلومات التي وصلته كانت تفتقد لذلك، أم أن هناك أسبابا أخرى؟ والشيء نفسه نلاحظه في قائمة V. De Paradis، حيث تجد غياب أنواع من الألبسة والأفرشة، وهو ما يجعلنا نطرح نفس الاستفسار السابق بالنسبة للزهار، لكن تبقى المعلومات لدينا محدودة والإجابة عنها صعبة لسكوت

---

(1)-سعيدوني: دراسات تاريخية. ص 95-96.

(2)-انظر: الجدول الذي وضعه سعيدوني: دراسات تاريخية. ص117.

(*)-التاريخ الميلادي المذكور كملاحظة في أسفل الرسالة هو 4 نوفمبر 1779. لكن عند رجوعنا لتقويم التواريخ الهجرية وجدنا أن التاريخ الهجري المؤرخة به الرسالة يقابله بالتاريخ الميلادي ديسمبر 1779، فاعتمدناه بدل التاريخ الأول.

(3)-الرسالة رقم 68، المجموعة 1641، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

المصادر عن هذه الشروحات.

وإذا تفحصنا المرحلة الأخيرة من تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني نجد أن الأوضاع ساءت وأصبحت الجزائر تعيش أثناءها تراجعا اقتصاديا كان لانهيار الزراعة أحد مظاهره البارزة، وذلك بفعل تعاقب الكوارث المدمرة كاجتياح الجراد سنة 1815، والذي أدى إلى ظهور المجاعة بعد أن شحت المحاصيل وارتفعت أسعار الحبوب، ثم جاء الجفاف سنة 1817، فاستمرت المجاعة حتى سنة 1819، ليعقبها مرض الطاعون، كل هذا حال دون تحسن الإنتاج الزراعي[1].

وإن كنا قد وجدنا في إحدى الرسائل التي بعث بها أحمد باي قسنطينة، إلى حسين باشا مؤرخ في 13 ربيع الثاني 1243هـ/ 03 نوفمبر 1827م[2]، يذكر فيها «أن قسنطينة وسائر أوطانها في أمن وعافية ورخاء الأسعار، وأنه لا ظلم فيها ولا تعد وكل واحد واقف عند حده، مشتغل بخاصة نفسه»، وهي دليل على انه رغم تدهور الأوضاع الاقتصادية في الجزائر أواخر العهد العثماني، إلا أن بعض المناطق عرفت وقتها سنوات من الرخاء، وتحسنا في المنتجات ورخاء في الأسعار، خاصة عندما تعرف هذه المناطق الهدوء والاستقرار السياسي، الذي نستنتجه من رسالة أحمد باي حول رخاء الأسعار، بقوله: «أنه لا ظلم فيها ولا تعد، وكل واحد واقف عند حده، مشتغلا بخاصة نفسه».

لكن مع ذلك فالسمة البارزة على الأوضاع الاقتصادية للجزائر أواخر العهد العثماني هو التردي والتدهور، ومما زاد في ذلك انتشار الانتفاضات الداخلية في أغلب جهات الوطن، نذكر منها ثورات جبال جرجرة في سنوات 1804-1810-1823، وثورة درقاوة بالغرب الجزائري سنة 1805-1812-1817، وثورات النمامشة وواد سوف والأوراس التي استمرت من سنة 1818 إلى سنة 1823، والثورة التيجانية 1816، وثورة الشريف بن الأحرش شمالي قسنطينة سنة 1804[3]، التي كتب عنها صالح العنتري مشيرا إلى أنها أحد الأسباب التي نشأت عنها المجاعة، وقلة الحبوب ونزول القحط من شدة الهول واضطراب الرعية، بعد موت الباي عثمان خلال هذه الثورة[4].

ويذكر أيضا أن أسعار الحبوب ارتفعت حتى بيع الصاع الواحد من البر وقتئذ بـ 15

---

[1] سعيدوني: دراسات تاريخية. ص 97-100.

[2] الرسالة رقم12، المجموعة 3205، الملف3، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

[3] سعيدوني، النظام المالي. ص 59.

[4] العنتري: مصدر سابق. ص33.

ريـــال، والصاع من الشعير بـــ 7ريالات، ودام هذا القحط طيلة سنة 1804م/ 1219هـــ، ثم بعد ذلـــك نزل سعره شيئا فشيئا، كما ذكر العنتري «أن قيمة الزرع قبل تلك المجاعة والقحط بين ريال وريـــال ونصـــف الريال للصاع الواحد»، وأطلق الناس على تلك المجاعة بعام "الخمسطاش"، لأن الـــزرع يباع بتلك القيمة، ويفسر العنتري هذا الغلاء في الأسعار بنزول الجائحة والقحط لمدة ثلاثة ســـنوات، هـــذا من جهة ومن جهة أخرى انتشار الفتن، واضطراب الأوضاع بسبب ثورة بنحرش. والتـــي أدت إلـــى اضطراب النفوس، فلم يعد الناس يهتمون بالحراثة[1]. ومنه فمجاعة 1804 تعود إلى أسباب طبيعية وأخرى سياسية.

ومـــنه فـــالعوامل الطبيعـــية والسياسية كانت سببا في تدهور الوضعية الاقتصادية بالجزائر أواخـــر العهـــد العثمانـــي، ولكن هناك أسبابا أخرى قد تؤدي إلى التأثير في الأسعار سواء بجعلها مـــرتفعة أو منخفضة، فنجد مثلا أن سعر صاع القمح في رحبة عنابة سنة 1780 و1790 وصل إلى 4,90 بتاك، وهو بذلك أكثر غلاء من الذي بالجزائر ووهران، ففي وهران مثلا كان يتراوح ما بيـــن 2 و2,25 بـــتاك، ويرجع هذا الارتفاع في أسعار قمح عنابة، لأنها في هذه الفترة هي الميناء الأساســـي لتصدير الحبوب وتجميع الأموال، وفي ذلك تأثير محلي واضح تقوم به العمليات النقدية وعمليات التصدير في هذه المدينة على الأسعار[2].

وإن كانـــت مكونـــات الجدول العينية لا توضح لنا تأثير كل تلك العوامل والأسباب، فوليام شـــالر لم يذكر من دنوش 1822 إلى جانب النقود العينية إلا 10,000 كيلة الشعير كل سنة، يقدمها كـــل من باي الشرق وباي الغرب، وهذا يدفعنا دائما لنتساءل أين بقية المنتجات؟، فمن غير الممكن أن يضم دنوش الباي الشعير فقط، فهل شالر لم تتوفر لديه معلومات كافية، أم أنه أراد التركيز على كيلات الشعير لأهميتها؟. فنجد غياب بقية المنتجات يُصعب علينا دراسة الأحوال الاقتصادية للبلاد، والتطورات والتغيرات التي يعرفها الدنوش.

وهـــذه المنـــتجات أغلبها فلاحية أو ذات مواد أولية فلاحية، لأن الاقتصاد الجزائري خلال العهد العثماني كان يقوم أساسا على الزراعة والرعي، والذي يمثل المورد الأساسي لغالبية سكانها، إلى جانب المهن التقليدية، ومختلف الحرف المرتبطة هي أيضا بالإنتاج الفلاحي.

ونجـــد أن الحـــبوب المتمـــثلة خاصة في القمح والشعير، هي أهم المحاصيل الزراعية في

---

[1]-العنتري، مصدر سابق. ص34-39.

[2]-Merouche Lamnouar : **Recherche sur l'Algérie a l'époque Ottomane Monnaies, Prix et revenus 1520-1830**, Edition Bouchene, Paris, 2002, P114.

الجزائـــر، والتـــي تزرع خاصة في منطقة السهول العليا، كسهول قالمة وقسنطينة وسطيف والمدية ومعســكر...الخ، وهي تعد المصدر الأساسي لتغذية السكان والمادة الرئيسية للتصدير إلى الخارج، لذلـــك فهـــي مـــادة استراتيجية يتحكم في زراعتها البايلك، ويسيطر على الأراضي التي تزرع بها موظفـــو الدولـــة ورؤساء أو شيوخ الزوايا والطرق الصوفية، وكمثال على أهمية إنتاج الحبوب ما كانـــت تصدره الشركة الإفريقية "La compagnie Africaine" سنويا في ميناء عنابة، والذي قدر سنة 1787 حوالي 25,000 قنطار من الحبوب[1].

كما أن الكميات الواردة في الجدول تعد كميات ضخمة، فـــ "V. De. Paradis" أورد 600 قفـــيز قمـــح يقدمها باي قسنطينة كل سنة، والقفيز أو القيسة تساوي 300 كلغ، فالحاصل هو 180 قنطار قمح، وهي كمية معتبرة تدفع للخزينة العامة.

وإلـــى جانـــب الحبوب كمادة أساسية، هناك مواد غذائية أخرى ذكرت في الجدول كالسمن والعســـل، المحور (نوع رفيع من الكسكس المجفف)، التمر، الزيتون وبيض النعام...الخ، والملاحظ أنهـــا ذات كمـــيات كبيرة فهناك مثلا 20 قنطارا من عسل، ومثلها من سمن أوردها الزهار لبايلك الغـــرب، و450 جـــرة زبدة أوردها "Rozet" لبايليك الشرق، وهي تصور لنا كمية الإنتاج المحلي ونوعيـــته والذي يبدو وفيرا، كما أن تنوعه يعكس لنا مدى اتساع الأراضي التابعة للبايلك، فالزبدة والزيـــتون، الأبقار والمرجان مثلا منتجات وبضائع لا توجد إلا في المناطق الشمالية الساحلية، أما الـــتمور والإبـــل فـــتوجد بالمناطق الصحراوية، وهذا ما يدل على اتساع مساحة نفوذ البايلك من المـــناطق الســـاحلية شـــمالا إلـــى الصحراء جنوبا، باعتبار أن هذه المنتجات تجمع من الضرائب المفروضـــة علـــى القـــبائل الخاضعة للبايلك، وتنوعها هو نتيجة لتنوع مناطق نفوذ هذه القبائل من مناطق صحراوية وسهبية وساحلية، ومناطق جبلية وسهلية.

ففـــي بايلك الشرق دائما، تجد المناطق الصحراوية التابعة لها تميزت بزراعة أشجار النخيل مـــثل مـــناطق الزيبان ووادي ريغ ووادي سوف، حيث كانت تتوفر على ما لا يقل عن 150,000 نخلة، أغلبها تعود ملكيتها إلى قبيلة الطور، أما المناطق الجبلية بالساحل والسفوح الشمالية للأوراس والحضـــنة، فهـــي مناطق غابية اشتهرت بإنتاج الأخشاب، وذلك بمعالجة أشجار الصنوبر والفلين والزان وغيرها[2].

---

[1]-القشاعي، مرجع سابق. ص10.

[2]-المرجع نفسه. ص11.

وهـــناك ملاحظـــة أخرى من خلال الجدول وهي غياب الخضر والفواكه من قائمة المواد الغذائـــية، والسبب في ذلك أنها سريعة التلف، ولا يمكن حفظها لمسافة طويلة تستغرق عدة أشهر. ونجـــد قائمة الحيوانات التي يشتمل عليها الجنوش تتمثل في الحيوانات، التي تعيش في منطقة البحر المتوســـط والمناطق الصحراوية، وهي الأبقار، الأغنام، الماعز، الخيول، البغال والإبل، إضافة إلى النمور والسباع.

ونجـــد أن الرعي وتربية الحيوانات يشكل المصدر الرئيسي لمعيشة المناطق غير الملائمة للإنـــتاج الفلاحي، وهو ما يجعله يشكل نشاطا اقتصاديا مستقلا بذاته في المناطق السهبية من السباخ والجهـــات الجنوبـــية، وتمارسه عشائر الهضاب العليا وقبائل المناطق المتاخمة للصحراء، بينما في المناطق الشمالية حول الأودية الخصبة فكان الرعي يمثل نشاطا مكملا للزراعة، حيث كان السكان يقومـــون بتربية المواشي لسد حاجياتهم من الألبسة الصوفية والزرابي، الأغطية والخيام إلى جانب الزراعة[1].

ونفـــس الملاحظـــة حول المواد الغذائية تجدها في الحيوانات، فالكميات الواردة في الجدول غـــير محـــددة العدد، وبالتالي يصعب معرفة الثروات الحيوانية التي تتمتع بها الجزائر خلال العهد العثماني، وإن كان "Rozet" قد أورد لبايلك الشرق 600 كبش، 600 بقرة و200 بغل، وهي أعداد كبـــيرة. فنجد أنه في أوائل عهد الاحتلال الفرنسي كان الشرق الجزائري يتوفر على 2,310,000 مـــن الأغنام، و311,767 من الماعز، 346,000 من الأبقار، 90,636 من الخيول، 76,723 من البغال و269,086 من الجمال[2].

وفي الوقت الذي تستخدم فيه الأبقار، الأغنام، الماعز والدواجن في التغذية بالدرجة الأولى، واســـتخدام موادهـــا الأولية في الصناعات والحرف، نجد أن الخيول تستخدم في الجانب العسكري بالدرجة الأولى، إضافة إلى أعمال البايلك المختلفة، ولذلك فهي تعتبر من المكونات الأساسية، فإلى جانـــب وظائفها المختلفة، فإن الأحصنة العربية الأصيلة تعتبر هدية ذات شأن كبير، يحرص الحكام على أن تكون ضمن قائمة الهدايا التي يقدمونها، لأنها دائما مصدر إعجاب واهتمام أصحاب الشأن كالحكام والسلاطين ورجال الدولة على اختلاف مستوياتهم.

أمـــا البغال فكانت تعتبر وسيلة أساسية لنقل البضائع، وبالتالي لا يستطيع البايلك الاستغناء

---

[1]-القشاعي: المرجع السابق. ص14.

[2]-المرجع نفسه. ص15.

عنها، خاصة أن المناطق الشمالية أين توجد مراكز البايلكات وأهم المناطق التابعة لها، هي مناطق جبلية، والبغال أنسب وسيلة تستطيع التنقل فيها لمسافات طويلة، وهي محملة بمختلف البضائع، وإلى جانب المواد الغذائية والحيوانات التي تشكل مكونات الدنوش، هناك قائمة من المنتجات الصناعية والحرفية كالبرانس، الحياك، الأقمشة الصوفية، الجزم، الصوف وسبح المرجان والعنبر، إضافة إلى الشمع والعطور والأثاث وغيرها، وهي منتجات محلية مستخلصة من مواد أولية محلية كالأصواف، الجلود، الأخشاب والمرجان، تقوم القبائل بصناعتها وإنتاجها بالوسائل التقليدية[1]، لذلك فهي تدفعها كضرائب عينية للبايلك، والذي يدفعها بدوره لخزينة الإيالة بعد جمعها.

وإلى جانب كل هذه المنتجات والبضائع العينية التي تشكل دنوش البايلك، هناك العبيد والإيماء، وحسب الجدول هناك عبيد كبار وعبيد صغار، فذكر الزهار مثلا 30 عبدا من الكبار و20 عبدا من الصغار، وهؤلاء العبيد في الغالب هم الأسرى الأوروبيون، الذين يتم جمعهم من الحروب البحرية مع الدول الأوروبية.

ويعد العبيد منذ القديم هدايا ثمينة يتم استخدامها في قصور الحكام وبيوت كبار الموظفين، وقد تمكن الكثير منهم من أن يحتلوا مكانة هامة لدى سادتهم، فكانوا أطباء ومترجمين، ووصل بعضهم إلى أن يكون الرجل الثاني بعد الباي في البايلك كما هو الحال بالنسبة لتيدنا Thédnat خزندار باي معسكر[2].

وبعد دراسة المكونات العينية والنقدية للدنوش حاولنا أن نقوم بمقارنة فيما بينها، لكن من الصعب الوصول إلى نتيجة حاسمة، نظرا لما أوردته المصادر من مكونات عينية، فنادرا ما كانت تذكر أرقام وأعداد تلك البضائع والمنتجات، وحتى ما تم ذكره من الصعب معرفة قيمته النقدية الإجمالية، ومقارنتها بالمبالغ النقدية الواردة في مكونات الدنوش، لأن معرفة أسعارها في نفس تلك الفترة التي ذكرت فيها ليست بالأمر السهل.

---

[1]-القشاعي، المرجع السابق. ص16-18.

[2]-اعميراوي، مرجع سابق.

الفصل الثالث:

الطريق السلطاني ومحلة الدنوش

أولا: الطريق السلطاني: خط سير البايات

ثانيا: جمع الضرائب ومحلة الدنوش

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عـند تعريفنا للدنوش في الفصل الثاني قلنا أنه مجموع الأموال والضرائب المفروضة على البـيلكات الثلاث، والتي يقدمها البايات كل ثلاث سنوات .و ذلك وفق مراسيم تقليدية جرت الإدارة العثمانـية علـيها بالجزائر عليها، وتبدأ هذه المراسيم منذ خروج الباي وحاشيته من بايليكه محملا بمخـتلف الثروات النقدية والعينية، وكل ما يلزمه في سفره الذي يدوم عدة أشهر حتى وصوله إلى دار السـلطان، أيـن يقيم فيها ويشرع في توزيع مختلف الهدايا على الباشا ووزراء الديوان، ليعود بعدها إلى ولايته و بيده قفطان التولية، تجديدا للولاية لعهدة جديدة من قبل الباشا.

وفـي هـذا الفصل سنتناول جزءا من هذه المراسيم، وهو القسم المتعلق بالطريق السلطاني الذي يسير عليه البايات والضرائب التي يجمعونها من خلال محلة الدنوش.

أولا: الطريق السلطاني: خط سير البايات.

الطرق السلطانية هي الطرق الرئيسية والمسالك المهمة في الإيالة، التي كانت تربط مراكز الـبايلك المتمـثلة في قسنطينة، المدية، معسكر، ثم وهران، بمركز السلطة الحاكمة في الجزائر[1]. وهـي بذلـك تمـثل خط سير البايات وخلفائهم إلى العاصمة لتأدية الدنوش،وهذه الطرق السلطانية تساير في اتجاهها العام المسلك القديم (طريق التل) العابر لمقاطعات نوميديا وموريطانيا السطايفية، وموريطانية القيصرية في العصور القديمة، والواصل بين القيروان وتلمسان في العهد الإسلامي[2].

وكانت لهذه الطرق السلطانية خلال الفترة العثمانية محطات تدعى القوناق Konaq[*] ،تقام عـادة عـند نهاية كل مرحلة من مراحل الطرق، لتكون مأوى ومكانا آمنا تحط به القوافل رحالها وتستريح عنده فرق الأوجاق المتوجهة من دار السلطان أو إليها من إحدى مراكز البايلك، والحاملة للضـرائب السـنوية والفصـلية (الدنوش الصغير والكبير)، كما تستخدم لتوقف جامعي الضرائب وحاملي البريد وبعض المسافرين وذلك للاستراحة قبل مواصلة الطريق[3].

كمـا كانـت توجد على طول الطرق السلطانية أبراج وحصون، تقيم بها الحاميات التركية الصـغيرة المعـروفة بالنوبة، قصد تأمين المواصلات بين مركز البايلك ودار السلطان، فنجد مثلا

---

(1)-سعيدوني: ورقات جزائرية، ص269.

(2)-المرجع نفسه، ص448.

(*)-كلمة تركية تعني محطة للاستراحة. انظر: ديران كلكيان: مرجع سابق، مادة قوناق، ص991.

(3)-المرجع نفسه، ص269.

على الطريق السلطاني الرابط بين بايلك الشرق ودار السلطان العديد من الأبراج أهمها: برج بوعريريج، برج مجانة، برج زمورة وبرج حمزة... وإن كانت حاميات هذه الأبراج ذات عدد محدود تكفي فقط للدفاع عن البرج، أما التدخلات الخارجية فقد كانت تقوم بها قبائل الزمالة والمخزن[1]، التي نجد أعدادا منها مستقرة عادة حول الطرق السلطانية[*]، وبالقرب من الأبراج المقامة على طول الطريق، إذ يكون فرسان هذه القبائل على أهبة الاستعداد لحمل السلاح وخوض المعارك إذا طلب منهم قائد الحامية التركية ذلك[2].

لكن ما هو خط السير الذي يتبعه البايات وخلفاؤهم؟ وما هي المناطق التي يمرون بها؟ وهل هذا الخط ثابت أم أنه يتغير بتغير ظروف هذه المناطق؟

أغلب المصادر المتوفرة لدينا لا تذكر بالتفصيل المناطق التي يمر عليها موكب الباي. والمحطات التي ينزل عندها، إنما تكتفي بذكر أهمها، خاصة منها المحطات الأخيرة عند الاقتراب من مدينة الجزائر وعند العودة إلى مركز البايلك، أين يتم التركيز على سرد مراسيم وصول موكب الباي إلى الجزائر أو عودته إلى بايلكه، وهو ما نجده عند الزهار مثلا، فعند حديثه عن الطريق التي سلكها باي معسكر إلى مدينة الجزائر يقول: «فخرج من مقر إمارته معسكر ومعه جيش كبير ... إلى أن وصلوا مواطن المبيت فنصبوا خيامهم... وكل يوم عندما يصل لجهة المبيت يوزع عليهم الدراهم... وهكذا كل يوم حتى يصل إلى الجزائر، وخصوصا عندما تكون بينه وبين الجزائر مرحلتان أو ثلاث»[3].

وهكذا يتناول الزهار الطريق السلطاني، دون ذكر اسم المناطق التي يعبرها الباي أو حتى

---

[1]-درياس لخضر: **المدفعية الجزائرية في العهد العثماني**، شهادة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1990، ص170-172.

والقبائل المخزنية هي القبائل الموالية للسلطة وتكون عادة معفاة من الضرائب، إما بشكل جزئي أو بشكل كلي. وتكون قريبة من السلطة المركزية. انظر: معاشي: مرجع سابق، ص178.

[*]-نجد مثلا قبائل المخزن المستقرة على الطريق السلطاني الرابط بين الجزائر وقسنطينة: الزواتنة، حرشاوة عند نهر هارون (واد يسر)، لعريب على وادي الأكحل، هاشم بالبرج، الغرازلة الغربية بعين الترك، العثمانية بسطيف، دائرة واد الذهب بنواحي العلمة، دائرة بوصلاح والصحراوية بنواحي قسنطينة. لمزيد من المعلومات حول قبائل المخزن على الطريق السلطاني الرابط بين الجزائر ومدينتي معسكر ووهران. انظر: سعيدوني: **ورقات جزائرية**، ص269-270.

[2]-سعيدوني: **النظام المالي**، ص123-124.

[3]-الزهار: مصدر سابق، ص36-37.

المحطـــات التـــي يـــنزل، فيها ما عدا محطتين أو ثلاثا قبل دخوله مدينة الجزائر، أين يجتمع بأغا العـــرب (الوزيـــر الثانـــي للباشـــا) «في موضع قبل بوفاريك يسمى عيون الشعر»، ثم يبيتون في بوفاريك وفي الغد «يسيرون إلى موضع يبعد نصف ساعة عن الجزائر، ويدعى "عين الربط" قريب مـــن الـــبحر، وهـــو موضـــع معد لنزول الأمحال عند الخروج من الجزائر، وتجتمع المحلة هناك ويبيـــتون، ويبيت هنا أيضا باي التيطري عند قدومه، أما باي الشرق فإنه يبيت عند قنطرة الحراش وفي آخر الليل يأتي لعين الربط، ليصبح هناك»[1].

هـــذا كل ما ذكره الزهار عن الطريق السلطاني، وهو لا يكفي لتحديد خط سير البايات بدقة إلا إذا استعنا بمراجع أخرى مساعدة[*].

ومـــا نلاحظه أولا؛ أن المسافة بين مركز البايلكات ودار السلطان تختلف من بايلك لآخر. ولذلـــك تجـــد المـــدة التـــي تستغرقها الحامية العسكرية ذهابا وإيابا من البايلك إلى الجزائر تختلف باختلاف المسافة، فحامية بايلك التيطري تستغرق أربعة أشهر، وحامية بايلك الغرب تستغرق أربعة أشـــهر ونصف، أما حامية بايلك الشرق فتقوم ستة أشهر، وهذا نظرا لصعوبة الطريق الرابط بين قسنطينة والجزائر[2].

فلـــو أخذنا الطريق السلطاني الذي يمتد من قسنطينة إلى مدينة الجزائر، نجد أن خط سيره يـــتحدد بالمحطـــات التالية: قسنطينة، محطة بئر البقرات، الخربة، محطة تاشودة، محطة سطيف، محطة سيدي مبارك السماتي، محطة البرج بمجانة، مرتفعات معالو ثم أبواب الحديد بجبال البيبان، محطـــة بنـــي منصـــور، محطة برج حمزة (البويرة)، محطة بني هارون، مقطع الرخام على واد الزيـــتون (يســـر الأعلـــى)، وادي بنـــي جعاد وبني خلفون، مرجة واد هني، جسر واد هني، واد الزيـــتون، محطة جبال عمال (بوزقزة) عند أحواض عين السلطان، مرحلة الأربعطاش (التي يقطع فـــيها الطـــريق مجرى وادي قدارة أربعة عشرة مرة)، أولاد سيدي عبيد عند واد قدارة، واد أولاد محمـــد بخميش الخشنة، مستنقعات أودية الحراش والسمار والحميز بمنخفضات متيجة، حوش باي قسنطينة على واد الحميز، حوش القايد بوطن الخشنة، قنطرة الحراش، عين الربط، باب عزون[3].

---

[1]-الزهار: مصدر سابق، ص37-38.

[*]-قدم لنا ناصر الدين سعيدوني تفصيلا كاملا عن الطرق السلطانية في إيالة الجزائر في مقال له بعنوان: شبكة المواصلات بالجزائر أثناء العهد العثماني. انظر: سعيدوني: ورقات جزائرية، ص446.

[2]-Venture De Paradis : Op-Cit, P69.

[3]-سعيدوني: ورقات جزائرية، ص448-449.

وقـد عرف هذا الطريق المتجه نحو قسنطينة تحويرا في جزئه الأوسط العابر لبلاد القبائل فـي فـترات الاضـطرابات، حيـث يتحول خط السير نحو الجنوب ليتجنب مواطن قبيلة فليسة وحلفائها، فيمر عبر مجانة،ومرتفعات ونوغة، ثم برج سور الغزلان، ومنها إلى سهول بني سليمان، أو قـد يتوغل نحو الشمال فيخترق المناطق الجبلية لبلاد القبائل عندما يستتب الأمن أو تتوفر القوة العسـكرية الكافية لاستخلاص الضرائب، فيمر عبر برج حمزة، وبرج بوغني، وبرج سباو، وبرج منايل، ثم ثنية بني عائشة[1].

لكـن لمـاذا هذا التحوير في الطريق السلطاني الرابط بين قسنطينة ومدينة الجزائر؟ ولماذا كانـت تنشـب اضطرابات في تلك المناطق؟ وهل قبائل تلك المنطقة بتلك القوة والسطوة والسيطرة حتى تدفع موكب الباي أو خليفته –وهو حاكم البايلك– إلى تغيير خط سيره؟

عرفـت المناطق الجبلية الواقعة في بلاد القبائل على الطريق السلطاني الرابط بين قسنطينة والجزائـر ببيـبان الحديـد، وهـي عبارة عن جبال صخرية ذات ممرات ضيقة جدا[*] في جبال الأطلس، يسيطر عليها شيخ أولاد مقران، وهو طريق مختصر بين قسنطينة والجزائر[2].

ويعـود سـبب سـيطرة شيخ أولاد مقران على هذا الطريق إلى تزعمه للعديد من القبائل الواقعـة غـرب مركز البايلك، منها قبائل ونوغة وهي تتكون من خمسة عشرة قبيلة، وقبائل أولاد خلوف، وأولاد ماضي وقرية دارية ومنصورة وسيدي موسى ومزيتة وحمزة وبني منصور وقبائل بني عباس[3]. ونتيجة تزعمه لكل هذه القبائل فهو يستطيع أن يحرضها على مضايقة حركة المرور أو خلـق مشاكل في المنطقة، تؤدي إلى استعمال القوة العسكرية بينها وبين البايلك، وهو ما يؤدي

---

[1]–سعيدوني: ورقات جزائرية، ص449.

[*]–يقدم هاينرش فون مالتسان في كتابه: "ثلاثة سنوات في شمال غربي إفريقيا" وصفا دقيقا للمنطقة المعروفة ببيبان الحديد، فيذكر أنها جبال صخرية ضيقة الممرات، توجد بها أربعة أبواب: طول الأول ثمانية أقدام ينتهي بممر طويل يفتح إلى الباب الثاني وهو ضيق جدا، أما الباب الثالث فيبعد عن الثاني بثلاثين خطوة، بينما يبعد عن الرابع بخمسين خطوة، غير أن الرابع كان أوسع من سابقه. لمزيد من التفاصيل عن أبواب الحديد انظر: فون مالتسان: ثلاثة سنوات في شمال غربي إفريقيا، ت: أبو العيد دودو، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979 ص159-162.

[2]–كاتكارت: مصدر سابق، ص119.

[3]–معاشي: مرجع سابق، ص147-148.

فضلا عن تعطيل حركة المرور إلى امتناع هذه القبائل عن تقديم الضرائب المفروضة عليها[1].

بل إن بعض المصادر تذكر أن أخبار مرور موكب خليفة الباي بتلك الأوطان كانت تنتظر في قسنطينة بفارغ الصبر، وعند وصول خبر مرورها بسلام تطلق قذائف مدفعية تعبيرا عن السرور لهذا الخبر المفرح، أما موكب الخليفة فإذا سمع أن القبائل المعادية في أبواب الحديد قد استعدت للهجوم عليها غيرت طريقها جنوبا تجنبا لها[2].

لكن ما موقف الحكام الأتراك من شيخ أولاد مقران وتحكمه في المنطقة بذلك الشكل؟

إن تحكم عائلة أولاد مقران في الطريق الرابط بين قسنطينة والجزائر جعل شيخ المنطقة يكتسب أهمية كبرى لدى الحكام العثمانيين، إذ أصبح هؤلاء يحرصون على التودد له والتقرب منه للمحافظة على علاقة الوفاق التي تربطهم به، لأن معاداته تعني قطع الطريق بين مركز بايلك الشرق ودار السلطان، فكان الباي أو خليفته يدفعون له ضريبة سنوية مقابل مرور قوافلهم، عرفت باسم "ضريبة العسة" أو "ضريبة المرور"، وأحيانا "الوعدة"[3]. وكانت عبارة عن أموال نقدية وسلاح وألبسة فاخرة وبرانس حمراء لأعيان الأسرة، وأما القبائل المكلفة بحراسة الطريق فكانت تمنح لها مبالغ مالية ورؤوس من الأبقار والأغنام[4].

تدخل سياسة بايات قسنطينة اتجاه شيخ أولاد مقران في سياستهم اتجاه بقية شيوخ الأسر الحاكمة في بايلك الشرق، وذلك بالمصاهرة ومنح الامتيازات المختلفة، منها اعترافهم باستقلال إدارته الداخلية وإعفائه من الضرائب المختلفة، ما عدا ضريبة القفطان التي كان الشيخ يدفعها للباي مقابل القفطان الذي يحصل عليه كدليل على شرعيته وتقدر بـ10.000 بوجو[5].

وأمام كل هذا نجد أن الطريق السلطاني الواصل بين قسنطينة ودار السلطان تحفه المشاكل والصعاب أكثر من باقي الطرق السلطانية الأخرى، كما أنه أطولها مسافة وربما هذا ما يجعله أهمها جميعا وأكثرها جلبا للاهتمام من قبل الحكام الأتراك، لكن هذا لا يقلل من أهمية باقي الطرق

---

[1]-كاتكارت: مصدر سابق، ص119.

[2]-سيساوي: النظام الإداري، ص145.

[3]-معاشي: مرجع سابق، ص148.

[4]-Feraud (Charles Louis) : « Histoire des villes de Constantine Bordj Bouarereje », In R.A.S.C, Constantine, 1872. P248.

[5]-معاشي: المرجع السابق، ص150.

السلطانية الأخرى الرابطة بين مركز بايلك الغرب والجزائر، والرابطة بين مركز بايلك التيطري ومدينة الجزائر أيضا.

فالطريق السلطاني المتجه من وهران أو معسكر نحو مدينة الجزائر يعبر هو أيضا على محطات ثابتة لا تتغير إلا لظروف معينة، إنه ينطلق من وهران نحو وادي تليلات، ثم زبوش مولاي إسماعيل، فمعبر الهبرة والسيق (المقطع)، فحوش الغمري، ومنها يصل إلى محطة جديوية ومحطة الكرمة، ثم مرجة سيدي عابد، ومحطة زمالة على وادي سلي، وبعدها يمر على محطة البغدادي على وادي الفضة، ثم محطة عين الدفلة، ثم يسير حتى يصل إلى القنطرة عند جبل دوي. ويتبع الطريق للضفة الشمالية لواد الشلف، ثم بوخرشفة ثم مليانة، فبرج بوحلوان، ثم يجتاز حوش قايد السبت بنواحي العفرون، وبعده وادي العلايق ثم واد بوفاريك، ومنه إلى حوش باي الغرب بمتيجة، ثم وادي كرمة، ثم تأتي بعده مرتفعات الساحل (فحص الجزائر الجنوبي)، ثم عيون الربط (ساحة أول ماي حاليا)، وهو المكان الذي يجتمع فيه كل البايات قبل دخولهم الجزائر، وأخيرا يصل إلى باب عزون بالجزائر[1].

لكن عندما تكون هناك ضرورة للوصول إلى مازونة، فإن هذا الطريق يمر عليها، كما أنه عندما تكون هناك حاجة للوصول إلى معسكر فإنه يتحول باتجاهها، لأنها كانت عاصمة بايلك الغرب قبل تحرير وهران والمرسى الكبير سنة1792 من أيدي الإسبان، وأصبحت بعدها مدينة إقليمية، وأصبح الطريق السلطاني يتوقف عند مدينة وهران.

ولطريق وهران مسلكان، أحدهما يميل إلى الجنوب ليبتعد عن المستنقعات ويحاذي سفوح مرتفعات بني شقران، والمسلك الآخر يلازم السهول الشمالية ليقترب من البحر غير بعيد عن مستنقعات المقطع، مما جعله أكثر ملاءمة خاصة في فصل الصيف[2].

وإضافة إلى هذا التحوير في هذا الجزء، نجد تغييرا آخر في خط السير في المنطقة بين حوض الشلف وسهلي متيجة ، أين توجد مضايق وادي جر الصعبة والخطيرة، والتي كانت تتجنبها القوافل وفرق الجيش والمسافرين ليجتازوا مواطن قبائل ريغة وبني مناصر وبني منان ، وهي ليست بعيدة عن حامية برج بوحلوان[3].

---

[1]-سعيدوني: ورقات جزائرية، ص449.

[2]-المرجع نفسه، ص450.

[3]-المرجع نفسه، ص450.

والملاحظ على الطريق السلطاني الغربي الرابط بين مدينة الجزائر وعاصمة بايلك الغرب، أن المحلـــة فيه لا تعاني كثيرا من المشاكل والصعاب التي نجدها على طريق الشرق بين قسنطينة والجزائـــر، مـــن مضايقات أسرة أولاد مقران وقبائل المنطقة التي تضطرهم إلى تغيير خط السير تجنـــبا لهـــم، فالـــتحويرات والتغييرات الحاصلة على طريق الغرب تعود أغلبها لصعوبة أراضي المنطقة، فالقوافل والحاميات العسكرية وحتى المسافرون يبتعدون عن المستقعات المنتشرة بالمنطقة أو عن المضائق الضيقة والوديان الصعبة في بعض روافد الشلف.

أمـــا الطريق السلطاني الذي يسلكه باي التيطري فهو أقصر الطرق السلطانية الثلاثة، بسبب قرب عاصمة البايلك مدينة المدية من الجزائر، لذلك فحاميتها تستغرق في سيرها أربعة أشهر،ونجد هـــذا الطـــريق ينطلق من مدينة المدية إلى موزاية عند ممر ثنية، ومنها يقطع مرتفعات صماتة، ثم يتصـــل بخط سير وهران، الجزائر عند حوش قايد السبت، ثم وادي الكرمة، ومنه إلى عيون الربط وصولا إلى الجزائر.

كما يمكن أن يسلك الطريق المتوجه نحو الجزائر من المدية، وطن الجندل ، ثم عين العظم، ثـــم يمـــر على برج بوحلوان، ثم يتحول نحو الغرب عند مضيق واد جر[1]، و يمكن الوصول إليها أيضـــا عبر الطريق الجبلي الذي غالبا ما تسلكه فرق المحلة لقمع المتمردين وجمع الضرائب، وهذا المســـلك الجبلـــي يمر بالمدية ثم البرواقية، ووادي الأخرة، ومنه إلى بني مصيرة ووادي ملوان، وحوش أولاد سلامة قرب الأربعاء، ثم قنطرة الحراش[2].

هذه هي الطرق السلطانية التي يسيرها موكب الباي أو الخليفة انطلاقا من مراكز البايلكات الثلاث وصولا إلى الجزائر، لكن خط السير هذا يصاحبه جمع للضرائب من القبائل الموجودة على طـــول الطـــريق، وهو ما يجعل المسافة تطول والوصول إلى الجزائر يستغرق أشهرا، خاصة وأن سفر موكب بعدد كبير يتطلب التوقف للراحة في عدة محطات.

ثانيا: جمع الضرائب ومحلة الدنوش

لطالمـــا كانت قضية جمع الضرائب عملية أساسية في سياسة أية دولة منذ العصور القديمة، وإن كانـــت تخـــتلف طريقة أدائها في بعض الجوانب من فترة إلى أخرى، وكانت المحلة هي الأداة

---

[1]–سعيدوني: ورقات جزائرية، ص452.

[2]–المرجع نفسه، ص452.

المستعملة لذلك، فهي مؤسسة قديمة أعيد بعثها والتعامل بها بصفة محكمة، فهي من أدوات السلطة التي تقمع بها المتمردين، كما تبرز لنا علاقة الحاكم بالرعية[1].

ولذلك نجد أن جمع الضرائب في الجزائر خلال العهد العثماني لا يختلف كثيرا عن العهود الإسلامية السابقة، بل يعتبر امتدادا لها، كما أن الكثير من التنظيمات العثمانية في الجزائر هي امتداد لهذه الفترة، فخروج الولاة في المحلة لجمع الضرائب عرفه الحفصيون والزيانيون ومن قبلهم الموحدون، بل إننا نجد الكثير من الوظائف الإدارية خلال هذه الفترات –وعدد كبير منها له علاقة بجمع الضرائب– ما زالت موجودة خلال الفترة العثمانية [2]، وربما حتى بنفس الأسماء والماهية.

كما أن الخروج في المحلة لجمع الضرائب نجده في الإيالات العثمانية الأخرى كتونس مثلا، فبایاتها كانوا يخرجون على رأس المحلة يجوبون الأرياف في مواسم معلومة لاستخلاص الضرائب واستتباب النظام في المقاطعات[3].

أما الجزائر فإن بايات مقاطعاتها الثلاث تابعة لدار السلطان، فكانوا يخرجون في موسم الحصاد وجمع الغلاة ومعهم قوة عسكرية لجمع الضرائب من القبائل المتواجدة على أرض البايلك،والتي غالبا ما يكون شيوخها تحت سلطة الباي[4] ، لكن هناك من القبائل من تمتنع عن دفع الضرائب للبايلك، وهي في الغالب القبائل المستعصية أو المتمردة على سلطة البايلك، وهو ما يجعله ينظم الحملات الفصلية (المحلات)، ويشن هجمات عليها لاستخلاص الضرائب وإقرار الأمن وإخضاعها[5].

لكننا نتساءل عن المحلة والأدوار التي تقوم بها، فهل تقتصر على قمع المتمردين وجباية الضرائب فقط، أم أن لها أدوارا أخرى غير ذلك؟ فما هي وظيفتها الحقيقية؟ ثم كيف يتم تحضيرها وتنظيمها؟

---

[1]–قشي: مرجع سابق، ص78.

[2]–انظر: سعيدوني: **ورقات جزائرية**، 214–256.

[3]–محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تج: محمد الشاوش، محمد عجينة، ط2، سراس للنشر، تونس، 1985، ص77.

[4]–جلال يحيى: **المغرب الكبير –العصور الحديثة وهجوم الاستعمار–**، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص52.

[5]–سعيدوني: **ورقات جزائرية**، ص279.

المحـــلات هـــي حمـــلات عســـكرية يقودها الباي بنفسه أو خليفته، وهي تتشكل من فرق الانكشـــارية التي تشكل الحامية العسكرية في البايلك تحت إمرة الباي، إضافة إلى الفرق المخازنية التـــي تجندها القبائل المساندة تدعيما لموكب الباي، وتعزيزا لقوته من أجل تحصيل الضرائب وقمع المتمردين[1]، وتـــبدأ أعمالها بين شهر أفريل وجوان، وتتجول في القرى والقبائل تجمع الضرائب المفروضـــة علـــيهم، وأثـــناء ذلك يتحمل الأهالي نفقات إطعامها ومصاريفها، زيادة عن الضرائب المخصصة[2].

ولقد كانت هذه المحلات أكثر من مجرد جولات جبائية أو حملات ردعية تأديبية، فقد كانت تمثـــيلا للسلطة وتجسيدا للإدارة المركزية[3]، وفي ذلك أوردت قشي في رسالتها «أن المحلة اتخذت شـــكل السلطة المتنقلة في بحثها المتواصل عن الشرعية في محيط اجتماعي سمته البارزة والظاهرة القبـــيلة المـــتحركة، وســـرعان ما أصبحت جولة سنوية تتم فيها عمليات الجباية والرقابة من جهة، والزجر والتأديب من جهة ثانية[4].

فـــلا يمكننا أن ننكر أن المحلة هي وسيلة لتحصيل الضرائب وإخضاع المناطق المستعصية علـــى الحكام، وحتى أنها أداة فعالة لتنفيذ عمليات المصادرة وتحصيل الغنائم، بل إنها أحيانا تعتبر فرصـــة سانحة لفرقة اليولداش لجمع الزاد الضروري لبقية السنة[5]، وإن كانت في البداية لم تقتصر على الجباية والتأديب فقط، وإنما كانت –فضلا عن ذلك– تمثيلا للسلطة وأداء للبيعة والولاء[6].

وأكثر هذه المحلات التي تؤدي هذه المهمة هي التي يقودها الباي باتجاه دار السلطان لتسليم مســـاهمة الـــبايلك فـــي خزيـــنة الدولـــة، والتي كانت تخضع لمراسيم وطقوس معقدة وتندرج في التشـــريفات الرســـمية للـــداي[7]، ومنه، فإن محلة الدنوش التي يقودها الباي إلى الجزائر كل ثلاث ســـنوات تختلف عن المحلات الفصلية التي يتم فيها جمع الضرائب، من أراضي البايلك أو إخضاع القبائل المتمردة.

---

[1]–قشي: مرجع سابق، ص 79.

[2]–سامح آلثر: مرجع سابق، ص141–142.

[3]–قشي: المرجع السابق، ص79.

[4]–المرجع نفسه، ص79.

[5]–سعيدوني: النظام المالي، ص123–124.

[6]–قشي: المرجع السابق، ص79.

[7]–المرجع نفسه، ص79.

فـــالهدف مـــن جمـــع الضـــرائب خلال رحلة الدنوش، هو انتقال الباي إلى الجزائر لتقديم مســـاهمات الـــبايلك المالية، والقيام بالمحاسبات المختلفة وجمع الضرائب الذي يقوم به الباي أثناء سيره، وبالتالي فهي تكملة لعملية تقديم الدنوش كما أنها أيضا أداء للبيعة والولاء بين الباي والقبائل التي يمر بها في طريقه.

ونحن لا نستطيع أن ندخل في تفاصيل عملية جمع الضرائب، ودقائق أمورها، لأنها عملية واســـعة ومتشـــعبة وبحثـــنا لا يمكنه أن يستوعب جميع تلك التفاصيل، خاصة وأن ما كتب عـــن الدنـــوش(*) لم يتم التركيز فيه على جمع الضرائب أو عن علاقة البايات بشيوخ القبائل الذين يمرون بهـــم، وإن كـــان قـــد تـــم الحديث عنها في مكان آخر وسياق آخر(**)، كما لم تركز على الطريق السلطاني والمحطات التي يتوقف عندها موكب الباي -كما رأينا سابقا-.

فأغلـــب ما كتب في جمع الضرائب يتعلق بالمحلات الموسمية التي تجوب المناطق التابعة للـــبايلك، أو المحـــلات التأديبـــية التي يقودها البايات ضد القبائل المتمردة والتي تنتهي في الغالب بالســـيطرة وفـــرض الضرائب عليها، وأهم ما يمكن بحثه في هذه النقطة، هو كيفية تحضير محلة الدنـــوش ومراسيم انطلاقها، والعلاقة بين سلطة البايلك وأعيان وشيوخ القبائل، وما إذا كانت هناك تقاليد ومراسيم تحدد هذه العلاقة؟

إن التحضـــيرات الخاصـــة بمحلة الدنوش لا تختلف كثيرا عن التحضيرات الخاصة بمحلة جمع الضرائب الموسمية داخل البايلك، فهناك دائما إعداد وجمع للقوة العسكرية وموكب الباي، وكل ما يحتاجونه من مؤونة طيلة الفترة التي يقضونها خارج عاصمة البايلك.

والخـــزندار هو الذي يشرف على إعداد المحلة وما يلزمها وهي مهمة ليست بالسهلة، كما عـــبر عن ذلك تيدنا خزندار باي معسكر، لأنه يقوم بأعمال متعددة، فهو المسؤول عن كل المؤونة التـــي تحتاجها المحلة، ويكون تحت تصرفه حوالي ستون خادما، ويشرف على حمل وإنزال حمولة الدواب، وعليه أن يتفقد كل ما يحتاجونه في سفرهم عشية وصباح الرحيل[1].

وعـــادة مـــا يذهـــب الخليفة قبل انطلاق الباي بساعة، لأنه مكلف بترتيب المحلة، ويرافقه المكلفـــون بقيادة الجمال والدواب الحاملة لخيام جميع الموكب، وهذا حتى يجد الباي الخيام منصوبة

(*)-انظر: مذكرات الزهار، المزاري: طلوع سعد السعود، ومذكرات تيدنا.

(**) -انظر: جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري.

[1]-عميراوي: مرجع سابق، ص60-61.

عند وصوله[1].

ويتسم خروج الباي من مدينته على رأس موكبه بالفخامة والأبهة، حيث تصاحب ذلك مراسيم وتشريفات تعطي لهذا الخروج الأهمية الفائقة، وتبرز ما يتمتع به البايلك من فخامة، وذلك من خلال الألبسة الفاخرة التي يرتديها الباي وحاشيته، والخيول المزينة التي تزيدهم رفعة وفخامة. ومن جهة أخرى تبرز ما للبايلك من ثروات مختلفة تزيد من قيمة الدنوش، وإن كانت أهم مكوناته تجمع من المناطق التي يمر بها الموكب باتجاه الجزائر.

ويصف الزهار خروج الباي محمد الكبير، وهو محمل بالهدايا والتحف والأموال الكثيرة لتأدية الدنوش قائلا:«...فخرج من مقر إمارته معسكر ومعه جيش كبير من أتباعه وكبراء النخوع[*] وقواد وأغوات، راكبين الخيل المسومة ذات السروج الذهبية، وعليهم لباسهم الفاخر، ومع الباي خزانته المقومة، خرج من معسكر وقومه يلعبون بالسلاح بين يديه ويضربون البارود والسناجق ترفرف والطبول تدق حوله»[2].

وإعداد موكب الباي على هذا النحو هو مبعثة للفخر الذي تحب أن تظهر عليه سلطة البايلك، وهي أيضا محاولة لإظهار ثروة البايلك، والتي يتنافس البايات في إبرازها بكل الوسائل عند الذهاب لتأدية الدنوش، وتقديمها للباشا محاولة منهم لكسب رضاه.

ونجد أن المحلة تسير وفق نظام معين، فلديها طاقم من الموظفين يقوم بإدارتها، إلى جانب الباي عند تقديم الدنوش الكبير والخليفة عند تقديم الدنوش الصغير، وهم:

-بلوكباشي: وهو الذي يشرف على كل المعسكر ويسمى آغا المحلة، هو بمثابة المقدم.

-أوضة باشي: يتحمل مسؤولية وظائف الضابط الإداري، وهو الملازم الأول.

-خوجة: كاتب للقيادة.

---

[1]-عميراوي: مرجع سابق، ص66.

[*]-هم شيوخ القبائل. انظر: مذكرات الزهار، ص57، التهميش 92.

[2]-الزهار: مصدر سابق، ص36.

قدم أيضا تيدنا وصفا لخروج الباي محمد الكبير لتأدية الدنوش، وكيف يرتجل فرسه ويتبعه في ذلك من سيخرجون معه، وترفع الرايات وتعزف الموسيقى على طول الطريق، ويسير في الخلف فرقة الفرسان، وعلى جانب الباي رجال البلاط. انظر: عميراوي: المرجع السابق، ص65.

-الشاوش: وهما اثنان، أحدهما ذو رداء أخضر والآخر ذو رداء أصفر.

-سقا باشي: يوفر الماء اللازم للحامية.

-عسجي باشي: رئيس الطباخين.

-وكيل الحرج:المكلف بالتمويل في الخيمة.

وهـؤلاء هـم الذيـن يشكلون ديوان الحامية[1]، وأثناء السير فإن الشاوش يعمل على نقل تعليمات الباي إلى الآغا، الذي ينقلها بدوره إلى باقي الموظفين أين يتم تنفيذها بسرعة[2].

وحجـم المحلـة يختلف من بايلك لآخر، فحسب V.De Paradis، فإن حامية بايلك الغرب أكـبر حجمـا مـن حيث القوات العسكرية، فهي تتشكل من ثمانين خيمة تضم كل واحدة منها ستة عشـرة جـنديا، أي مـا يعادل 1280 جنديا، في حين حامية بايلك قسنطينة تتكون من ستين خيمة وتحـتوي علـى نفـس عـدد جنود خيمة بايلك الغرب، أي ما يعادل 960جنديا، أما حامية بايلك التـيطري فتتكون من عشرين خيمة، وتحتوي أيضا على نفس العدد من الجنود، أي ما يعادل 320 جنديا.

وإن كـان حمدان خوجة يقدم أرقاما مختلفة، فهو يذكر أن حامية قسنطينة تتكون من 100 خيمة، وحامية معسكر من ستين خيمة، وحامية المدية من 40 خيمة كل خيمة بها 30 جنديا[3].

ولا نعـرف أي المعلومتين أصح، ما قدمها V.De Paradis أو التي ذكرها حمدان خوجة، لكـن قـد لا يكـون بالضرورة أحدهما على خطأ، فحمدان خوجة يتحدث عن حامية معسكر بينما V.De Paradis يـتحدث عـن حامية بايلك الغرب؛ أي أن الفترة الزمنية غير واضحة عنده، لأن بـايلك الغـرب قـد يكـون وهران أو مازونة وليس معسكر، وبالتالي إذا كانت الفترتين مختلفتين ستختلف معها الأوضاع، وقيمة الدنوش أو حجم البضائع العينية أو أمن الطرق، فتزيد عندها تشكيلة الحامية وتنقص حسب الحاجة.

ونجـد أن المحلة عند توقفها بمكان ما تشكل الخيام تنظيما جميلا، حيث تقام خيمة الباي في وسـط المعسـكر يحيط بها الفرسان والمشاة، ووسط هذه الخيام يترك ممر صغير يؤدي إلى خيمة

---

(1)-حمدان خوجة: مصدر سابق، ص140.

(2)-V. De Paratis : Op.cit, P69.

(3)-حمدان خوجة: المصدر السابق، ص139.

البايلك، كما تنصب خيمة كبيرة نجد فيها المستشفى والصيدلية والمقهى ... [1]، وفي أثناء السير تطعم الجيوش بالبرغل، وهو قمح يقلى ثم يرحى ويغربل لتنزع منه النخالة ليصبح نوعا من البسيسة،ويحتفظ به عاما كاملا، ولا يأكل الجنود اللحم إلا مرة واحدة في الأسبوع[2] .

وخلال سير المحلة من منطقة لأخرى ومن قبيلة إلى قبيلة تبرز لنا علاقة الحاكم بالرعية، التي تصور أحيانا خضوع الثاني للأول وأحيانا أخرى حذر الأول من الثاني. فلقد كانت عملية جباية الضرائب الشغل الشاغل للدولة، فنجد على المستوى السياسي العالي اتباع أسلوب التصميم والحزم في عملية جمع الضرائب، يدرك معها الرعايا أنه لا مجال للتهرب منها، وبها يشعر المسؤول التنفيذي من الوالي إلى مأمور الجباية بأن مقامه في منصبه مرهون إلى حد كبير بنجاحه في إتمام عملية التحصيل الضريبي[3].

ولم يكن المسؤولون في الجزائر فقط يحرصون على الاحتفاظ بمناصبهم من خلال إنجاح عملية جباية الضرائب، حتى وإن اضطرهم ذلك إلى استعمال القوة، مثلما كان يرى ويليام شالر من «أن البايات كانوا يلجؤون للضغط والاستبداد على المناطق الخاضعة لهم، من أجل جمع الموارد المالية التي تسمح لهم بالاحتفاظ بمناصبهم، وهو أمر لم يكن له مثيل في تاريخ الشعوب الأخرى»[4].

بل على العكس تماما، فطالما كان أي مسؤول يحرص على إرضاء المسؤول الأعلى منه من أجل المحافظة على منصبه، حتى وإن دفعه ذلك إلى بعض التجاوزات. وفي كثير من الأحيان تستخدم القوة والضغط عند جمع الضرائب من السكان، وهذا عبر العصور وفي مختلف البلدان، ولم تقتصر على إيالة الجزائر فقط.

أما ما كان معمولا به في الجزائر خلال العهد العثماني؛ هو أن بايات المقاطعات يجمعون الضرائب من المناطق التابعة لهم، ويرسلونها مع خلفائهم إلى الجزائر كل ستة أشهر، ويدفعونها بأنفسهم كل ثلاث سنوات، وشيوخ القبائل الخاضعة لنفوذهم مطالبون بتحصيل الجزء الذي يدفعه

---

[1]- حمدان خوجة: مصدر سابق، ص140. انظر أيضا: عميراوي: مرجع سابق، ص66-68.

[2]-حمدان خوجة: المصدر السابق، ص139.

[3]-صلاح حسن السوري: "الضرائب العثمانية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي في العهد العثماني الثاني، -مشاكل الضغط والتوتر"-، مؤتمر الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، ج 1، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، 1986، ص228.

[4]-وليام شالر: مصدر سابق، ص45.

كل ساكن في قبيلتهم حسبما هو متفق عليه، وهم بدورهم يقدمونها لخزينة البايلك لتقدم بعدها لخزينة الإيالة[1].

وبالمقابل يحصل الجميع على نصيبهم من هذه الضرائب، فقسم منها يتحول إلى حقوق لترضية المرابطين، والشيوخ والقياد ومسئولي الخدمات الاجتماعية والاقتصادية، وموظفي الجهاز الإداري والعسكري، وقسم آخر يصرف لتغطية الالتزامات العرفية (الهدايا الالزامية) المفروضة على البايلك لفائدة قادة الجيش وأعضاء الديوان ومستخدمي الدولة[2].

وهنا العلاقة مزدوجة، فهي تربط الباي برعيته وأعوانه المباشرين في البايلك، وهم يساهمون في تحضير الدنوش وجمعه، ويأخذون نصيبهم منه في شكل هدايا، وتربطه بالطرف الآخر بمن هم أكبر شأنا منه في الحكم المركزي بالجزائر من كبار الموظفين وأعوان الداي، أما ما تناله الرعية فمن باب الصدقات التي يوزعها الباي على فقراء المناطق التي يمر بها الموكب[3].

وهنا يظهر لنا التسلسل في أداء عملية الجباية من أدنى درجة على مستوى القبيلة وصولا إلى الحاكم الأعلى للإيالة، مشكلة بذلك حلقات مترابطة انطلاقا من سكان القبيلة، فالشيوخ والقياد ثم البايات وأخيرا الداي في الجزائر، لكن من هو في حاجة للآخر، هل دائما الأقل مرتبة هو الذي يحسب حساب من هو أعلى منه درجة؟ ألا تنقلب القاعدة في بعض الأحيان ويسيطر فيها الأقل نفوذا وسطوة؟

لطالما عرفت المحلة بنفوذها وسيطرتها على القبائل عند القيام بعملية الجباية، بل إنها كانت أحيانا تلحق الخسائر الفادحة بالمناطق التي تتوجه إليها، ومن ذلك أن مصطفى بومزراق باي التيطري قام بحملة ضد قبيلة الأربعاء سنة 1825م، حجز أثناءها 120 من أعيانها واستولى على 10700 جمل بيعت في مكانها لقبائل القوم. كما قام في السنة التالية بحملة ضد أولاد مختار الشراقة عادت عليهم بغنائم تقدر بـ500 جمل و4000 خروف[4].

---

(1)-Diego de Haedo :"Topographie et histoire générale d'Alger", traduit par : MM Monnereau et A. Berbrugger, **R.A**, 1871, P470.

(2)-سعيدوني: دراسات تاريخية، ص341.

(3)-قشي: مرجع سابق، ص81.

(4)-Ferdemann. (H) & Aucapitaine .(H): " Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri",In **R.A**, NP9, 1865, P300-301.

كمـــا تندرج في هذا السياق حملة محمد الكبير باي معسكر على منطقة تبعد 20 كلم جنوب معســكر، فقــد ضــمت الحملة حوالي 15000 رجل، منهم: 2000انكشاري، وقد غزا 14 أو 15 دوارا، جمـــع منها حسب تيدنا 6700خروف وعنزة و5000 جمل، و653 بغل و720 بقرة وثورا، إضافة إلى وقوع 60 شخصا في الأسر أغلبهم نساء[1].

ومـــن النـــتائج التـــي يذكرها وليام شالر لأعمال الجباية القاسية على الرعايا، هي هجرتهم للسهول الخصبة ليسكنوا الجبال التي يصعب على الأتراك الوصول إليها أو إلى أطراف الصحراء[2]. كمـــا تصـــور بعض نوازل الفكون عساكر المحلة كيف كانوا يتجاوزون حدود الضيافة الجبرية المفروضـــة علـــى الأهالـــي والقبائل الواقعة في طريقها، حيث كانت تستقر فوق مزارع الخواص وتتلف بعض محصولاتهم بالاستهلاك المفرط أو بمرور خيولهم والتكفل بعلفها وغيره[3].

هـــذا الـــنفوذ والقمـــع الـــذي تصـــوره لنا بعض المراجع يفسر لنا خضوع الرعية للسلطة العثمانـــية، فاستقبال القبائل لمحلة الدنوش هو ولاء وطاعة ممزوج أحيانا بالخوف. فأغلب الكتابات لـــم تصـــور المحلة في صورة الحاكم المتجول الذي يتفقد الرعية ليظهر رعايته ورقابته وحضوره وسلطته[4].

لذلـــك نتساءل عما تقدمه القبائل كمساهمة للدنوش الذي ينقل إلى مدينة الجزائر ما إذا كان رضا وابتهاجا منهم، أم أنه جبر وكره؟ ثم هل المحلة دائما كما تصورها بعض المراجع في صورة الجابـــي الظالم صاحب النفوذ والسطوة. ألا يتغير هذا الوضع بتغير ميزان القوة المتواجد في منطقة ما، وتكون القبائل هي صاحبة النفوذ الحقيقي على المنطقة والسكان؟

عملـــت الكثـــير من القبائل وخاصة منها المخزنية دورا مهما في تأمين الطريق السلطاني لموكـــب الـــباي أو خليفته عند الانتقال إلى العاصمة لتأدية الدنوش أو عند العودة لهذا تعتمد عليهم السلطة لتأمين الحماية لهم، لأنهم كثيرا ما كانوا يتعرضون لمضايقات من بعض القبائل التي يمرون بهـــا ولم تكن علاقتهم بها جيدة، وأبواب الحديد على الطريق السلطاني الرابط بين قسنطينة ومدينة الجزائـــر خـــير مثال على ذلك. وعلاقة بايات قسنطينة بأسرة المقراني الحاكمة في بايلك الشرق،

---

(1)-عميراوي: مرجع سابق، ص84.

(2)-وليام شالر: مصدر سابق، ص59.

(3)-قشي: مرجع سابق، ص63.

(4)-المرجع نفسه. ص80.

تثبت صحة هذه النظرية(*).

الحـــاكم والمحكـــوم، السلطة والتابع لها، صاحب القرار والخاضع له، أطراف ليست ثابتة دائما بل هي متغيرة بتغير مركز القوة، وهذه القوة ليست دائما الباي وبايلكه أو شيخ القبيلة وقبيلته، بـــل هي تنتقل بين هذا وذاك حسب نفوذه وسلطته على المنطقة وسكانها. فلو أخذنا مثالا بسيطا عن شيخ أولاد مقران كصورة لعلاقة البايلك بقبائل المنطقة وشيوخها، لوجدناه -كما رأينا سابقا- يتمتع بقوة وسطوة كبيرة على مستوى بايلك الشرق، استمدها من اتساع وقوة القبائل الخاضعة له ومناعة المناطق التابعة له، وهو ما جعل بايات قسنطينة يحسبون حسابه.

وقـــد تحـــدث عن ذلك الرحالة Peyssonel ، الذي مر بالمنطقة مع الحامية التركية باتجاه الجزائـــر ســـنة 1725، وأكد أن القوات العثمانية كانت تخشى المرور بمضيق البيبان المنيع، وأن أفـــراد الحامية كانوا لا يجرؤون على طلب المأوى ولا المؤونة من قبائل المنطقة، أو التعدي على ممـــتلكات شـــيخ أولاد مقران أو أتباعه، كما كانوا يفعلون مع قبائل المناطق السهلية، أين يفرضون عليها استضافتهم طوال فترة جباية الضرائب، وأحيانا قد يستخدمون ضدهم القوة(1).

إن مناعة منطقة البيبان وقوة قبائلها قد تدفع أحيانا بالمحلة إلى تنكيس أعلامها، وتتوقف عن عـــزف الموســـيقى الشـــرفية حتى خروجها من المنطقة، وتستمر في السير حتى تخرج من بيبان الحديـــد، بـــل إن بعض المصادر تذكر أن السلطة العثمانية بقسنطينة والجزائر كانت تقوم بإطلاق طلقات من المدافع، وتقيم الأفراح عند وصول خبر اجتياز المحلة لممر البيبان بسلام(2).

عـــندما تتوتر العلاقة بين بعض قبائل هذه المنطقة والبايلك، تعمد عائلة أولاد مقران أحيانا إلـــى محلـــة الدنـــوش تقـــتطع منها العجول والكباش بالقوة لصالح قبائل المنطقة المعارضة لسلطة الـــبايلك، لضـــمان عبورها أبواب الحديد دون وقوع أي هجوم على المحلة(3). لكن أحيانا يمكن أن يصـــل الأمر إلى قيام الثورات أو الاغتيالات كما حدث بعد وفاة الشيخ بوزيد المقراني سنة (1147

(*)-هذا يذكرنا بما تفعله الجزائر عند إرسالها الهدايا إلى السلطان العثماني باسطنبول، حيث ترسل الهدية والوفد الحامل لها على متن سفينة حربية تابعة لدول أجنبية، حتى يضمن وصولها وعدم التعرض لها من قبل أعداء الإيالة في البحر المتوسط، وعلى رأسهم فرسان القديس يوحنا، وقد فاز بهذا الشرف دول عديدة كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والدنمارك. انظر: حماش: العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي. ص157-160.

(1)-معاشي: مرجع سابق، ص148-149.

(2)-المرجع نفسه، ص149.

(3)-Vaysettes : Op.cit, P33.

هـــ/1734م)، عندما قام أبناؤه بقتل خليفة الباي الحاج بكير ومعظم قواته سنة (1149هـ/1737 م)، عند مرورهم بمنطقة البيبان لحمل الدنوش إلى الجزائر[1].

لقد أفرز هذا الوضع القائم بين السلطة العثمانية وشيوخ أسرة أولاد مقران قواعد جديدة في المعاملـــة، فقد منح لهؤلاء الشيوخ امتيازات مختلفة تقربا منهم وتأمينا للطريق السلطاني ولمصالح الـــبايلك المـــتعلقة بجـــباية الضرائب المختلفة، عدا ضريبة القفطان التي كانوا يدفعونها للباي مقابل القفطان الذي يزكي حكمهم وتقدر بـــ10.000 بوجو[2].

لكن موازين القوى تتغير وتتغير معها قواعد المعاملة، فما تتمتع به عائلة المقراني من قوة ونفـــوذ والذي أكسبها المكانة الرفيعة لدى السلطة العثمانية لم يكن وضعا دائما يجعلها المتحكمة به. فقـــد عانـــت في بعض الفترات من الخلافات القائمة بين أفراد الأسرة، مما أضعفها وجعل السلطة العثمانية تستغل هذه الخلافات، وتبث الشقاق بين الاخوة للسيطرة على الوضع في المنطقة[3].

وتأكيدا على تأييد هذا الصراع، كان الباي مصطفى الوزناجي (1209هـــ-1794م) يرسل كـــل سنة ثلاث قفاطين (برانس التعيين) [*]، إلى شيوخ الفروع الثلاثة المتناحرة داخل هذه الأسرة، وهـــم: أولاد الحـــاج، أولاد عبد السلام وأولاد القندوز،ومقابل ذلك كان يتلقى ثلاث أضعاف ما كان يـــتلقاه مـــن ضرائب هذه الأسرة، فكان لهذا الشقاق فائدة على الباي بزيادة موارده المالية وسهولة إخضاع الأسرة لسلطته[4].

ونتـــيجة للحروب المتتالية بين فروع هذه الأسرة تمكنت السلطة المركزية من الهيمنة على شـــيوخها، وجعلهم في خدمة البايات المتعاقبين على حكم قسنطينة، فقد تحالفت الأسرة بفروعها مع

---

[1]-Feraud (Ch) : Op.cit, P253.

قام الأبناء الأربعة للشيخ بوزيد بقتل خليفة الباي بتحريض من أمهم، لمحاولته إرغامها على الزواج منه أثناء رحلة الحج.

[2]-معاشي: مرجع السابق، ص150.

[3]-انظر: تفاصيل الصراع والخلافات بين أبناء أسرة المقراني بعد وفاة الشيخ بوزيد المقراني.

Feraud (Ch) : Idem, P279-282.. ومعاشي: المرجع السابق، ص289-305

[*]-أعطت السلطة المركزية شيوخ الأسر الكبرى حق ارتداء قفطان الباي، تعبيرا عن اعترافها بحكمه ومساواته مع الباي، فكان هؤلاء الشيوخ يجتمعون على ضفة وادي الرمال لاستقبال الباي عند قدومه من العاصمة، ويسلمهم قفطان التعيين كرمز لمشاركتهم له في الحكم. انظر: معاشي: المرجع السابق، ص138.

[4]-معاشي: مرجع سابق، ص297.

الـباي عـثمان في مقاومته لثورة ابن الأحرش (1219هـ-1804م)[1]. لكن رغم إخلاص هؤلاء لسـلطة البايلك، إلا أن بايات قسنطينة في نهاية العهد العثماني كانوا يسعون لزرع الشقاق بين هذه القـروع ليـبقوها تحت سيطرتهم، فكان كل باي جديد يعين على مجانة شيخا منافسا للشيخ القديم. فكـان شـيوخ الأسرة يسعون لإرضاء كل باي جديد، فيرسلون له الهدايا الثمينة ويعترفون بحكمه مقابل وعوده لهم بالمساندة ضد منافسيهم من الشيوخ[2].

أمـام هـذه العلاقـة المتضاربة بين البايلك وأصحاب النفوذ داخله، ما الذي يتحكم في هذه العلاقـة؟ وهـل الشيوخ والقياد هم الذين يسعون دائما لكسب رضا الباي، كما يسعى هو إلى كسب رضا الباشا، أم أنه عليه أحيانا السعي لإرضاء المتنفذين داخل بايلكه؟

تغـير موازيـن القـوى بين سلطة البايلك وشيوخ القبائل يغير من قاعدة الولاء بين الحاكم والمحكـوم، ومحلـة الدنوش التي يقودها الباي أو حتى خليفته تسعى من وراتها لكسب هذا الولاء، للظهـور أمام الباشا في أحسن صورة. ويبقى ميزان القوى بين مد وجزر أحيانا إلى صف البايلك. وأحيانا أخرى إلى جانب أصحاب النفوذ من شيوخ وأعيان القبائل، وفي كل مرة يستغلها كل طرف لكسـب مـا يـريد، إمـا أموالا عينية ونقدية وهدايا أو ولاء وطاعة، ونجد في ضريبة "العسة" أو "الوعدة" إثبات لسيطرة شيخ أولاد مقران على منطقته، ومنه خضوع المحلة له.

فضـريبة "العسة" أو "الوعدة" فرضها عبد العزيز العباسي على العثمانيين في مقابل مرور المحلـة، وظلـت سـارية المفعول طوال الفترة العثمانية، وكانت عبارة عن أموال نقدية والسلاح واللـباس الفاخر، والبرانس الحمراء لأعيان الأسرة، أما القبائل المكلفة بحراسة الطريق، فتمنح لها مبالغ مالية ورؤوس من الأبقار والأغنام[3].

هـذه الضريبة هي اعتراف من البايات بسيطرة هذه القبائل على الممرات الجبلية، وهي تساعد المحلـة علـى القـيام بدورهـا كما ينبغي، وتحقق ما تسعى إليه من الجباية وفرض الطاعة والولاء، فسـلطة الـبايلك فـي حاجة إلى تحالف مع شيوخ القبائل وأصحاب النفوذ ليصل الطرفان إلى هدفهما.

---

(1)-Feraud (Ch) : Op. Cit, P274.

(2)-معاشي: مرجع سابق، ص300.

(3)-فرضت هذه الضريبة ابتداء من سنة 960هـ/53-1554م. انظر:

Feraud(Ch) : Idem, P248-249.

وهنا تكمن العلاقة الجدلية بين الحاكم والمحكوم، والتي ترمز إليها فروض الطاعة والولاء[1].

ومن جهة أخرى نجد شيوخ القبائل وأصحاب النفوذ يسعون لإرضاء الباي، ويقدمون الهدايا وفروض الطاعة، فقد كانوا يدفعون مثلا ضريبة "حق البرنوس" عند تلقيهم قفطان التعيين، وهذه الضريبة كانت تختلف من شيخ لآخر حسب أهمية المنطقة التي يسيطر عليها[2]. كما كانوا يتقربون من كل باي جديد بالهدايا الثمينة، ويعترفون بحكمه لكسب مساندته ضد منافسيه من الشيوخ[3].

هذه العلاقة التي تربط البايلك بالشيوخ وأصحاب النفوذ، والتي تفرضهما موازين القوى، جعل اعترافهما ببعض حتمية وضرورة لإدراك كل طرف بأهمية ووزن الطرف الآخر. فقد اعترف بايات قسنطينة ومن ورائهم السلطة المركزية بالاستقلال الداخلي لشيخ أولاد مقران مقابل التزامه بتأمين الطريق للمحلة عند عبورها بالمنطقة، فقام ببناء مراكز للمراقبة بالمناطق الخطيرة يحرصها سكان القرى القبائلية مثل: بوكتون، أولاد راشد، بل أحيانا كان الشيخ يرافق المحلة بنفسه عند مرورها بأراضيها، كما كان يجمع الضرائب من أتباعه لصالح السلطة العثمانية[4].

ويمكن أن نناقش نقطة أخرى: أيمكننا أن نعتبر أن الهدايا أو الضرائب التي يدفعها الشيوخ والقياد مقابل الحصول على برنوس التعيين هو ابتياع لمنصب المشيخة؟ وهل بالمقابل ما يدفعه البايات للباشاوات والباشاوات للسلطان العثماني في الاستانة من هدايا مقابل قفطان التولية هو شراء لهذه الولاية أو لهذا المنصب؟

كان حق البرنوس أو المشيخ -كما يعرف في بعض الجهات- يدفعه القائد أو شيخ القبيلة للباي عند توليه منصبه، وهو بدوره يخبر أفراد قبيلته بالمساهمة بتغطية نفقات هذه التولية، التي هي في الواقع حقوق التزام أو إسناد مناصب[5].

وكان هؤلاء القياد أو الشيوخ المحليون يقترحون عادة من طرف مجلس القبيلة نفسها،

---

(1)-قشي: مرجع سابق، ص80.

(2)-فشيخ العرب مثلا يدفع 20.000 بوجو، ثم انخفضت القيمة إلى 10.000 بوجو عند تولي أسرة ابن قانة هذا المنصب، في حين كان شيخ الحنانشة وأولاد مقران يدفعان 10.000 بوجو، وشيخ فرجيوة لا يدفع سوى 500 بوجو انظر: معاشي: مرجع سابق، ص175.

(3)-معاشي: المرجع السابق، ص300.

(4)-المرجع نفسه، ص152.

(5)-فلة القشاعي: مرجع سابق، ص71.

ويزكـــي ذلـــك الاختيار قائد الوطن أو الباي، لكن هذه الطريقة تغيرت في نهاية العهد العثماني مع ســـعي البايات لجمع أكبر كمية من الضرائب، فأصبحت المشيخة أو القيادة تمنح لمن يدفع ضريبة أكـــبر، وبذلك لم يعد يراعى أي معيار لاختيار الشيخ غير ما يمكن أن يدفعه للإدارة المركزية من أموال[1].

هـــذا التنافس في الحصول على منصب "القيادة" أو "المشيخة" بدفع أعلى مبلغ من المال، لا يمكن أن نعتبره إلا مزايدة لشراء المنصب وبرنوس التولية الذي يحصل عليه الشيخ، يُشترى بهدية مقابلة له شأنهم في ذلك شأن الباشا والباي عند حصولهم على قفطان التولية[2].

ولعل ما وصفه تيدنا Thédnat باعتباره خزندار باي معسكر يثبت ذلك، وهو المنافسة في الحصـــول علـــى المشيخة أو القيادة بدفع مبلغ من المال إلى الباي، ويضيف تيدنا أن ذلك لا يتوقف على منصب المشيخة أو القيادة فقط، بل ينطبق على كل الوظائف[3].

ومـــا نجـــده فـــي "حقوق التولية" التي يدفعها السكان كضرائب لفائدة القياد والشيوخ، الذين يقدمونهـــا بدورهـــم لرجال الدولة المتنفذين بدءا من البايات ووصولا إلى الباشا، ليتلقون قفطان أو برنوس التعيين مقابل تعيينهم في المنصب أو تجديد المهمة المكلفين بها يفسر لنا ما سبق ذكره.

فقـــد اشـــتهر مـــنها "حق البشماق" و"حق الفرح" أو "البشارة" و"حق البرنوس" أو "المشيخ"، وكلها رسوم تدفع مقابل إسناد المناصب وإقرار البقاء فيها، مما جعلها تتدرج في نظام الالتزام، ومع أنهـــا كانت في الأصل عبارة عن هدايا، إلا أنها تحولت إلى ضرائب إجبارية يتنافس أصحابها من خلالها للحصول على المنصب[4].

أخيرا؛ فإن دور محلة الدنوش المتشعب على أهمية كبيرة، فبين جمع الضرائب وحملها من الـــبايلك إلـــى دار السلطان، وبين فرض الولاء والطاعة على القبائل، جدلية تفرضها علاقة السلطة بالقبائل، هذه العلاقة التي تحددها موازين القوى وقوة نفوذ كل طرف، لكن الأكيد أن كل طرف في حاجة للطرف الآخر، وقد يسعى كلاهما لإرضاء الآخر بطريقته الخاصة ولهدفين مختلفين.

---

(1)-معاشي: مرجع سابق، ص153.

(2)-Kamel Filali : « Le don épine dorsale du systeme Ottoman, Le cas de l'Algérie, **Annales du laboratoire d'études et de recherches Maghreb-Méditéranée**, Vol5, 2002, Constantine, P8.

(3)-عميراوي: مرجع سابق، ص63.

(4)-سعيدوني: دراسات تاريخية، ص345-346.

الفصل الرابع:

مراسيم ورمزية تقديم الدنوش وتوزيع الهدايا

أولا: مراسيم الاستقبال والإقامة

ثانيا: توزيع الصلات والهدايا

ثالثا: قفطان التعيين: ولاء وولاية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أهـــم مـــرحلة فـــي عملية تقديم الدنوش هي المراسيم التي تصاحب هذا التقديم، ويدخل في إطارهـــا تقديـــم الهدايا والهبات للداي ووزراء الديوان، ويحصل الباي بالمقابل على قفطان التعيين. وسنحاول أن نبحث في رمزية هذه المراسيم والتشريفات، كما سنضطر إلى الاعتماد على السرد في الكثير من الأحيان، لمعرفة ولفهم هذه العملية بشكل أكبر.

أولا: مراسيم الاستقبال والإقامة.

تـــرافق عملية تقديم الدنوش مجموعة كبيرة من المراسيم والتشريفات، تبدأ من خروج الباي مـــن عاصـــمة البايلك، وتستمر حتى وصوله إلى دار السلطان، وإقامته هناك ثمانية أيام، ثم عودته إلى البايلك من جديد.

إن هـــذه العملية التي تقوم على تقديم ضرائب البايلك للخزينة العامة للإيالة ومحاسبة الباشا لولاتـــه فـــي الأقاليم، لا يمكن لها أن تكتمل كعملية إدارية واقتصادية إن لم ترافقها هذه التشريفات، التـــي تعتبر مراسيم وطقوس معقدة تندرج في التشريفات الرسمية للداي[1]، وهي تقوم في الأساس علـــى شقين أساسيين: الصور الاحتفالية لوصول الباي وإقامته في الجزائر، ثم توزيعه للهدايا على الداي ووزرائه.

وهذه المراسيم والتشريفات مرتبطة بتقديم الدنوش كل ثلاث سنوات، وكما رأينا في الفصل الثانـــي فإن تقديم مردود الضرائب والمحاسبة عليها كل ثلاث سنوات أو ما يعرف بالدنوش لم تثبت المصادر متى كانت بدايته، وبالتالي لا نعرف متى بدأت هذه المراسيم، وهل صاحبت تقديم الدنوش منذ ظهوره أول مرة، أم أنها تأخرت إلى فترة لاحقة؟

لكـــن هذه التشريفات والمراسيم المصاحبة للزيارات الرسمية وما يتبعها من توزيع للهدايا، مســـتمدة من التقاليد المتبعة في الإدارة العثمانية، بدءا من الباب العالي إلى المقاطعات داخل الأيالة، فنجد أن تبادل الهدايا بين الجزائر والباب العالي وما يتبعها من مراسيم، ترسخ كتقليد على كل حاكم جديـــد في الجزائر أداؤه تجاه السلطان العثماني، تعبيرا عن الولاء له واعترافا بتبعية الجزائر للدولة العثمانية، وإن كانت تلك المراسيم ومستوى الهدايا يختلف من عهد لآخر[2].

وهـــو مـــا نجـــده بين بايات المقاطعات الثلاث والباشا في مدينة الجزائر، أين أصبح تقليدا

---

[1]-تمّي: مرجع سابق، ص79.

[2]-حماش: العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، ص150.

متعارفا عليه يسعى البايات من ورائه لإظهار الولاء والطاعة للباشا لكسب رضاه، والحصول على التجديد للولاية.

وإذا رجعنا إلى تفاصيل مراسيم الدنوش، نجد أنها تبدأ منذ خروج الباي من بايلكه وصولا إلى دار السلطان، وقد ذكرنا فيما سبق كيف وصف الزهار خروج باي معسكر من إمارته ومعه جيش كبير، وكبار موظفي البايلك، يلبسون الثياب الفاخرة ويركبون الخيل المزينة، ومعهم الدواب تحمل أموالا وهدايا الدنوش، خرجوا وأهل المدينة يلعبون بالسلاح ويضربون البارود والطبول تدق والأعلام ترفرف[1]. إنه عرس كبير، فلطالما كان حضور الخيل والبارود والطبول والأعلام ضروريا في ثقافة أفراح ومناسبات المجتمع الجزائري.

وخروج الباي لتأدية الدنوش مناسبة خاصة لا تحدث إلا كل ثلاث سنوات، إنه حدث سياسي مهم، ونجاح الباي في القيام به على أحسن صورة أمام الداي وحاشيته في الجزائر، هو ضمان له لتجديد فترة الولاية، فلابد أن يكون الموكب في فخامة وأبهة، يحمل من الأموال والهدايا الغال والنفيس من خيرة الضرائب التي جمعها من بايلكه.

ومنه فإن خروج الباي لابد أن يصاحبه احتفال كبير، وموكبه لابد أن يكون على درجة كبيرة من الفخامة، وتشبيه قشي لموكب الباي وما يحمله، ومراسيم خروجه من المدينة، واستقباله في الجزائر، بموكب العرس فيه شبه كبير، فهو يجمع بين أهل العروس والعريس، بين من يعطي ومن يأخذ، وما تحمله العروسة معها من متاع هو حصيلة جهود متكاملة، بين حسن تدبير الأم وكرم الوالد، ومهارة العروسة... والكل يضفي على الموكب سمة البهجة والفرح، ولكن أهل العروسة ينتظرون الحكم من أصهارهم، ويتجسد في نوعية الاستقبال الذي يخصص له، ومدى حفاوته[2]. فكل التحضيرات الخاصة بحمل الدنوش إلى الجزائر، هي منافسة بين البايات، وسعيا للظهور في أحسن مظهر لإرضاء الباشا، والحصول على قفطان التولية تعبيرا عن تجديد الولاية له.

وإذا رجعنا إلى مراسلات إدارة بايلك قسنطينة مع الداي بالجزائر، نجد أنها تذكر تاريخ خروج البايات أو خلفائهم لتأدية الدنوش، ففي رسالة مؤرخة في 13 ربيع الثاني 1243هـ/3

---

[1]-الزهار: مصدر سابق، ص36.

[2]-قشي: مرجع سابق، ص82-83.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تنتهي إلا بمغادرته إياها راجعا إلى بايلكه.

أمـــا المصادر التي تصف هذه المراسيم والتشريفات بدقة فهي محدودة، نجد على رأسها ما قدمـــه الـــزهار فـــي مذكـــراته من وصف دقيق ومسهب، يعتبر أهم ما كتب حول هذا الموضوع. فالـــزهار يـــتحدث عن أدق التفاصيل في عملية تقديم الدنوش وتوزيع الهدايا، لم نتحصل عليها من مصادر أخرى، ومع ذلك هناك مصادر(*) تحدثت عن موضوع الدنوش لكن بشكل مختصر.

لا يمكنـــنا عرض كل ما تحدث عنه الزهار وغيره من مراسيم تقديم الدنوش، نظرا لكثرة التفاصيل وتشعبها، لكن سنحاول أن نعطي صورة واضحة عن تفاصيل هذه العملية، مع محاولة فهم رمـــزية هـــذه المراســـيم. وسنختار أحد البايات فقط لنتبع هذه العملية، لأننا لا نستطيع ذكر دنوش الـــبايات الـــثلاثة كلها، لأن نفس المراسيم والتشريفات نجدهم يقومون بها جميعا، وبالتالي لا يمكن تكرارها. لذلك سنتناول دنوش باي معسكر كنموذج، لتوفر مادة علمية معتبرة حوله.

يذكر الزهارأن الباي عندما يقترب من مدينة الجزائر، يرسل الباش سيار وبيده كتاب للباشا يستأذنه في الدخول إليها، فيأذن له بذلك ويعين له اليوم الذي يدخل فيه، عندها يخرج لملاقاته القائد آغـــا العرب ومعه قواده والسناجق والطبول، ويلتقيان بموضع يقال له "عيون الشعر" قبل بوفاريك، فـــيقدم الآغـــا للباي هدية من الباشا تتمثل في: فرس، سرج مذهب، زوج كوابس (مسدس)، وسيف ومكحلـــة كلهـــا مذهبة، ثم يسيرون إلى بوفاريك دار المبيت، والنوبة تضرب أنغامها والقوم يلعبون بالسلاح ويضربون البارود[1].

إن مقـــام الزيارة وما تحملها من عوائد يستدعي أن يستقبلها موظف ذو مقام رفيع، والقائد آغـــا العـــرب هـــو الوزيـــر الثاني في الديوان، وبحكم أنه قائد فرق الانكشارية وفرسان المخزن المعســـكرين خـــارج مديـــنة الجزائر[2]، ويدير المناطق المحيطة بمدينة الجزائر كمتيجة والساحل وأوطـــان دار السلطان والمناطق المحيطة بها[3]، فإنه الموظف المناسب لاستقبال البايات خارجها، مـــن جهة لوقوع هذه المناطق تحت سيطرته، ومن جهة ثانية لطبيعة موكب الباي وما يحمله من عوائد، فيجب أن يصطحب الآغا قواده وعساكره لحماية الموكب، والتكفل بمراسيم الاستقبال على

(*) –من بين هذه المصادر: محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران.
الآغا المزاري: طلوع سعد السعود، ج1.

(1)–الزهار: مصدر سابق، ص37.

(2)–سعيدوني: ورقات جزائرية، ص228.

(3)–الزهار: المصدر السابق، ص48.

أحسن وجه. ومنه فإن القائد آغا العرب أحسن ممثل للباشا يستقبل الباي وموكبه.

أما ما يتعلق باستئذان الباي للداي في الدخول إلى مدينة الجزائر، فنجد ما يمائله عند إرسال باشوات الجزائر الهدايا إلى السلطان العثماني في اسطنبول بمناسبة تعيينهم في الحكم، فعندما ترسو السفينة -التي تحمل على متنها الوفد الذي يقدم الهدية- في القرن الذهبي، لا ينزل الوفد القادم على متنها إلا بإذن من السلطان العثماني، عندها تقام مراسيم الاستقبال لها، ويحدد برنامج لقاء أعضاء الوفد مع السلطان ووزراء الباب العالي لتوزيع الهدايا عليهم، ومناقشة أوضاع الإيالة معهم[1].

وتبدأ مراسيم استقبال الباي وإقامته، عند الوصول إلى أطراف مدينة الجزائر، وأهم ما يميزها الموسيقى الشرقية واللعب بالسلاح وضرب البارود، وهي تقاليد احتفالية توارثها المجتمع الجزائري، فنجدها في أفراحهم وتجمعاتهم المناسباتية، كما أنها أسلوب للاحتفالات الرسمية واستقبال موظفي البايلك.

وفي المكان الذي يبيت فيه الباي وموكبه، والآغا وحاشيته تبدأ مراسيم الضيافة وتقديم الواجب، ولطالما كان الجلوس حول الطعام وشرب القهوة إلى جانب طريقة الاستقبال، هي عنوان الضيافة عند العرب ككل، فمن طريقة الاستقبال وتحضير أنواع الطعام والشراب تعرف مستوى الضيافة. فالضيف والمضيف كلاهما يسعى لإكرام الآخر، وإظهار أحسن ما لديه: الآغا يستدعي الباي وقواده إلى خيمته يجلسون هناك، فيصلون المغرب بها، ثم توضع سفرة الطعام، يجلس الباي وقواده والآغا حولها، أما من جاء مع الآغا من قواد فيظلون واقفين حتى انتهاء ضيوفهم من تناول الطعام.

بعدها، يأتي دور الباي لإظهار كرمه، فيعطي خدام الآغا عوائدهم، وعند عودته إلى خيمته يرسل العوائد لكل من جاء مع الآغا، من قواد وشواش والزرناجية والطبالين والخدام والمماليك. فيعطي كلا حسب مقامه، مالا أو خيلا أو عبيدا أو برانسا... كما تشمل عطاياه الخلق الذين يجتمعون عليه من أهل الصدقات، والذين يأخذون منه الدراهم كل يوم[2].من هنا يظهر سخاء الباي وكرمه في العطاء والإحسان، والذي يستمر في تأديته طيلة مقامه بدار السلطان، ثم عودته إلى البايلك.

خلال هذه الليلة أيضا يستمع الباي في خيمته إلى الموسيقى التركية، يضرب أصحابها على

---

[1]-حماش: العلاقات بين الإيالة الجزائر والباب العالي، ص160.

[2]-الزهار: مصدر سابق، ص 37-38.

الدفـــوف والمزامـــير، ثـــم يأتـــي بعدهم أصحاب الفن الأندلسي، فيضربون على الربابة والكمنجة والعـــيدان، والكـــل يحصـــل على عوائده من الإحسان[1].والجلوس لسماع الموسيقى والطرب، هي وســـيلة الترفـــيه الأساسية في مثل هذه الأوقات، فزيارة الباي إلى الجزائر لأداء الدنوش وإن كانت زيـــارة عمل، إلا أن نسبة كبيرة من وقت هذه الزيارة يقضيه في الاستقبالات، والجلوس على موائد الطعـــام والشـــراب والاســـتماع للموسيقى والطرب.فهل نعتبر كل هذا ــ وهو جزء من المراسيم والتشـــريفات ــ جزءا من العمل، لأن طبيعة الزيارات الرسمية تتطلب التخفيف من واجبات العمل من أجل تنويع برنامج الزيارة؟.

الواقع أن هذا ما يحدث فعلا خلال الزيارات الرسمية، سواء بين الحكام أو الحكام وولاتهم. وهـــو أمـــر مـــا زال معمـــولا به إلى الآن في سياسة الدول، فنجد أي زيارة رسمية تطغى عليها المراســـيم والتشـــريفات الخاصة بالاستقبال والضيافة وحسن الإقامة، ونحن لا نستطيع أن نعتبر أن هـــذه التشريفات والمراسيم تدخل في برامج العمل كالاجتماعات والنقاشات والمقابلات، لكنها جزء مهـــم جـــدا فـــي الزيارة الرسمية، ولن يكون لهذه الزيارة معنى دونها، ويمكن أن نعتبرها مكملة لبرنامج العمل.

بعد مبيت الموكبين في بوفاريك يفترقان في الصباح، فيأخذ الآغا وحاشيته طريق الجزائر، وأما باي الغرب و موكبه فيسير لينزل في محل منسوب له يسمى "حوش الباي"، يبعد أربع ساعات عن مدينة الجزائر[2]، يُقيل هناك ثم يسير إلى "عين الربط"، وهو موضع تنزل فيه محلة باي الغرب وبـــاي التـــيطري فيبيتون هناك، وفي الصباح يدخلون المدينة. أما باي قسنطينة فيبيت عند قنطرة الحراش وفي آخر الليل يأتي "لعين الربط" فيصبح هناك[3].

إن دخـــول الباي لمدينة الجزائر تسبقه ترتيبات عديدة يقف عندها قبل دخوله المدينة، ينزل فـــي محطتيـــن أو ثلاث يستقبله فيها الآغا ووكيله ويضيفانه، ويرسل طلب الإذن بالدخول مرتين: الأولـــى مـــع الباش سيار عند اقترابه من المدينة، والثانية مع وكيله عندما يصبح في "عين الربط"، بعدمـــا يكون قد بات هناك في استضافة وكيله، الذي يذهب في الصباح لإعلام الداي بوصول الباي وطلب المثول بين يديه[4]. إنها ترتيبات طويلة يقوم بها الباي خطوة خطوة، لماذا كل هذا؟ ألا يمكنه

---

[1]-الزهار: مصدر سابق، ص 38.

[2]-محمد بن يوسف الزياني: مصدر سابق، ص 191.

[3]-الزهار: المصدر السابق، ص 38.

[4]-المصدر نفسه، ص 38.

أن يدخل المدينة مباشرة؟ ما معنى أن يستأذن بالدخول؟ وما الهدف من ذلك؟ أيتوقع أن يرده الباشا راجعا إلى بايلكه؟

من غير المعقول أن يكون استئذان الباي للدخول إلى الجزائر توقعا منه أن يعيده الباشا إلى بايلكـــه، وهو الذي جاء يقدم عوائد البايلك، ويخضع لمحاسبة دورية تحدث كل ثلاث سنوات، وهو أمر متعارف عليه. لكن ما تقتضيه آداب الضيافة –وهو أمر متعارف عليه في الشريعة الإسلامية أدب الاستئذان عند القدوم ضيفا على قوم ما، فلا يدخل الضيف على بيت دون أن يطرق بابهم طلبا للدخـــول، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى قائلا: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1].

بل إنه في رواية عن أبي موسى الأشعري ﷺ ،أن رسول الله ﷺ قال:«الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع»[2]. ومن هذا المنطق جاء استئذان الباي للباشا للدخول إلى مدينة الجزائر. فالـــباي ضيف والباشا مضيف، ولا يتوقع الضيف أن يرده مضيفه لكن أدب الضيافة يقتضي ذلك. فالباشـــا حاكم لمقاطعة دار السلطان والمسؤول عنها، والباي وإن كان واليا في إيالة الجزائر إلا أنه يعتبر غريبا عن المدينة.

لقـــد أصـــبح الاستئذان لدخول المدينة، وما يتبعها من آداب الضيافة وتبادل الهدايا، مراسيم وتشريفات جرت عليها الإدارة العثمانية في الاستقبالات الرسمية، وإن أصبحت عادة وتقليدا متعارفا عليه إلا أنها في الأصل تعود جذورها إلى آداب الشريعة الإسلامية عامة.

وإذا رجعـــنا إلـــى دخول الباي مدينة الجزائر، نجد أنه لن يدخل إليها إلا بعد أن يرسل إليه الباشا بوفد لملاقاته خارجها، ثم يدخل برفقته إلى المدينة. هذا الوفد الذي يرأسه الخزناجي، ويرافقه بعض وزراء الديوان كالآغا وخوجا الخيل، يصحبون معهم مستلزمات الاستقبالات الرسمية كالنوبة أو فـــرقة الموســـيقى الشرفية والرايات، وعندما يلتقي الجمعان يُجرى احتفال صغير، كعزف النوبة وســـباق الخـــيول وضـــرب الـــبارود، بعدها يركبون جميعا ويدخلون المدينة ويسيرون باتجاه دار

---

[1]–سورة النور، الآية: 27-28.

[2]–أخـــرجه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الآداب، باب: الاستئذان، مج7، ج14، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص130.

الإمـــارة[1]. فكـــل خطوة يخطوها الباي وموكبه، وكل مقابلة يجتمع فيها بأحد رجال الديوان يجري فيها الاحتفال وضرب البارود ورقص الخيول.

قبـــل دخول الباي إلى الجزائر مباشرة يستقبله هذا الوفد ذو المقام الرفيع يصاحبه في هذا الدخـــول المشهود، لماذا تستقبله هذه الشخصيات المرموقة بالضبط؟ ولماذا في هذه المحطة بالذات يزيد الاهتمام أكثر بموكب الباي وطريقة استقباله؟

يعتبر الخزناجي وآغا العرب وخوجة الخيل –وهم الذين يرأسون الوفد– أعلى الموظفين في الإيالة بعد الداي، فهم: الوزراء الثلاثة الأوائل في الديوان، كما يصحبهم في هذا الاستقبال موظفون وقـــادة آخرين. أما الضيف فهو الحاكم الأعلى في إحدى مقاطعات الإيالة، برفقته موكب يضم كبار رجال هذه المقاطعة، يحمل معه أموالا طائلة عينية ونقدية من خيرة ما جمعه من بايلكه، ومنه فإن مستوى الوفد من مستوى الوافد.

مـــن جهـــة أخـــرى؛ الخزناجي هو صاحب الخزينة، والمكلف بإيداع مصادر دخل الدولة، والإشراف على وجوه الإنفاق المختلفة، ولأنه يعتبر نائبا للباشا فإنه يتولى الاستقبالات الرسمية[*]، و استقبال دنوش الباي هو من صميم اختصاصه، خاصة أن عوائد الدنوش التي أحضرها الباي معه تدخـــل إلـــى خزينة الإيالة تحت إشرافه. ومنه فإن خروج وزراء الديوان وعلى رأسهم الخزناجي والآغا وخوجه الخيل لاستقبال الباي وموكبه، ودخولهم المدينة معه أمر ضروري، لأن هذا الدخول يعتـــبر مـــن أهم المحطات في عملية تقديم الدنوش، إلى جانب تقديم الهدايا للباي ووزراء الديوان وحصوله على قفطان التعيين.

وممـــا يزيد من أهمية هذا الدخول، واهتمام الديوان به، هو خروج الناس لاستقبال الموكب فـــي الشـــوارع، وظهور هذا الموكب في أبهة وفخامة بما يحمله من عوائد، وما يلبس أصحابه من ثياب فاخرة، ويركبون خيولا مزينة، ويحملون سناجق ورايات وأموالا، والنوبة تضرب الموسيقى[2].

وعند دخول الباي المدينة يقوم برمي النقود لمستقبليه يمينا وشمالا، فمن البايات من يرمي الســـلطاني الذهـــب ومنهم من يلقي بالفضة أو الدبلون[*]، وذلك على طول الطريق المؤدي إلى دار

---

[1]–محمد بن يوسف الزياني: مصدر سابق، ص191.

[*] –للإطلاع على وظيفة الخزناجي والآغا وخوجة الخيل، أنظر الفصل الأول.

[2]–انظر الوصف الذي قدمه كاثكارت في مذكراته حول موكب الباي، ص116-117.

[*] –قطع فضية أكبر من الدورو المعتاد، أنظر: الزهار: مصدر سابق، ص58، التيميش 101.

الإمارة. ووسط هذا الموكب ينادي البراح بالصلاة على النبي ﷺ، وشاوش السلام يسلم على الناس يمينا وشمالا، ويسبق الموكب البغال التي تحمل العوائد، والخيول وأقفاص بها السباع والنمور وبقر الوحش وغيرها من الحيوانات[1].

وفي هذا الدخول تكون المنافسة بين البايات، أين يسعى الباي لإظهار كرمه وعطائه خاصة وأن ثروات البايلك الثلاثة غير متساوية، فنجد أن باي الشرق أعلاهم في العطاء والتكريم، لأن الدنوش القسنطيني هو الأهم من حيث القيمة المالية إجمالا، فالمنطقة أكثر كثافة من حيث السكان وأكثر ثروة من حيث الإنتاج الحيواني والزراعي[2].

فتفوق دنوش الشرق في فخامة موكبه، جعل نساء مدينة الجزائر يشترطن -في عقود الزواج- حق الخروج إلى الفرجة يوم وصوله إلى دار السلطان، وقد اشتهر دنوش صالح باي بفخامته، حيث أتقن تركيبه وأحسن تقديمه[3]. ولعل ما ورد في رسالة مصطفى خليفة صالح باي إلى وكيل الباستيون، المؤرخة في 14 شوال 1192 هـ/ 5 نوفمبر 1778، يثبت المكانة التي حظي بها صالح باي ودنوشه لدى الباشا وحاشيته في الجزائر.

فقد أخبره الخليفة أنه ذهب إلى الجزائر لتأدية دنوش الخريف، فخرج لملاقاته أرباب الدولة ودخل على الداي محمد عثمان باشا، فاستقبله استقبالا عظيما ورفع من شأنه. ويفسر الخليفة هذا الاهتمام من طرف الباشا ووزراء دولته قائلا: «...كل ذلك من فضل الله، ولحرمة السيد صالح باي، فالبلاد بلاده والوطن وطنه و لا يد فوق يده....»[4]. لكن هل الباي هو الذي يرفع منه مكانة الدنوش، أم أن قيمة الدنوش وما يحتويه من عوائد، هي التي ترفع من مكانة الباي لدى الباشا والديوان؟

في حالة صالح باي قد يكون الأمر متكاملا: فبايلك الشرق وصل إلى أوج إزدهاره في

---

(1)-الزهار: مصدر سابق، ص38-39.

-ويذكر الزهار أن صالح باي كان يوزع الدبلون للفقراء وغيرهم من عين الربط حتى دخوله دار الإمارة.

(2)-قشي، مرجع سابق، ص83-84.

(3)-المرجع نفسه، ص85.

-اختلفت المصادر والمراجع في عوائد الدنوش التي أحضرها البايات معهم إلى الجزائر، ولذلك لم نستطع أن نذكر كل ما جاءت به المراجع، انظر الفصل الثاني للإطلاع عليها.

(4)-الرسالة رقم: 63، المجموعة 1641، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

عهـده، فـزادت الخـيرات والثروات[1]، واستطاع بفضل حنكته وحسن تسييره جمع عوائد بايلكه. وحملها في أحسن صورة وأحسن إعداد إلى مدينة الجزائر، فجاء دنوشه ذا قيمة كبيرة. لكن هل كل بايات قسنطينة أو حتى بايات المقاطعات الأخرى يُستقبلون بالطريقة نفسها، أم أن قيمة الدنوش أو مكانة الباي هي التي تحدد طريقة الاستقبال؟

ونحـتاج لمعـرفة ما إذا كان جميع البايات –على اختلاف مقاطعاتهم– يُستقبلون بالطريقة نفسـها مـن طرف الباشا، ووزراء الديوان، إلى نماذج من زيارة بايات مختلفين في قيمة دنوشهم، ومقارنتهم ببعضهم البعض. ففي رسالة بعث بها الباي أحمد القلي باي قسنطينة، مؤرخة في 22 ذي القعـدة 1178هـ/13 مـاي 1765م، إلى وكيل الباستيون يخبره فيها عن وصوله الجزائر لتقديم الدنوش، فخرج أعيان الدولة لاستقبالهم وإدخالهم في موكب عظيم، ودخلوا على الداي علي باشا[2].

تظهـر هـذه الرسـالة أن كـبار الموظفين بدار السلطان أولوا اهتماما بدنوش أحمد باي واسـتقبلوه فـي موكـب عظيم، لكن الوثائق والمصادر المتوفرة لدينا لم تقدم لنا وصفا دقيقا لهذا الدنـوش ولا حجـم الموكب، وبالتالي لو أردنا المقارنة بين دنوش صالح باي ودنوش الباي أحمد القلـي، ومسـتوى الاسـتقبال والاهـتمام من طرف الباشا ووزرائه، وسكان مدينة الجزائر، بكلا الموكبين فسيصعب علينا ذلك.

لكـن ما نعرفه عن الباي أحمد القلي (1170-1185هـ/1756-1771م)، أن عهده عرف نوعـا من الازدهار الاقتصادي، حيث تحدث عنه العنتري في "تاريخ بايات قسنطينة" بأنه «لا زال بالخـير موصـوف وبـالعدل والإحسان مألوفا، عاش زمنا طويلا في الهناء والخير الجزيل»، كما عـرف بكـثرة خروجه لأوطان بايلك قسنطينة، وغزو القبائل المستعصية، وفرض الطاعة والولاء عليها[3].

قد يكون بايلك الشرق في عهده لم يصل إلى ما وصل إليه في عهد صالح باي من ازدهار، لكـن الأكـيد أن مستوى عوائد الدنوش التي قدمها إلى الجزائر، لا تقل كثيراً عن مستوى ما قدمه صالح باي، وبالتالي فإن مستوى الاستقبال والمراسيم والتشريفات لا تختلف أيضا في فخامتها، وإن لم تصل إلى نفس المستوى. أما بالنسبة للاستقبال الذي حظي به باي معسكر محمد الكبير (1195-

---

[1]-سعيدوني: **ورقات جزائرية**، ص305.

[2]-**الرسالة رقم: 34، المجموعة 1641**، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

[3]-سيساوي أحمد: **فريدة مؤنسة**، ص101-102.

1212هـ/1780-1798م)، عند قدومه إلى مدينة الجزائر لتقديم دنوشه، فيصل في قيمته وفخامته دنوش صالح باي، لأن ما حققه هذا الباي من مكانة ورفعة يماثل ما وصل إليه صالح باي[1].

لكن ما يمكن أن نستنتجه، أن مراسيم استقبال موكب الدنوش من خروج الوزراء لاستقباله خارج مدينة الجزائر، ودخولهم جميعا في موكب واحد، وخروج سكان المدينة لاستقبال ومشاهدة الموكب، ثم استقبال الباشا لهم، أمر ثابت لا يتغير، ويسري مع جميع البايات لجميع المقاطعات على اختلاف مكانتهم، لكن تبقى مراسيم وطقوس هذا الاستقبال تختلف في مستواها من باي إلى آخر.

وتستمر مراسيم استقبال الباي وموكبه، فبعد دخوله مدينة الجزائر يسير حتى يصل إلى دار الإمارة، فيدخل إليها راكبا حصانه برفقة الخزناجي، أما بقية رجال الموكب فينزلون عند الباب. وعندما يصل الباي إلى قصر الداي يترجل، عندها يُجَرد من يطغانه المذهب (سيفه)، ثم يدخل على الداي[2]. وتجريد الباي من السلاح، إنما خوفا من أن يقوم بأي محاولة لاغتيال الداي، فمهما كانت مكانة الباي فإنه لا يؤمن جانبه، ولابد من أخذ الحيطة والحذر.

بعد دخوله على الداي، يسلم عليه ويجلس بجواره وتقدم له القهوة، ثم يدخل قادته وأغواته وباقي الوزراء والموظفين، ويسلمون على الداي الواحد تلو الآخر[3]، عندها يسلم له هذا الأخير "الخلعة" أو "قفطان التعيين" الذي يلبسه ويستبدله بآخر بعد ثلاثة أيام[4]. بعدها يخرج مع بعض القادة من دار الإمارة والنوبة تضرب من ورائه، ويتجه إلى المحل المعد لنزول البايات، أين يجلس وسط الدار ويضربون حوله النوبة وهو جالس، وعند الانتهاء يوزع العطايا على الحاضرين، وعند وقت الغذاء يُستدعَى لدار الإمارة ليتناول طعامه[*] مع الباشا، ووزراء الديوان[5].

---

(1)-سعيدوني: ورقات جزائرية، ص305.

(2)-كاتكارت: مصدر سابق، ص117.

(3)-الزهار: مصدر سابق، ص39.

(4)-W.Esterhazy : Op-cit, P152.

(*) -يذكر محمد بن يوسف الزياني: أن الباي يتناول طعامه في داره التي نزل بها، ويتولى وكيله خدمته فيأتيه بالطعام وما يتبعه. انظر: الزياني: مصدر سابق، ص191.

(5)-الزهار: المصدر السابق، ص39-40.

كان من عادة وزراء الديوان أنهم يتناولون طعام الغذاء كل يوم في دار الإمارة مع الباشا، فيأخذ خوجة الباب سيوفهم عند دخولهم، ويأكلون في سفرة واحدة، وبعد الغذاء وشرب القهوة يأخذون سيوفهم وينصرفون كل إلى محل عمله.

وتقديـــم واجب الضيافة هنا أمر ضروري، فكما يحب أن يظهر الباي كرمه وسخاءه، بتقديم الهدايـــا والهـــبات للباشـــة ووزرائـــه وباقي الموظفين والخدم والفقراء والمساكين، فكذلك الداي وموظفـــيه يحـــبون أن يظهروا له كرمهم وحسن استقبالهم له.ونتوقع أن يدور حديث حول شؤون الإيالـــة ككل والبايلك خاصة أثناء تقديم واجب الضيافة خلال هذه الجلسات، فيكون جمع بين العمل وتقديم الواجب، وهذه هي عادة الزيارات الرسمية إلى يومنا هذا.

وزيـــارة الباي هذه إلى مدينة الجزائر، تستغرق ثمانية أيام، يعمل خلالها على توزيع الهدايا والهـــبات، فيـــبدأ بالباشا ثم وزراء الديوان، الذين يقوم بزيارتهم الواحد تلو الآخر، ويقدم لكل واحد هديته، وذلك حسب منزلته ومكانته، وهم بالمقابل يقدمون له واجب الضيافة ويحسنون استقباله[1].

وعندما يصل وقت الرحيل وعودة الباي إلى بايلكه، يطلبه الباشا في اليوم السابع وهو عشية رحـــيله، ويوصيه برعيته خيرا، وبأمور بيت مال المسلمين، وغيرها من الأمور المتعلقة بالبايلك،ثم يرسل له بعد عودته إلى المحل الذي ينزل به هدية قوامها: اثنين من الخيل، مكحلة وخنجر مذهبان وثـــياب فاخـــرة، وأثـــاث مرصع بالحجارة الكريمة،كما يرسل له وزراء الديوان هداياهم من خيل وسلاح وكسوة....[2]،ولأن الباي يقدم عوائد وهبات طيلة تواجده في مدينة الجزائر،فإنه على الداي ووزراء الديوان مقابلة كرمه بكرم مماثل،لذلك تقدم له الهدايا عند مغادرته المدينة.

وفي اليوم الثامن يذهب الباي في الصباح إلى الباشا ليسلم عليه ويشرب القهوة معه، فيلبسه هـــذا الأخير "قندورة مطرزة"، ثم يخرج أخيرا من دار الإمارة والنوبة تعزف الموسيقى من ورائه[3]،ولا يخرج معه من المدينة إلا الآغا، الذي يرافقه حتى يصلون إلى "عين الربط"، أين يوجد حوش الـــباي هناك، فيكرمه بمبلغ من المال إكراما له على مرافقته له، ثم يرجع الآغا إلى المدينة[4]،فمثلما كان اصطحاب الآغا للباي عند ضواحي مدينة الجزائر –عند قدومه– ودخولهما المدينة معا، كانت أيضا مرافقته له عند مغادرتها.

يذهب الباي إلى حوشه، أين يبيت هناك مع وكيله وكاتبه، فيتحاسبان على ما صرفه الوكيل فـــي خدمـــته، وفـــي الغـــد يعود الوكيل إلى الجزائر، ويأخذ الباي طريقه عائدا إلى بايلكه[5].وعند

---

(1)–الزهار: مصدر سابق، ص40–45.

(2)–المصدر نفسه، ص46.

(3)–المصدر نفسه، ص46.

(4)–الزياني: مصدر سابق، ص192.

(5)–الزهار: المصدر السابق، ص46.

وصـــوله إلى عاصمة البايلك، يدخلها على أصوات هتاف الحشود التي كانت تنتظره بفارغ الصبر. وأصـــوات الطـــبول والمدافـــع، فيُجَدد في دار الباي الاحتفال بتجديد الولاية،والحصول على قفطان التعيين[1].

أخـــيرا؛ توضـــح لـــنا مراســـيم الدنـــوش ثنائية الوظيفة لهذا الحفل وهذا التقديم، ففيه من مســـتلزمات الـــولاء وفروض الطاعة، وفيه من كرم الزيارة وبالمقابل من كرم الضيافة، وحيثيات التشريفات مع احترام المرتبة.وقد يخال للناظر في بعض المواقف أن الضيف والمضيف أنداد، وأن المعاملـــة بالمثل هي القاسم المشترك، إشعار واستئذان، استقبال وإكرام، وتبادل للزيارات، وتوزيع للهدايا[2].

ثانيا: توزيع الهبات والهدايا.

تقديـــم الدنوش إلى الجزائر يقوم في الأساس على عملية توزيع الهبات والهدايا على الباشا ووزراء الديـــوان، وتقديـــم عوائد الضرائب إلى خزينة الإيالة، فزيارة الباي إلى الجزائر في موكب بهيج أساسه هذا التقديم بالدرجة الأولى.

ويمكنـــنا أن نعتـــبر تقديم الهدايا والهبات جزء من مراسيم وتشريفات الزيارة كلها، بل إنها أهـــم ما في المراسيم، لذلك نجد أنفسنا خلال الحديث عن توزيع الهدايا على الباشا ووزراء الديوان، مضـــطرين لإعادة بعض ما ذكرناه في المراسيم والتشريفات، لأن الأمور مرتبطة ببعضها البعض ولا يمكـــن الفصـــل بينها،لكننا سنحاول أن نعرف أولا من أين يبدأ الباي بتوزيع الهدايا؟ ومن هم المســـتفيدون منها؟ وإذا كانت نوعية الهدية تخضع لمكانة الشخص في جهاز الدولة، فما هو العرف الذي يحكم ذلك؟.

إذا رجعـــنا قلـــيلا إلى الوراء أثناء سير الباي باتجاه مدينة الجزائر لتأدية الدنوش، ومروره بـــالعديد مـــن المـــناطق علـــى الطـــريق السلطاني، نجد أن شيوخ القبائل التي يمر بها يسلمون له الضـــرائب المفروضـــة علـــيهم، ويحصـــلون مـــنه بالمقابل على هدايا مختلفة تُحدّدُ حسب مقامهم ومنزلـــتهم، فمـــن يستحقون الخيل يأخذون خيلا، ومن يستحقون العبيد يأخذون الإماء والعبيد، ومن يســـتحقون اللباس يعطيهم البرانس والحياك، أما أصحاب المقام الرفيع من الأشراف وقادة المخزن،

---

[1]- H. Vayssettes : op-cit, P33.

[2]-قشي: مرجع سابق، ص84.

فيعطـــيهم الخيل والعبيد والكسوة،أما الرعايا وخاصة منهم الفقراء، فكل يوم يجتمعون عليه فيوزع عليهم حسناتهم من الدراهم، فيقدم لكل واحد ريالا أو ريالين[1].

كـــل هـــذه العطايـــا والهبات تُؤخذ من أصل الدنوش، وتدخل في حقوق ترضية المرابطين والشـــيوخ والقـــياد، ومســـئولي الخدمات الاجتماعية والمهام الاقتصادية، الذين يعرفون بالخوجات والآغاوات،مثلما نجد أن قسما من عوائد الدنوش يسدد كمرتبات لموظفي الجهاز الإداري والمؤسسة العسكرية، حيث يحصلون عليها غالبا في شكل منتجات عينية ومقادير من النقود[2].

فالعلاقة هنا مزدوجة، فهي تربط الباي برعيته وأعوانه المباشرين في البايلك من جهة، وهم يســـاهمون في تحضير الدنوش وجمعه، ويأخذون نصيبهم منهما في شكل هدايا، وتربطه بالطرف الآخـــر بمـــن هم أكبر شأنا منه في الحكم المركزي بالجزائر من كبار الموظفين وأعوان الداي من جهـــة أخـــرى، أما ما تناله الرعية فمن باب الصدقات التي يوزعها الباي على فقراء المناطق التي يمر بها الموكب[3].

لقـــد عـــبرت قشي عن علاقة الباي برعيته وأعوانه بصيغة "الهبة والغرامة". فهناك هدايا التولـــية والرواتـــب والعطاءات والصدقات، وهناك أيضا دفع الضرائب أو الغرامة، العلاقة نفسها تـــربطه بمـــن هـــو أعلـــى منه منزلة، فهو يقدم للباشا أحسن الهدايا قبل أن يدفع "الغرامة" أو حق الضرائب لخزينة الإيالة، ويحصل بالمقابل على هدايا سنية نظير مركزه ومقامه[4].

وعلـــى الطـــريق الســـلطاني، يمكـــن أن نعتبر أن توزيع الهدايا قد بدأ بالموازاة مع جمع الضـــرائب، ويســـتمر إلى أن يصل إلى مدينة الجزائر، ونعتبر الأمر كذلك لأن هذه الهبات يقدمها الـــباي من عوائد الدنوش، وتحدث خلال زيارته لتأديته.والمحطة الثانية لتقديم الهدايا والهبات عندما يلتقـــي الـــباي بآغا العرب في ضواحي بوفاريك بمنطقة "عيون الشعر"، أين يسلم الآغا للباي هدية أرسلها الداي له تتمثل في: فرس، سرج، سيف، مكحلة، ومسدسين كلها مذهبة[5].والموقف يستوقف قليـــلا: أولـــم يأت الباي ليقدم عوائد الدنوش ويوزع الهدايا من هذه العوائد، لماذا يسلم الآغا له هذه

---

[1]-الزهار: مصدر سابق، ص36.

[2]-سعيدوني: دراسات تاريخية...، ص341.

[3]-قشي: مرجع سابق، ص81.

[4]-المرجع نفسه، ص81-82.

[5]-الزهار: المصدر السابق، ص37.

الهدية، ألم يكن الأحرى أن يسلمها الباي له؟

إن هـذا ما تقتضيه أصول الضيافة والزيارات الرسمية، فالمضيف يرحب بالضيف ويسعى لإكـرامه وإظهـار الـبهجة والسرور بزيارته، ومثلما يعبر عن ذلك بالكلام وتقديم أحسن الطعام والشـراب وتوفـير مكـان الاسـتراحة والمبيت، فإن استقباله بهدية ثمينة هو بالتأكيد خير طريقة للترحيـب به،كما أن طبيعة الزيارة تقتضي أن يحصل الباي على هدايا سنية تليق بمركزه نظير ما يقدمه من هدايا للباشا وكبار الموظفين،فيكون بذلك تبادل للهدايا ودفع للغرامة[1].

والباي في هذا الموضع غير مطالب بتقديم هدية للآغا أو رجاله، فأيّ ضيف قد يقدم هديته عـند الاجـتماع بمضـيفه، وقد يؤخرها إلى ما بعد الجلوس والاستراحة وتناول الطعام والشراب. والباي هنا يؤجلها إلى ما بعد دخول الجزائر والإقامة بها.

أمـا قـواد الآغا وشواشه فيرسل لهم عطاياهم بعد وصول الموكبين (موكب الباي وموكب الآغـا)، موضع المبيت ببوفاريك، ويسترحون ويتناولون طعام العشاء، ويعود الباي لخيمته فيرسل العطايـا كـلا حسب منزلته، فيرسل إليهم الخيل والبارنس والعبيد، كما يحظى بكرمه خدام الآغا والزرناجـية والطباليـن[2]. فـالملاحظ، أنـه لا توجد تجمعات أو استقبالات او احتفالات في الإدارة العثمانية دون أن تكون مرفقة بتبادل الهدايا، بل إنه في مثل هذه المناسبات يعزز ويؤكد هذا التقليد[3].

والملاحظـة الثانية؛ أن ما يقدمه الباي من هدايا هي هدايا عينية ونقدية، أما العينية فهي: الخيل، البرانس، العبيد والإيماء، أما النقود فيقدم منها الشيء القليل كحسنات للخدم وفرق الموسيقى والموظفيـن الصـغار، ولا يقدم الكميات الكبيرة والمنتجات العينية إلا للباشا وكبار موظفيه فقط،و يكلفه سفره هذا 100000 سكة جزائرية على الأقل بدون حساب المصاريف، فهو مجبر على تقديم مبالغ معتبرة لداي وكبار الوزراء، و مبالغ أقل لكل الموظفين و العسكريين على اختلاف مراكزهم، وحتى للخدم والعبيد والرعية من الفقراء والمساكين[4].

ويخصـص الـيوم الأول لـزيارة الـباي للاسـتقبالات فقط، أين يستقبله الباشا ووزرائه،

---

(1)-قشي: مرجع سابق، ص81-82.

(2)-الزهار: مصدر سابق، ص37.

(3)-Kamel Filali: op-cit, P8.

(4)-W.Esterhazy : op-cit, P185.

ويضيفونه، ويتأخر توزيع الهدايا إلى اليوم الثاني من زيارته التي تستغرق ثمانية أيام[1]،ويشمل توزيع الهدايا الباشا ووزراء الديوان وعلى رأسهم: الخزناجي، الآغا، خوجة الخيل، الباش كاتب، الشاوش، والكتاب وبقية رجال الأوجاق، ويقدم لهم كل حسب منزلته ومقامه[2]،وهو نفس التقليد المتبع عند إرسال حكام الجزائر الهدايا إلى السلطان العثماني باستنبول، حيث توزع محتويات الهدايا على السلطان ووزرائه وأفراد حاشيته، بحصص متفاوتة حسب مركز كل منهم، وذلك وفقا لقائمة كانت تعد لهذا الغرض في الجزائر[3].

والملفت للنظر في ظاهرة تبادل الهدايا بين الباي والداي أن الباي هو الذي يقدم الهدية، ويقوم بهذه الإكراميات في دار السلطان مقر الإمارة، وتستفيد منها حاشية الداي وكذا الرعية "إنه يوزع المال على طول الطريق..."، المؤدي إلى دار الإمارة[4]. والهدايا المتبادلة في حفل الدنوش ترمز إلى فروض الطاعة والولاء بين الحاكم والمحكوم، والدنوش يعتبر مجالا للتفاوض بين البايلك ودار السلطان، على الباي الطاعة وإن تباهى بكل فخر واعتزاز بمساهمته في ثروة الإيالة. ويتصرف بسخاء في هذا المال قبل أن يدخل خزينة الداي.

وهذا الأمر لا يمس بموقع الباشا بقدر ما يثير المنافسة بين البايات[5]، فالمعروف أن ثروات البايلك الثلاثة غير متساوية، فباي الشرق أعلى البايات في العطاء والتكريم، فلا يضاهيه باي التيطري ولا باي الغرب من حيث القوة ووفرة الرعية، ولزمته لا تعادلها لزمتهما معا[6]، وهذا نظرا لثراء مقاطعة الشرق وكثافة سكانها ووفرة إنتاجها.

وعند توزيع الهدايا يبدأ الباي بالداي ثم باقي الوزراء، وقد اختلفت المصادر في مكونات الهدايا التي يقدمها البايات، لذلك سنعتمد مثالا أو اثنين فقط لتوضيح نوعية الهدايا التي يقدمها البايات.

---

(1)-الزياني: مصدر سابق، ص191.

يختلف الزهار مع محمد بن يوسف الزياني في اليوم الذي يوزع فيه الهدايا، فالزياني يذكر أنها تكون في اليوم الثاني من الزيارة بينما يذكر الزهار أن الباي يشرع في توزيع الهدايا منذ اليوم الأول، أنظر: الزهار: مصدر سابق،ص40 وما بعدها.

(2)-الزهار: المصدر السابق، ص40 وما بعدها.

(3)-حماش: العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، ص 155.

(4)-قشي: مرجع سابق، ص81.

(5)-المرجع نفسه، ص83.

(6)-الزهار: المصدر السابق، ص35.

أما باي الغرب فيقدم للباشا نحو عشرين ألف دورو ونصف المقدار من المصوغ، أربعة من الخيل العتاق، نحو ثلاثين عبدا كبارا وعشرين صغارا، حياك قرمز(*) صنعة تلمسان، وحياك الحرير المحببة صنعة فاس، البلاغي، الرواحي(**)، الشترمبيات المذهبة(***) نحو عشرين قنطارا من الشمع، ومثلها من العسل والسمن والجوز[1].

يأخذ كل هذا ويصطحب معه وكيله، ويذهب إلى دار الإمارة، أين يسلمان على الباشا ويقدمان له الهدايا، فيكرم خزنة دار خدام الباي الذين حملوا الهدية، ثم تقدم القهوة للباي ووكيله. وعند الانتهاء يعيد الباي فنجانه مملوءا بقطع من الذهب، بعدها ينفرد الداي بالباي ويجلسان نحو الساعة يتحدثان ثم ينصرف الباي بعدها[2].

وأما باي الشرق فيقدم: عشرة آلاف ريال بسيطة، مائتين محبوب ذهب، خمسين من الخيل. عشرة بغال، خمسين ثورا، مائتين غنم، سمن مذابة، حمولتين محور وأخرى فريك، خمسة وعشرين قفة تمر، خمس فقات من الزيتون، أربع برانس، أربع حياك، مسبحتين من العنبر وأخرى من المرجان، كميات من الجوهر والورد والياسمين، جلدي أسد وآخرين للنمور وأربع دزينات من الطاقيات الحمراء[3].

وإضافة إلى ما يقدم إلى الداي، فإن هناك كميات كبيرة من الأموال النقدية والعينية، تمنح لموظفي الديوان ،وما نلاحظه من خلال القائمتين السابقتين، مبالغ نقدية كبيرة وكميات كثيرة ومتنوعة من المنتجات العينية كلها تقدم للداي، تجعلنا نتساءل إذا كانت كل هذه الهدايا هي جزء فقط من الدنوش، فما هي قيمته ككل؟.

يذكر E.Vayssettes أن الخزينة العامة للإيالة لا تتحصل من مجموع الضرائب إلا على النصف، فالهدايا التي تقدم للباشا والموظفين الكبار للجزائر تمتص الجزء الأكبر[4]،فهدية الخزناجي

(*) -ذات لون قرمزي.

(**) -جمع ريحية وهي حذاء خفيف يلبسه كبار العلماء وكبار الموظفين، مع حذاء آخر يدعى البشماق.

(***) -نوع من الوسادات مربعة الشكل مطرزة بالحرير أو الذهب، يُتكأ عليها عند الجلوس، أنظر هذه مصطلحات الزهار: مصدر سابق، ص58.

[1]-المصدر نفسه، ص40.

[2]-المصدر نفسه، ص41.

[3]-E. Vayssettes : Op-cit, P32.

[4]-Ibid, P32

مقدارهـــا ألفا دورو مع الأثاث، مصوغ، خيل، عبيد، كسوة، حياك قرمز، برانس زغداني(*)، حياك حريـــر، شمع، عسل وأرز، ويعطي مثلها للآغا في اليوم الثاني من زيارته،أما خوجة الخيل –وهو الوزيـــر الثالث– ووكيل الحرج لباب الجهاد فيعطيهم نصف ما أعطي للخزناجي والآغا،وفي اليوم الخامس يتناول العشاء عند وكيل بيت المال، ويهدي له أقل من الوزراء السابقين[1].

ولا يكتفـــي بكـــبار الـــوزراء فقط، ففي اليوم الثالث مثلا من زيارته يذهب إلى محل باش كاتـــب الباشـــا، فيفرش خدامه سفرة من الجلد، ويفرغ عليها الدراهم ويبدأ في التوزيع، فيعطي كل واحـــد ما يناسبه؛ الكتاب وعمال المحكمة وسائر الديوان من الشواش، وما تبقي من الدراهم يأخذها الـــباش كاتب، وتسمى هذه العطايا "بعوائد ثلاث أيام" وذلك بمناسبة مرور ثلاثة أيام على لبس الباي لقفطان التعيين.

وفـــي الـــيوم الرابع يأتي الشواش الكبار وهم سبعة، فتفرش على الأرض سفرة من القطن (خـــرقة كبـــيرة دائـــرية)، فيفرغ عليها خزندار الباي أكياسا من الدراهم تزيد عن الألف دورو، فيتقاسمونها بينهم ويطلبون المزيد والباي يأمر بزيادتهم، إلى أن ينتهي المبلغ الذي يأخذونه إلى أكثر من أربعة آلاف دورو.

وإضـــافة إلـــى كل هؤلاء، فإنه يوزع العوائد والهبات على خدام وزراء الديوان وعبيدهم، فـــيقدم لهـــم ألـــف دورو، ويعطي أيضا الكتاب والخواجات وخزنة دار والترجمان ووكلاء الحرج، والصبايحية والطباخين وخوجة الباب والشواش، وكل الموظفين الصغار، وكلا يأخذ حسب منزلته. ويخـــتم هـــذا العطاء والتوزيع بوكيله، حيث يقيم عنده الثلاث ليالي الأخيرة من هذه الزيارة، حيث يضـــيفه الوكيل ويعطيه الباي بالمقابل عوائده نحو ألفي دورو، إضافة إلى عبيد وحياك وشمع، فهو يعطيه مثل كبار وزراء الديوان، ولكتابه ثلث ما يأخذه الوكيل، كما يعطي لخدامه حسناتهم[2].

و مـــنه فـــإن الباي لم يترك موظفا في الإدارة المركزية لم يخصص له نصيب من الهدايا والهـــبات، ســـواء أكان على منزلة عالية أو كان موظفا صغيرا، كل هذا من العوائد التي جمعها لمقاطعته، فكل شخص يخصص له الهدية التي تليق بمركزه، وتكون قيمة الهدية من مكانة صاحبها ...الباشـــا أعلاهـــم منزلة أعلاهم في التقديم، يأتي بعده الخزناجي والآغا ثم خوجة الخيل ووكيل

(*) –برانس دقيقة الصنع من الصوف العملية اللون، انظر: الزهار: مصدر سابق، ص57، التهميش94.

(1)–المصدر نفسه، ص41–45.

(2)– المصدر نفسه، ص45.

الحرج ثم تأتي البقية حسب الترتيب.

يعطـــي الدراهـــم، المصوغ، العبيد، الخيل والكسوة...للباشا وكبراء موظفيه ويعطي النقود فقط لأقلهم منزلة، والتفاوت في قيمة الهدايا بينهم أمر طبيعي.لكن ما هو المهم في الهدية نوعيتها أم كميتها؟ ثم لماذا كل هذا العطاء ألا تتأثر الخزينة العامة من هذه الهبات والعطايا؟

نجـــد فـــي عملية تقديم الهدايا والهبات للموظفين الذين يفوقون الباي مرتبة ولمن هم دونه، تـــبادل الهدايا هو الأساس، وتأتي بعده قيمة الهدية ونوعيتها، وهي تختلف حسب المكانة والمنصب وحسب ما يقصد بها[1].

هذه الهبات والهدايا التي تعتبر في الأصل مداخيل البايلك، توزيع الباي إياها هو خصم لكل مـــا هـــو ضـــروري لموظفيه وفرسانه من هذه المداخيل ، وتغطية حاجيات القائمين على الإدارة بالأريـــاف، والمســـاهمة فـــي تســـديد أجور سلك الموظفين بالجزائر، يكون المبلغ الذي يدفعه إلى الخزيـــنة العامـــة كل ثلاث سنوات مساويا لثُمُن مدخولاته[2].فهذه الهبات والهدايا إذا هي بصيغة أخرى مرتبات وأجور، فما كان ينبغي أن يدفع أجرا يدفع كهبة أو هدية، إذا هناك توازن إلى حد ما في نفقات خزينة الدولة.

ومـــا هـــو معمول به في الإدارة العثمانية بالجزائر، أن موظفيها يتلقون مرتبا واحدا على اخـــتلاف مســـتوياتهم بدءا بالباشا، والدخل الإضافي لهؤلاء الموظفين، إنما يتوقف على ما يحصل علـــيه كل واحد من الامتيازات والهبات التي تختلف فيما بينهم، فيكون مقدارها حسب مقام ومنزلة كل موظف في النظام الحكومي[3].

ويذكـــر حسن الوزان وضعا مشابها في مملكة فاس، من أن ملكها ورغم اتساع مملكته ليس لـــه إلا دخـــل صغير لا يكاد يبلغ ثلاثمائة ألف مثقال[*]، ولا يصل إلى يده حتى خمس هذا المبلغ، لأن الباقـــي ينفقه في أوجه مختلفة، وفضلا عن ذلك فإن نصف هذا الدخل يتكون من حب وماشية

---

[1]–قشي: مرجع سابق، ص82.

[2]–حمدان خوجة: مصدر سابق، ص138.

[3]–شالر: مصدر سابق، ص46.

[*] –المثقال السوسي: أو الدينار الرائج آنذاك، يزن تقريبا 3 غرام و 853 سنتيغرام، أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاســـي: **وصف إفريقيا**، ج1، ت: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 24.

وزيـــت وســـمن، التي تجبى على أوجه شتى، ويفسر الوزان حق الملك فيما يُجبي من الضرائب ويقـــدم له كهدايا؛ أن الشريعة الإسلامية تنص على ذلك، فالزكاة تدفع للخليفة ليستعملها في حاجاته الخاصـــة وللصـــالح العام، وليستفيد منها في إغاثة المساكين والمرضى والأرامل وفي الجهاد ضد العدو[1].

ولكـــن هل فعلا الحكام يوظفون هذه الهدايا والهبات في هذه الأوجه؟ ثم هذه الهبات والهدايا التي يوزعها الباياات على فقراء مدينة الجزائر، أليس الأولى أن يستفيد منها فقراء مقاطعاتهم، أم أنه تفاخـــر وتباهـــي، ومنافسة بين الباياات فقط؟ ألم يكن الأولى من هذه الأموال الطائلة التي تجمع من المقاطعات الثلاث لتوزع يمينا وشمالا، أن تنفق على البناء والتطوير وتحسين أحوال السكان؟

إن التوســـع الـــذي عرفـــته الجزائر في جمع الضرائب المتعددة، وما تجنيه من ورائها من أمـــوال طائلـــة، جعـــل الدولـــة أداة استهلاك، تعيش على موارد البلاد دون أن تسعى إلى تنميتها وتطويـــرها، فكـــان مـــا تنـــتجه البلاد يُستهلك في دفع رواتب الموظفين والجند، أو يودع في خزائن الدولة دون التفكير في تطوير وسائل الإنتاج، التي عر فت آنذاك نموا ملحوظا بالدول الأوروبية[2].

وربمـــا يعود هذا إلى أن العقلية التي كانت تتحكم في جمع الأموال و انفاقها، لم يتسع أفقها إلـــى درجة الإنفاق على البناء، والتنمية وإعادة ضخ الأموال في مشروعات تنموية لصالح السلطة الحاكمـــة والســـكان، فالعقلـــية لم تكن عقلية استثمار وتطوير بقدر ما كانت عقلية مختلفة، ترى مكانتها وقوتها ونفوذها بما تملكه من أموال وذهب، وأن أوجه الإنفاق محدودة بالرواتب والهدايا والهبات[3].

والواقـــع أن النظام العثماني لم يكن يهمه أمر الخزينة العامة كثيرا، وذلك لأن الدايات كانوا لا يتقاضـــون منها إلا مرتباتهم، وإنما كانوا يولون الأهمية لما يقدمه باياتهم من هدايا نقدية وعينية، خلال قدومهم إلى الجزائر كل ثلاث سنوات[4].

إن الرصـــيد الـــذي يؤول آخر المطاف للخزينة العامة، والذي يحدد مدى كفاءة الباي على القـــيام بمهمته، ومدى استقرار الأوضاع في مقاطعته، ثم إن نوعية الهدايا وقيمتها وطريقة توزيعها

---

[1]-الحسن الوزان: مصدر سابق، ص288-289.

[2]- سعيدوني: النظام المالي، ص117.

[3]-عـــبد المـــالك خلف التميمي: "ملامح الوضع الاقتصادي في المغرب العربي قبيل الاستعمار"، المجلة التاريخية المغربية، ع29-30، تونس،1983، ص118.

[4]-سيساوي: النظام الإداري، ص109.

وقائمـــة المستفيدين منها، تحدد شبكة التبعية والولاء، التي يحظى بها الباي عند الباشا والمحيطين به[1].

ثالثا: قفطان التعيين: ولاء وولاية.

تعـــد زيارة الباي إلى مدينة الجزائر كل ثلاث سنوات لتأدية عوائد الدنوش، من أهم التقاليد التـــي جـــرت عليها الإدارة العثمانية بالجزائر، وهذا نظرا لما ترمز إليه كعملية ذات أبعاد سياسية واقتصادية وإدارية، وأيضا الأهداف التي تحققها من وراء تقديم الباي لعوائد بايلكه، وتوزيعه للهدايا والهبات على الباشا، وموظفي الإدارة المركزية.

ومن بين ما تهدف إليه هذه الزيارة وهذا التقديم؛ هو حصول الباي على "الخلعة" أو "قفطان التعييـــن"، هذا القفطان الذي تقوم عليه الزيارة كلها، وسعي الباي لتقديم أحسن العوائد وكسب رضا الباشا وكبار الموظفين من خلال تقديم أفضل الهدايا والهبات، إنما يسعى من ورائه للحصول على هذا "القفطان" الذي هو عنوان لتجديد الولاية والاستمرار في المنصب.

ويقـــدم القفطان للباي في أول يوم يصل فيه إلى مدينة الجزائر، فيذكر الباي أحمد القلي باي قســـنطينة فـــي الرسالة التي بعث بها إلى وكيل الباستيون بالقالة، ليخبره فيها عن ذهابه إلى مدينة الجزائـــر لـــتأدية الدنـــوش، أنهم بعد وصولهم إلى المدينة، واستقبال كبار الأعيان لهم ودخولهم في موكب عظيم، دخلوا على الباشا مباشرة، عندها «ألبسه القفطان السعيد المبارك الحميد، تجديدا على البلاد وهناء للوطن والعباد»[2].

فحصـــول الباي على القفطان، يكون عند دخوله على الباشا في أول يوم وصوله إلى مدينة الجزائـــر، فـــبعد إلقـــاء التحـــية والســـلام عليه هو ومن جاء معه من قادة وكبار الموظفين، يأتي الخزناجـــي ويـــأخذ "الخلعـــة" أو "القفطان" من باش خوجة، فيقبلها ويقدمها للباي فيقبلها هو أيضا، فيلبسها أياه الخزناجي، عندها يتقدم الباي ويقبل يد الباشا، ثم يتأخر عنه شيئا فشيئا حتى يبتعد عنه، فـــيخرج من دار الإمارة إلى محل نزوله، ومعه رجال من كبار ديوان العسكر، والنوبة تضرب من ورائهم، وعندما يصلون يجلس الباي على كرسي وسط الدار وتستمر النوبة في العزف[3].

---

[1]-قشي: مرجع سابق، ص84.

[2]-<u>الرسالة رقم34، المجموعة 1641</u>، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

[3]-الزهار: مصدر سابق، ص39.

بعد ثلاثة أيام يعيد هذا القفطان، ويعطى له قندورة يرتديها خلال بقية الأيام التي يقضيها في الجزائر[1]،هذا القفطان الذي يقدمه الباي للباشا كهدية شرفية إلى جانب هدايا أخرى، هو بمثابة دليل رضا الداي على تصرفات الباي، وعلى الهدايا التي قام بتوزيعها، وكل العوائد التي جلبها من مقاطعته،وقد جرت العادة؛ على أن إهمال هذه الهدية الشرفية يعتبر بمثابة علامة عن عدم رضا الداي عما قدمه له الباي[2]،ويقوم الديوان إلى جانب الداي بالنظر في أحقية حصول الباي على القفطان رمز استمراره في منصبه، وذلك بالنظر في سلوكه إلى جانب العوائد التي يحضرها إلى الجزائر، بعدها يقرر منحه القفطان أو عزله من منصبه[3].

يعتبر منصب الباي امتيازا تقدم من أجله الأموال والهبات، تسلم إلى الباشا دليلا على ولائه و طاعته التي يقدمها مرة كل ثلاث سنوات، وذلك بعد القيام بزيارة نجاحها يضمن تجديد التعيين في ذلك المنصب أو إبطاله، وقد يبلغ الأمر إلى الحكم والعقوبة بالموت[4].

هنا تكمن فلسفة الدنوش، الذي يعني في اللغة التركية "العودة"، فعودة الباي إلى دار السلطان كل ثلاث سنوات محملا بعوائد بايلكه المختلفة، ليقدمها في شكل هدايا وهبات، ومداخيل لخزينة الإيالة وخضوعه للمحاسبة الدورية من طرف الباشا، هوتعبير عن ولائه وطاعته للسلطة المركزية، وهنا يكون له الحق في إعادة تجديد ولايته بتقليده قفطان التعيين من طرف الباشا، فيسعى بذلك لإرضائه،ومن جهة أخرى للباشا الحق في إعادة تجديد ولايته أو تنحيته من منصبه وتولية باي جديد مكانه، إذا لم يرضيه ما قدمه الباي من عوائد وهدايا أو لم يرض عن سلوكه.

ويكشف الدنوش عن علاقة عقد التولية الذي يربط الباي بالباشا، إنه عقد رجعي، يمكن فسخه من طرف واحد، لكنه يخضع لتقرير علني أساسه نجاح الباي في مهمته، وما قدومه شخصيا لتقديم فروض الطاعة مع نصيب الخزينة من محصول الضرائب لمدة ثلاث سنوات، سوى مثوله لامتحان دوري أو موسمي[5].

ومنه نستطيع أن نقول بأن تلك المحاسبة كان غرضها سياسي أكثر مما كان ماديا، لذلك

---

[1]-Federmann (Henri)et Aucapitaine (H) : « Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri ».In **R.A**.N°11, 1867, P290-291

[2]-سعيدوني: **ورقات جزائرية**، ص162.

[3]-كاتكارت: مصدر سابق، ص117.

[4]-أندري بريتان: مرجع سابق، ص133.

[5]-قشي: مرجع سابق، ص82.

فإنها لم تكن تتم إلا بتلك العملية، أي بالعودة إلى المدينة الجزائر ومن تم أطلق عليها ذلك المصطلح "الدنـــوش أو العودة"، ولم يطلق عليها اسم "المحاسبة" أو "الزيارة" أو "دفع الضرائب" أو غيرها من الأســماء، خصوصا أن المحاسبة المالية يمكن أن تتم بوسائل أخرى، ويمكن أن تكون عن بعد ومن غـــير عودة إلى الجزائر، أما المحاسبة السياسية فإنها لا يمكن أن تحدث إلا بوقوف المرؤوس بين يـــدي الرئـــيس، كما يقف المتهم بين أيدي القاضي، فأما أن تثبت براءته، ويطلق سراحه ليعود إلى عمله العادي في الحياة، أو تثبت جريمته ويحكم عليه بما يمليه القانون.

فكذلك كان حال البايات، فعليهم أن يعودوا من مقاطعاتهم إلى مدينة الجزائر ويقف بين يدي الباشا الذي يثبت إما كفاءتهم وبراءتهم من كل انحراف سياسي، ويزكيهم من جديد ويدعهم يذهبون إلـــى مقاطعـــاتهم لمواصلة وظيفتهم، أو يثبت عليهم ما هو عكس ذلك، وحينذاك يعزلهم ويعين من يخلفهم[1].

وإذا رجعـــنا إلى التنظيمات الإدارية التي تخضع لها الإدارة العثمانية، نجد أنها تسير وفق نظـــام متسلســـل، فتعييـــن حكـــام الوحدات الإدارية في الجزائر يتم وفق نظام يراعى فيه تسلسل مستوياتهم وتوسع مسؤولياتهم، ابتداء من الشيخ الذي يحكم أصغر وحدة إدارية إلى الباي الذي يحكم المقاطعة، بل إلى الباشا الذي يحكم الإيالة[2].

وكمـــا كان السلطان العثماني يعين الباشا، كان الباشا يعين البايات على مستوى المقاطعات، والـــبايات يعيـــنون القـــواد علـــى مســـتوى الأوطان، والقواد يعينون الشيوخ على مستوى أصغر الوحـــدات[3].وإذا كان رمز التعيين بالنسبة للباشا والبايات هو القفطان، فإنه بالنسبة للقواد والشيوخ هو البرنوس، فمثلما كان السلطان العثماني يبعث بالقفطان إلى الباشا عند تعيينه في منصبه، كان علـــى الباشا أن يبعث بقفاطين إلى البايات عند إسناد المناصب إليهم[*]، وكان كل قائد مثلما يتلقى برنوسا أحمرا من الباي الذي يتبعه، فإنه كان بدوره يبعث ببرنوس آخر أبيض إلى كل شيخ يعينه[4].

يتحصل الحكام إلى جانب قفطان التعيين على هدايا شرفية أخرى، وتنصيب الباشا رسميا لا

---

[1]-حماش: أهمية المصطلحات التركية، ص156.

[2]-حماش: العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، ص85.

[3]-المرجع نفسه، ص85.

[*] -كان الداي يرسل مع خليفة الباي عند تقديم الدنوش الصغير الخلعة أو القفطان، رمزا لتجديد الولاية، انظر: - E.Vayssetes: Op-cit, P32-33

[4]-حماش: العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، ص86.

يقـــع إلا بعد وصول تأكيد السلطان لانتخابه، ووصول الفرامان التقليدي وسيف الدولة (القلج)، وذلك بواســـطة "قبجـــي باشـــي" أو مـــبعوث الدولة[1].كما أن الباي يحصل على هدايا أخرى إلى جانب القفطان، فيحصل على إ ثنين من الخيل والمكحلة وسكينا كلها مذهبة، إضافة إلى كسوة وأثاث[2].

وكـــان حصول الباي على قفطان الشرف وتجديد الولاية له ــ سواء عند ذهابه إلى الجزائر بنفسه أو إحضاره من طرف خليفته عند تقديم دنوش الربيع والخريف ــ يعتبر مناسبة فرح وابتهاج يهلل لها قصر الباي وكل رعاياه[3].

ورغـــم أهمـــية الهدايـــا التي تقدم إلى جانب القفطان، إلا أنها لا يمكن أبدا أن تأخذ مكانة القفطـــان وحظوتـــه، إذ أنـــه بمـــثابة حماية للبايات والحكام عموما، فهو يحمي حياتهم المعرضة باســـتمرار لمـــزاج الباشاوات وطبعهم المتقلب، وللاضطرابات السياسية التي قد تزعزع الأوضاع، فالقفطـــان هـــو رمـــز للسلطة والشرعية[4]،لذلك نجد أن كبار شيوخ قبائل بايلك الشرق، ورغم ما يتمتعون به من استقلالية داخل المناطق الخاضعة لهم، إلا أن كل شيخ يتمسك بتزكية الباشا أو الباي لمنصبه[5].

ولذلـــك اســـتمرت عـــادة داخل بايلك الشرق؛ أن الباي إذا أتته خلعة الولاية من الجزائر يلبســـها هـــو الأول، ثـــم يبعـــث بها إلى شيخ العرب[*]، وبعده إلى شيخ الحنانشة، ويعرف وظيف الحنانشة "بوظيف القفطان" لأن ولايته كولاية الباي[6].

لكـــن حصول الشيوخ على القفطان أو البرنوس لا يكون بدون مقابل، إنما يدفعون للحصول عليه رسوما وحقوقا تسمى بحقوق التولية، والتي تجمع باختلاف أنواعها من السكان لفائدة القياد أو الشـــيوخ، الذيـــن يقدمونهـــا باسمهم إلى البايات، هؤلاء يقدمونها في شكل عوائد وهدايا إلى الباشا، وكبار الموظفين عند تقديم الدنوش ليحصلوا بالمقابل على ذلك القفطان[7].

---

(1)-شالر: مصدر سابق، ص43.

(2)-الزهار: مصدر سابق، ص46.

(3)-E. Vayssetes : Op-cit, P33

(4)-Kamel Filali :Op-cit,P 7-8.

(5)-معاشي: مرجع سابق، ص56.

(*) -شيخ عرب الصحراء.

(6)-العطار: مصدر سابق، ص56.

(7)-سعيدوني: دراسات تاريخية، ص345.

وتتميز حقوق التولية هذه باختلاف أنواعها، وتعدد طرق استخلاصها، وأوقات دفعها وتباين قيمتها، ولهذا تعددت تسميتها واختلفت كميتها حسب نوعية المنصب، فاشتهر منها "حق البشماق"، "حق الفرح" أو"البشارة" و"حق البرنوس" أو "المشيخ"، وهي كلها رسوم تدفع مقابل إسناد المنصب وإقرار البقاء فيه. وقد تحولت إلى ضرائب إجبارية مع ازدياد حاجة الإدارة المركزية إلى مداخيل إضافية[1].

فمن خلال هذه "الضرائب الإجبارية" أو "الغرامة" أو "الهدية"، نلمس علاقة الموظفين بالسلطة، فصاحب المنصب يهدي لمن ولاه، ويتلقى منه هدية، وحقوق التولية هذه أحسن مثال في قضية اعتلاء المناصب[2]،فقد صورت لنا شكل اللزمة التي يشترى بها وظيفة أو منصب، والهدية هي جزء مكون لعلاقة التوظيف، وهي ليست دائما ثمن المنصب قبل التعيين، إنما قد تكون بعده، فعلى صاحب المنصب الجديد أن يكرم أعوانه ويقدم هدايا لمن دونه، ولمن يفوقه مرتبة من الموظفين[3].

ويعزز ويثبت "البيع الرمزي" للمهام والمناصب في حفلات التنصيب والترقيات، فلا تخلو هذه الأحداث السعيدة من تبادل الهدايا وتقديم الهبات، التي نعتبرها حقوقا لضمان الحصول على المنصب[4].

مطلوب من الباي عند زيارته إلى الجزائر لتأدية الدنوش، إظهار الولاء والطاعة للداي ويظهر هذا من خلال العوائد والهدايا التي يحضرها معه، وذلك لإرضاء الداي وكبار وزراء الديوان، لذلك فهذه الزيارة تكتسي أهمية كبيرة، لأنه يتوقف عليها إعادة تجديد الولاية له، ومنحه قفطان التعيين أو عزله عن منصبه[5]، إن لم يصل إلى فقدان رأسه خلالها إذا لم تنل رضا الداي تلك العوائد والهدايا[6].

وإذا قرر الداي وكبار موظفي الديوان عدم تجديد الولاية له، عندها لا يقدم له قفطان التعيين إنذارا بعزله عن منصبه، هنا يأمر الآغا بالقبض عليه والزج به في السجن، وقد يصل به الأمر

---

(1)-سعيدوني: دراسات تاريخية، ص345-346.

(2)-قشي: مرجع سابق، ص84.

(3)-المرجع نفسه، ص82.

(4)-Kamel Filali : Op-cit,P 8

(5)-وليام شالر: مصدر سابق، ص46.

(6)-عميراوي: مصدر سابق، ص114.

إلـــى قطـــع رأسه، ويحدث هذا بسرعة تجنبا لحدوث اضطرابات أو ثورات[1]،ونتيجة لهذا نجد أن أغلـــب الـــبايات يعيشون في خوف دائم من أن يعجزوا عن إرضاء طمع الداي، هو ومن معه من وزراء الديوان[2].

لكـــن هـــل فعـــلا إعادة تعيين الباي في منصبه أو عزله منه يخضع لقيمة الدنوش؟ وأن الدنـــوش فعـــلا سببا في رضا أو سخط الباشوات على البايات؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا نحي صالح باي من منصبه رغم قيمة الدنوش الكبير الذي قدمه؟وهل هناك بايات تم عزلهم عند زيارتهم للجزائر لتقديم الدنوش بسبب ضعف قيمته، وعدم رضا الباشا عن مستوى هداياه؟

إذا نظرنا في البايات الذين عزلوا وأسباب عزلهم، سنجد أمثلة عن بايات تمت تنحيتهم عند زيـــارتهم إلـــى الجزائـــر لتأدية الدنوش، وذلك إما لعدم رضا الداي بالعوائد التي قدموها، أو لعدم رضـــاه عن تصرفاتهم، ولعل ما فعله مع الباي محمد مانيماني وأحمد باي المملوك خير مثال على ذلك.

ففي سنة 1826م (1241-1242هـــ) عمت الفوضى مدينة قسنطينة، وانتشر في ضواحيها العصـــيان، فامتـــنع الســـكان عن تأدية الضرائب والزكاة، وعندما حان وقت زيارة الجزائر لتأدية الدنـــوش، تـــردد الـــباي محمد مانيماني في الذهاب إلى الجزائر ليقدم إلى الداي ما جمعه من مال طفـــيف، لكنه قرر في النهاية الذهاب، ولما وصل وقدم ما جمعه من المال احتقره الداي واستصغر القـــدر الذي أتى به، فقبض عليه ورمى به في السجن بالقليعة، وجعل مكانه أحمد باي آخر بايات قسنطينة[3].

قد لا نسلم بأن السبب الوحيد لعزل الباشا للباي محمد مانيماني هو عدم رضاه لما قدمه من عوائد بايلكه، ولكنه بالتأكيد من أسباب العزل إن لم يكن السبب الرئيسي.

أمـــا الباي أحمد المملوك باي قسنطينة من سنة (1820-1822)، فقد عزله حسين باشا عند زيارته لتقديم الدنوش، لأنه لم يكن راض عن تصرفاته داخل بايلكه، فقد قام هذا الباي بالخروج إلى الصحراء بعد استئذانه من الباشا، فلم يأذن له بل نهاه عن الخروج فخالف الأمر ومشى إليها، فعاقبه

---

[1]-كاتكارت: مصدر سابق، ص117.

[2]-المصدر نفسه، ص53.

[3]-محمد بن عبد الكريم: حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1982، ص52.

زمن دنوشه وعزله[1].

لكـــن مـــا تحدث عنه أحمد بوضربة في مذكراته عن الحاج أحمد باي، يختلف تماما عما حـــدث مـــع الباي أحمد مانيماني، حيث يذكر: «أن سلوك أحمد باي كان مخزيا طوال المدة التي ســـبقت دخـــول الفرنسيين الجزائر، حيث قضى على الكثيرين من الشيوخ ورؤساء القبائل...وكان الســـكان يشـــكون منه إلى الجزائر، لكن بما أنه كان يدفع الضرائب كاملة في حينها ومعها هدايا ثمينة فإن الداي كان يتغاضى عن تلك الشكايات»[2].

ومـــنه فـــإن تجديد الباشا الولاية للباي لا تتحكم فيها بالضرورة قيمة الدنوش والهدايا التي يقدمهـــا هـــذا الأخير، إنما تتحكم فيها حسابات الباشا ووزرائه،ومع أن الباشا يستطيع أن ينفذ حكمه بعـــزل الباي دون أن ينتظر وقت الدنوش، إلا أن عزله عند زيارته الجزائر يكون أسهل، كما أنها زيـــارة للمحاســـبة وإعـــادة النظر في تجديد الولاية، وبالتالي إقرار إعادة التجديد أو التنحية يُدرس حينها.

وإذا كنا لا ننكر أن مستوى ما يقدمه البايات من عوائد وهدايا أثناء زيارتهم لتأدية الدنوش، له دور في تجديد الولاية للباي بمنحه قفطان التعيين، أو عزله وتنحيته عن منصبه إن لم يقتله، إلا أنـــنا نرى أن هذه القاعدة ليست ثابتة، وقد لا تطبق دائما في جميع زيارات تقديم الدنوش،فهناك من الـــبايات مـــن كانت دنوشه على مستوى كبير من الفخامة، وكانت عوائده ذات قيمة كبيرة، إلا أن الباشـــا قـــام بتنحيته عن منصبه، ولعل ما حدث مع صالح باي خير مثال على ذلك، فما حدث معه خرج عن القاعدة الألوفة.

لقـــد قدم صالح باي من قسنطينة إلى الجزائر وأتى معه بأموال لا تحصى، ودخلها في يوم مشهود، من عين الربط شرع بتوزيع الدبلون للفقراء وغيرهم، حتى دخل دار الإمارة، وأعطى مالا كثيرا للباشا وأهله...وعندما وصل وقت مغادرته الجزائر، ألبسه الباشا عمامة مبرجة وعليها ريشة مذهبة، ولبسها ليس من عادة البايات....ففهم صالح باي أنه يريد قتله، والعمامة علامة كفنه، وعند

---

[1]-سيساوي أحمد: فريدة مؤنسة، ص55.

[2]ـ أحمـــد بـــاي حمدان خوجة وبوضربة: مذكرات، تقديم و تحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص119.

خـــروجه أمـــر الباشـــا النوبة بضرب الموسيقى بلحن "لا حال يدوم..." بعدها كتب إلى آغا النوبة بقسنطينة بأن يقبض على صالح باي ويسجنه، وبعث قائد سباو إلى قسنطينة بايا مكان صالح باي[1].

ومـــع أن لتنحـــية صالح باي ثم قتله أسباب ودوافع مختلفة[*]، دفعت الباشا إلى تنحيته بعد تقديمه لدنوش لم يعرف مثيلا له إلا باي وهران الباي محمد الكبير، إلا أن هذا الدنوش -على قيمته الكبـــيرة- لم يشفع لصالح باي عند الباشا، ويغفر له ويعيد تجديد الولاية له، خاصة وأن مكانته في بايلك قسنطينة والجزائر ككل كانت كبيرة.

ومـــا حـــدث مع باي وهران علي قارة برغلي يخرج عن القاعدة أيضا، فقد كان هذا الباي يتمـــتع بســـمعة طيبة لدى الوهرانيين، حيث سير الحكم في ولايته تسييرا منظما، نتج عنهم انتشار الهـــدوء والاستقرار، رغم ذلك فإن الداي عمر باشا (1230-1232هـــ/ 1815-1817م)، قد جحد حقـــه وظلمـــه وجازاه بالقتل، عند زيارته إلى الجزائر لتأدية الدنوش، أين أرسل قبل وصوله مدينة الجزائـــر اثنين من الشواش، وأمرهما بقتله قبل وصوله إليها، فلقياه بقنطرة الشلف قرب مليانة ونفذا أمر قتله[2].

لا يمكنـــنا أن نلغـــي دور الدنوش وما يحمله من عوائد وهدايا في تجديد الولاية للباي أو تنحيـــته من منصبه، وهذا انطلاقا من رضا الباشا أو سخطه عما قدمه من عوائد، لكن لا يمكن أن نعتـــبر ذلـــك قاعدة ثابتة لا تتغير، فقد يتجاوز الباشا عن الباي رغم ضعف مستوى الدنوش، كما يمكـــن له عـــزل الـــباي، وإن كان ما قدمه من عوائد على مستوى جيد، وفي هذه الحالة لا يكون الدنـــوش الســـبب الوحـــيد في اتخاذ القرار،و إنما هناك أسباب أخرى قد تكون واضحة وقد تكون غامضـــة، لكـــن بالتأكـــيد هناك أسبابا أخرى تدفع الباشا إلى اتخاذ قراره سواء بالتنحية أو بتجديد الولاية.

ما يهم في عملية تقديم الدنوش هنا، أن تبقى تقليدا تسير عليه الإدارة العثمانية في الجزائر، يقـــرر من خلالها تجديد الولاية للبايات أو تنحيته، لكن هل يمكن أن نعتبر -من زاوية أخرى- أن هـــذا التقليد سارت عليه الإدارة العثمانية لضمان عدم استقلال المقاطعات الثلاث عن دار السلطان،

---

[1]-الزهار: مصدر سابق، ص64.

[*] -لا يمكننا الخوض في مناقشة الأسباب الحقيقية لتنحية صالح باي، نظرا لتشعبها، ولا يمكن للموضوع أن يستوعب ذلك، لكن لمزيد من المعلومات أنظر: سعيدوني: ورقات جزائرية، ق٦: مرجع سابق.

[2]-محمد بن عبد الكريم: مرجع سابق، ص45.

واستمرار تبعية البايات للسلطة المركزية، وذلك بالمحاسبة الدورية لهم عند العودة كل ثلاث سنوات؟ وهل فعلا الدنوش يعتبر سببا رئيسيا في ترسيخ الولاء بين السلطة المحلية والسلطة المركزية؟.

عندما عمل حسن بن خير الدين على تقسيم الجزائر إلى ثلاث مقاطعات تابعة لدار السلطان، وضع على رأس كل مقاطعة بايا يتولى تسيير شؤونها، كان يسعى من وراء ذلك إلى تنظيم شؤون الإيالة وإحكام السيطرة على المناطق التابعة لها، فتعيين الباشا للباي و تجديد هذا التعيين كل ثلاث سنوات، أدى إلى حدوث تحولا في العلاقة بين السلطة المركزية والمقاطعات الثلاث، وذلك بترسيخ التعيين المركزي ودور الباشا في هذا التعيين[1]،وأسلوب تعيين البايات هذا وتجديدهم الدوري بمناسبة "الدنوش" لم يكن ليسمح بالاستقلالية عن السلطة المركزية بدار السلطان، وإقامة حكم سلالي وراثي كما فعل بايات تونس، وهو الأسلوب نفسه الذي اعتمده الباب العالي في تعيين حكام الجزائر منذ 1588 لمدة ثلاث سنوات فقط، خوفا من استقلال هؤلاء الحكام بالجزائر[2].

ونجد أن بايات المقاطعات الثلاث كانوا يملكون عوامل مساعدة على الانفصال، كبعد مقرات حكمهم عن مقر السلطة المركزية، واتساع مقاطعاتهم والنفوذ القوي الذي حصلوا عليه بواسطة الخيرة وطول ممارسة الحكم، والامكانيات الاقتصادية والعسكرية التي توجد بين أيديهم، ونجد أن باي قسنطينة يملك هذه العوامل أكثر من أي باي آخر، كما أن هذه العوامل هي نفسها التي أدت إلى تفكك كثير من الدول العظمى في التاريخ[3].

فكانت السلطة المركزية بتعيينها للباي وتزكيتها الموسمية لصاحب المنصب، تضمن لنفسها الرقابة والتحكم في الأطراف التي لا يمكنها الوصول إليها دون الاعتماد على حاميات المقاطعات، وتحالف مع القبائل المتنفذة[4]،وإلى جانب التعيين المركزي فقد كانت مساحة الجزائر الشاسعة ومقاطعاتها الثلاث، حائلا دون تمركز السلطات بيد أحد البايات لينافس الباشا في دور الحكم، لأنه في الواقع لا يحكم إلا بالنيابة، فالباشا في حاجة إلى خدمات الباي، والباي في حاجة إلى حمايته[5].

---

[1]-تشي: مرجع سابق، ص68.

[2]-المرجع نفسه، ص 67.

-عرفت هذه المرحلة من تاريخ الجزائر بمرحلة الباشوات (1588-1659م).

[3]-حماش: أهمية المصطلحات التركية، ص145.

[4]-تشي: المرجع السابق، ص114.

[5]-المرجع نفسه، ص77.

وبهذه الطريقة كان الباشا في مدينة الجزائر يتحكم بشكل قوي في إدارة المقاطعات الثلاث، التي تتشكل منها الإيالة، ويضمن استمرار العلاقة بين السلطة المركزية التي يرأسها، والسلطة الإقليمية التي توجد بأيدي البايات[1].

وما تتمتع به دار السلطان من حصانة بفضل الجيش الانكشاري، وامتلاكها لموارد اقتصادية كبيرة تزخر بها الخزينة العامة، سهل على الداي قمع المتمردين والساعين إلى السلطة، أو إلى الانفصال سواء من الرعية أو حكام المقاطعات[2]، ولعل عدد البايات الذين قتلوا ما بين (1206 -1233هـ/ 1792-1818م) والذي وصل إلى ثمانية عشر بايا، إلى جانب اثنين تم عزلهم من طرف باشوات الجزائر خير مثال على ذلك[3]. وإن كان قتلهم أو عزلهم ليس بالضرورة بسبب تمردهم أو محاولتهم للانفصال.

من جهة أخرى، رغم أن البايات يتمتعون بسلطة مطلقة داخل حدود البايلك ويسيرون الحامية الانكشارية بها، إلا أنهم يبقوا خاضعين لسلطة الباشا، ولا يستطيعون اتخاذ بعض القرارات دون الرجوع إليه فيها، فهم لا يستطيعون مثلا إعلان الحرب ضد جيرانهم أو التدخل في الصحراء دون الرجوع إليه،ولعل رسالة الحاج أحمد باي إلى حسين باشا التي يستأذنه فيها للخروج إلى واد سوف خير مثال على ذلك[4].

كما أن عزل الباي أحمد المملوك بسبب خروجه إلى الصحراء رغم معارضة الباشا لذلك، علامة على تقييد سلطة البايات، حرصا على ضمان خضوعهم للسلطة المركزية وعدم الاستقلال بمقاطعاتهم.

ومع أن هذه التبعية للسلطة المركزية بدار السلطان تحد من حرية البايات ليبقوا تحت سيطرة الباشا، إلا أنها تعتبر درعا واقيا للباي وإدارته داخل بايلكه، فنحن نعرف أن سلطة البايلك تبقى مهددة من طرف القبائل المتمردة داخله، هذه القبائل التي تتحين كل فرصة لإعلان الثورة على البايلك، وارتباط هذا الأخير بالسلطة المركزية، والتي تحميه من أي ثورة أو تمرد قد تشنه هذه القبائل، لأنها تقدم لها الإمدادات العسكرية اللازمة من فرق الجيش والسلاح، كما لا نستبعد

---

[1]-حماش: أهمية المصطلحات التركية، ص154.

[2]-المرجع نفسه، ص85.

[3]-محمد بن عبد الكريم: مرجع سابق، ص11.

[4]-الرسالة رقم 12، المجموعة 3205، الملف 3، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

خطـــر القـــبائل المتـــنفذة والأسر المحلية الحاكمة داخل البايلك عليه، في حالة استئثار أحد البايات بالسلطة ومحاولته تأسيس حكم وراثي مستقل عن السلطة المركزية بدار السلطان.

وعلـــيه فـــإن الباشا لا يستطيع أن يستغني عن خدمات الباي، كما لا يصمد الباي في وجه الـــثورات إلا بـــإمدادات الحامية التركية في الجزائر، وقد عايش أكثر من باي وضعية التبعية هذه التي تجعل خلاصه على يد الفرق العسكرية الوافدة من دار السلطان[1].

كـــل هذا –وما سبق– كان عائقا أمام البايات في الاستئثار بالحكم والاستقلال بمقاطعاتهم، وتأســـيس حكم وراثي مستقل، كما كان ضمانا للسلطة المركزية لتحافظ على وحدة الإيالة وإمكانية الـــتحكم فـــي ولاة المقاطعات وإخضاعهم لسلطتها،ومع ذلك فقد كانت هناك محاولات للثورة على السلطة المركزية بدار السلطان، وإقامة حكم مستقل يقوده البايات.

وعلى سبيل المثال ما قام به أحد بايات قسنطينة وهو رجب باي (1077هـــ/1666م)، الذي فكـــر فـــي تكوين دولة مستقلة عن باشا الجزائر، بعدما اغتر بقوته بفضل تحالفه مع أسرة بوعكاز ذات الـــنفوذ الكبـــير، الـــذي يمـــتد من جبال الأوراس وبلزمة، إلى واد سوف جنوبا، وذلك نتيجة المصاهرة مع هذه الأسرة، حيث زوج ابنته "أم هاني" لشيخ هذه الأسرة أحمد بن الصخري بوعكاز، ويبدوا أن ابنته هي التي طلبت منه قطع الدنوش عن الباشا، وطلب الباشوية من الباب العالي، على غرار الأسر الحاكمة بتونس و طرابلس، إلا أن الأمر كان عكس ما خطط له الباي رجب، إذ عجل باشا الجزائر بعد علمه بمخطط الباي بقتله، ومصادرة أمواله[2].

كما فشلت محاولة باي وهران محمد الصغير الملقب بـــ "بوكابوس" الاستقلال بمقاطعته عن دار الســـلطان ســـنة 1813م، وذلك بعد سعيه للحصول على المساعدة من سلطان المغرب مولاي سليمان، ومعتمدا في قوته على زعماء الدوائر والزمول وعدة قبائل أخرى[3].

وجـــاءت هـــذه الثورة بعد أن قرر الداي الحاج علي في ربيع سنة 1813م، أن يشن حملة على تونس، فأمر بایاته الثلاثة بتوجيه قواته المسلحة نحو حدود البلاد التونسية، فرفض باي وهران محمـــد الصغير الامتثال للأمر، فانطلق جيش الجزائر بدون جنود وهران، فآلت الحملة إلى الفشل، وأعلن بوكابوس الثورة على الحكم، وجند قوة محلية لمجابهة قوات الداي حيث أحاط نفسه بزعماء

---

[1]–قشي: مرجع سابق، ص78.

[2]–معاشي: مرجع سابق، ص192–193.

[3]–الزهار: مصدر سابق، ص108–109.

الدوايـــر والزمول، وبعدة قبائل أخرى، ثم قتل جميع الأتراك الموجودين بالحصون، سواء بوهران أو معسكر أو مستغانم أو تلمسان، وكل من هو تحت إمرته.

فأرســـل الـــداي بعمر آغا لقمع هذه الثورة، وأمام زحف قوات الجزائر أسرع رجال الباي وأعوانـــه لخـــذل قـــائدهم، وتسليمه لعدوه الذي قام بقتله هو وباقي أفراد أسرته، بعدما سلط عليهم جميع أنواع العذاب، كما صودرت أموالهم[1].

ولعـــل هـــذه الـــثورة توضح لنا بجلاء صعوبة اعتماد البايات على القبائل عند التفكير في الثورة والاستقلال على السلطة المركزية، لأن البايلك -بالنسبة لهؤلاء القبائل- يبقى مثله مثل أتراك الســـلطة المركزية، ومثلما سيقفون ضد هؤلاء، فليس من المستبعد أن يقفوا ضد الباي مهما تغيرت الأوضاع والظروف.

مـــن جهة أخرى؛ فإن أي باي لن يكون قادرا على الاستقلال معتمدا الإمكانات الموجودة لديـــه فقـــط، خاصـــة مـــنها الماديـــة والعسكرية مهما كانت قوته، لأنه وقتها سيضطر إلى طلب المســـاعدات والإمدادات الخارجية، كما فعل "بوكابوس" عندما طلب الإمدادات من سلطان المغرب ومـــن إسبانيا، وعندها قد لا يجد بالضرورة الدعم والمساعدة ويكون موقفه حرجا، وتؤول محاولته إلى الفشل.

تـــبقى عملية تقديم الدنوش وما يتبعها من خضوع للمحاسبة وتقديم العوائد والهبات والهدايا، مظهـــرا أساسيا في ترسيخ الولاء بين السلطة المحلية في البايلك والسلطة المركزية بدار السلطان، وتجســـيد اللامركـــزية الإدارية، وما عودة الباي كل ثلاث سنوات إلى الجزائر طلبا لتجديد الولاية وتقديـــم فـــروض الطاعة، إلا ضمان لوحدة الإيالة وتبعية مقاطعاتها الثلاث للباشا بالجزائر، فمثلما يضمن الدنوش الولاية للباي، فإنه يضمن للباشا ولاء الباي له.

---

[1]-مـــولاي بلحميسي: "الثورة على الأتراك في الجزائر- شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر"- مجلة الثقافة. ع48، الجزائر، 1978، ص35-51.

الخـــــاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في ختام هذه الدراسة الموسومة بـــ"مراسيم الدنوش ورمزيته في إيالة الجزائر خلال العهد العثمانـــي"، توصـــلنا إلـــى الإجابـــة عـــن الإشكاليات التي طرحناها، وخلصنا إلى مجموعة من الاستنتاجات، وذلك بعد دراسة هذا الموضوع باعتباره أحد جوانب التنظيم الإداري والاقتصادي في الجزائر خلال العهد العثماني، وجانب من العلاقات القائمة بين السلطة المحلية في البايلك، والسلطة المركزية بدار السلطان، وأهم هذه الإستنتاجات:

أولا-لـــم تعـــرف فـــترات الحكـــم الإسلامي السابقة للعهد العثماني، بدءا من الموحدين ثم الحفصـــيين والزيانيين والمرينيين، عملية تقديم الدنوش التي كانت تؤدى كل ثلاث سنوات من طرف الـــبايات وفق مراسيم وتشريفات محددة، يقومون فيها بتقديم عوائد بايلكهم، كما لم يكن لها مثيل في الإيالات العثمانية الأخرى، وإن كانت هذه الدول والإيالات قد عرفت عملية تقديم الضرائب للسلطة المركـــزي، ومحاســـبة الحكام لولاتهم وعمالهم، إلا أنها لم تعرف عملية تقديم الدنوش بتلك الصورة المعروفة عليها.

ثانـــيا-لم يرد في المصادر متى ظهرت عملية تقديم الدنوش، وأصبحت تقليدا متعارفا عليه فـــي الإدارة العثمانـــية بالجزائر، وهل ظهرت عندما أسس حسن بن خير الدين المقاطعات الثلاث: بايلك الشرق، الغرب والتيطري، وعين البايات عليها، أم أن ظهورها تأخر إلى فترة لاحقة؟

ثالـــثا-قـــيمة الدنوش أو العوائد التي يقدمها البايات إلى الباشا بالجزائر لم تكن متساوية من حيـــث القـــيمة النقدية أو نوعية البضائع والمنتجات، فنجد أن ما يقدمه باي قسنطينة أكبر مما يقدمه باقـــي الـــبايات، وأن بـــاي التـــيطري هو أقلهم عوائد، وهذا نظرا لمميزات كل بايلك ومدى اتساع مســـاحته وعـــدد ســـكانه، كمـــا أن هـــذه الأموال النقدية والعينية تميزت بالتنوع من حيث الكمية والنوعية،فهـــي تعطـــي لنا صورة عن نوعية العملات المتداولة، وأنواع المنتجات التي ينتجها كل بـــايلك وأســـعارها في تلك الفترة، ومنه يمكننا أن نستنتج سنوات الرخاء والأزمات الاقتصادية التي يعرفها البايلك.

رابعا-اتخذت المحلة خلال جمعها للضرائب لتقديم عوائد الدنوش، شكل السلطة المتنقلة في بحـــثها المتواصل عن الشرعية داخل محيط اجتماعي يتمثل في القبيلة، لكن سرعان ما أصبحت إلى جانـــب ذلك عبارة عن جولة سنوية تتم فيها عملية الجباية والرقابة من جهة، والزجر والتأديب من جهـــة ثانـــية، لكـــن العلاقة القائمة بين البايلك وأصحاب النفوذ داخله من شيوخ وقياد تتغير بتغير الظـــروف، فأحيانا الشيوخ والقياد هم الذين يسعون لكسب رضا الباي، وأحيانا أخرى الباي هو الذي

يســعى لإرضـــاء المتنفذين داخل بايلكه، ويخضع هذا الامر لتغير موازين القوى من طرف لأخر، فـيكون أحـيانا إلـى صـف الباي، و أحيانا أخرى إلى جانب هؤلاء الشيوخ والقياد، وفي كل مرة يستغلها كل طرف لكسب ما يريد، إما أموال عينية و نقدية وهدايا، أو ولاء وطاعة.

خامسا-نجـد أن المراسـيم والتشريفات المصاحبة لعملية تقديم الدنوش إلى الجزائر، وما يتبعها من توزيع للهبات والهدايا، وحصول الباي على قفطان التعيين، مستمدة من التقاليد المتبعة في الإدارة العثمانية بدءا من الباب العالي، فباشوات الجزائر عندما يرسلون الهدايا إلى إسطنبول، يسير الوفد المرافق لها وفق مراسيم مشابهة لمراسيم الدنوش، فهناك دائما مراسيم ثابتة: إشعار واستئذان، استقبال وإكرام، تبادل للزيارات، وتوزيع للهدايا.

سادسـا -مستوى ما يقدمه البايات الثلاثة من عوائد وضرائب إلى الخزينة العامة له دور كبير في كسـب رضـا أو سـخط الباشا، فإما إعادة تجديد الولاية لهم بمنحهم قفطان التولية وإما العزل عن المنصـب أو القـتل، لكـنها ليست بالضرورة قاعدة ثابتة، فقد يخضع تجديد الولاية للباي أو عزله لأسباب أخرى لا تتعلق بقيمة الدنوش، لكن الزيارة الدورية التي يقوم بها الباي كل ثلاث سنوات إلى الجزائـر، لها دور كبير في تحقيق وحدة الإيالة وضمان عدم استقلال المقاطعات عن دار السلطان وتبعـية الـبايات للسلطة المركزية، عن طريق المحاسبة الدورية لهم، وفي ذلك ترسيخ للولاء بين سلطة البايلك والسلطة المركزية، وفيه تجسيد للامركزية الإدارية.

وفـي الأخـير، لا يمكننـي القول أن ما توصلت إليه من استنتاجات من خلال هذا البحث هوإجابات قاطعة للتساؤلات التي طرحتها، وأن البحث في هذا الموضوع استوفى حقه من الدراسة، بل على العكس لقد وقفت في الكثير من الأحيان عاجزة على الإجابة عن بعض التساؤلات، وتركت البعض منها علامات استفهام، لعدم توفر المصادر والمراجع التي تعينني على الإجابة عليها.

فمـا زالـت الفترة التي أصبحت فيها عملية تقديم الدنوش تقليدا متعارفا عليه داخل الإدارة العثمانـية فـي الجزائـر غـير معـروفة لدينا، حيث أننا لم نتوصل ما إذا كانت بدأت مع تأسيس المقاطعـات الـثلاث وتعين البايات عليها، أم تأخر ذلك إلى فترة لاحقة؟ فيمكن دعم هذا الموضوع بمعلومـات جديـدة تجيـب عن هذه الإشكالية، إذا تمت الاستعانة فيها بما هو موجود في الأرشيف المتعلق بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني المتواجد في تركيا وفرنسا وتونس.

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحـــق رقم (01): خريطة توضح الطرق السلطانية في الجزائر خلال العهد العثماني.

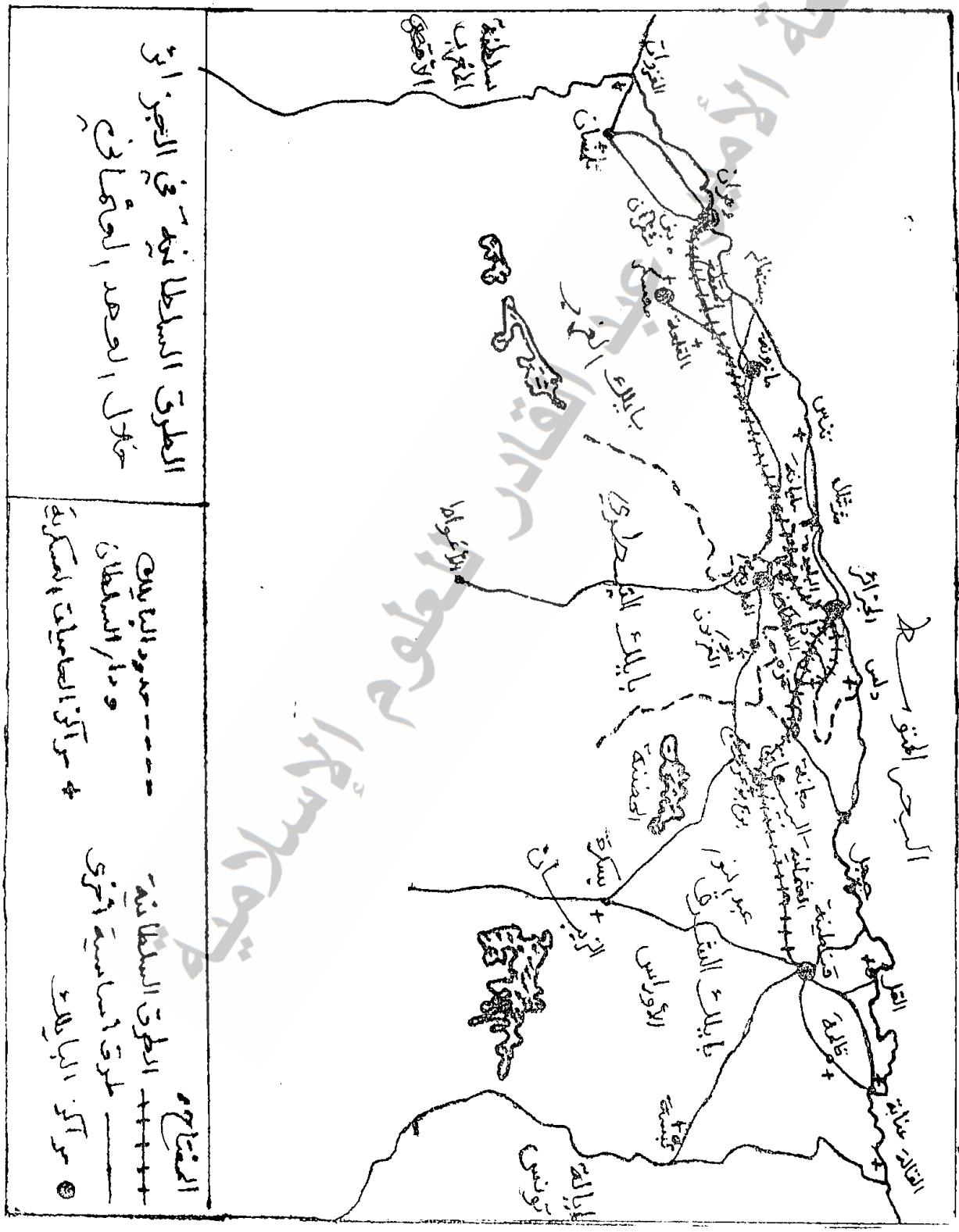

خريطة منقولة عن سعيدوني: النظام المالي، ص 262 مع إضافات شخصية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (02): رسالة من أحمد باي إلى وكيل الباستيون تتحدث عن توجه الباي إلى الجزائر لأداء الدنوش والاستقبال الذي حظي به.

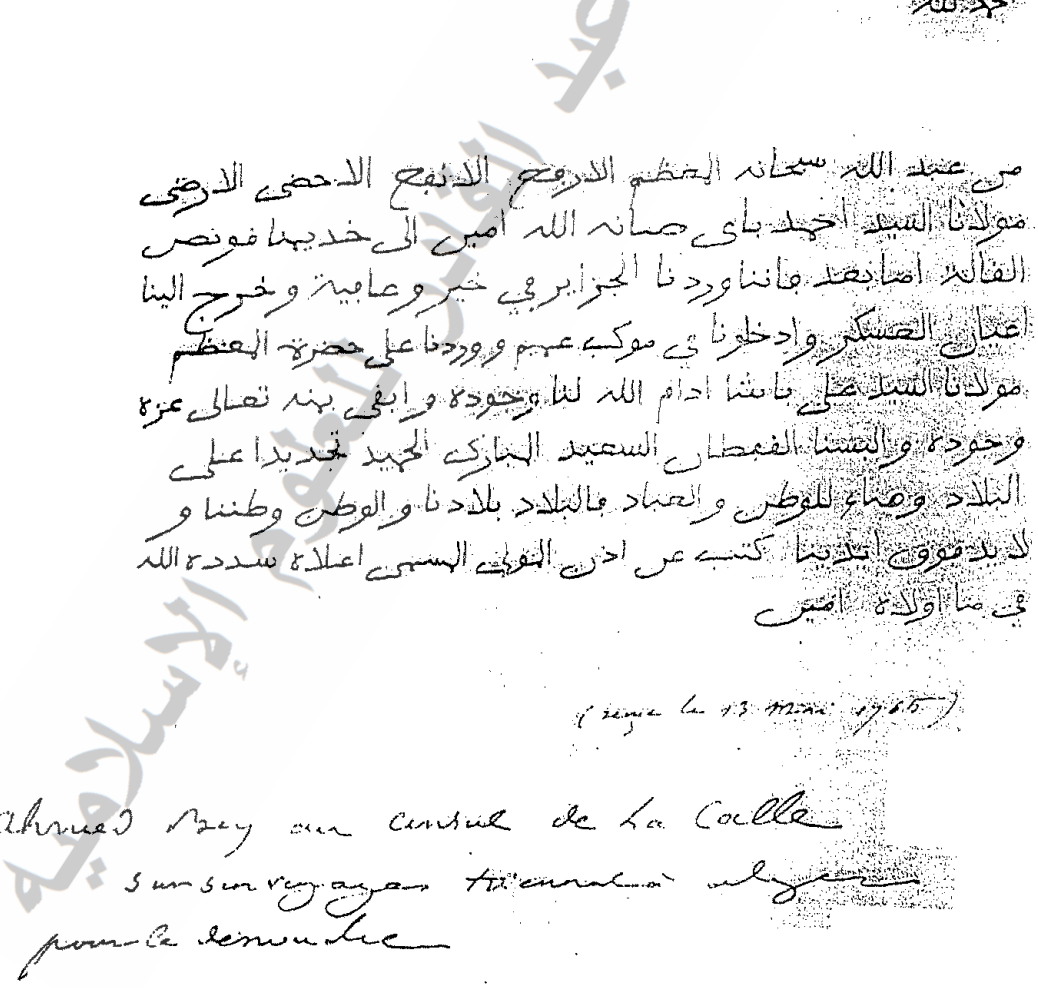

الحمد لله

من عبد الله سبحانه العظيم الارفع الانفع الاحظى الارضى
مولانا السيد احمد باى صانه الله اميين الى خديمنا فونص
القالة اصا بعد فاننا وردنا الجزاير في خير وعافية وخرج الينا
اعيان العسكر وادخلونا في موكب عظيم ووردنا على حضرة المعظم
مولانا السيد علي باشا ادام الله لنا وجوده وابقى بهه تعالى عزه
وجوده واليسنا القبطان السعيد المبارك الحميد تجديدا على
البلاد وصفاء للوطن والعباد فالبلاد بلادنا والوطن وطننا و
لا بد من وقوع ابدينا كتبه عن اذن الفوقي المسمى اعلاه سدده الله
في ما اولاه امين

Ahmed Bey au Consul de la Calle
Sur son voyage à Alger pour
pour la demande

الحمد لله

مـــن عبد الله سبحانه المعظم الأرفع الأنفع الأحضى الأرضى مولانا السيد أحمد بـــاي صـــانه الله آميـــن إلى خديمنا قونص القالة أما بعد فإننا وردنا الجزاير في خير وعافـــية وخـــرج إليـــنا أعيان العسكر وأدخلونا في موكب عميم ووردنا على حضرة المعظم مولانا السيد علي باشا أدام الله لنا وجوده وأبقى بمنه تعالى عزه وجوده وألبسنا القفطـــان السعيد المبارك الحميد تجديدا على البلاد وهناء للوطن والعباد فالبلاد بلادنا والوطـــن وطنـــنا ولا يد فوق أيدينا كتب عن إذن المولى المسمى أعلاه سدده الله فيما أولاه آمين.

الملحـــق رقم (03): رسالة من مصطفى خليفة صالح باي قسنطينة إلى وكيل الباســتيون، تــتحدث عن توجه الخليفة إلى الجزائر لأداء الدنوش والاستقبال الذي حظي به

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

BIBLIOTHEQUE ALGER

الحمد لله
من عبد الله سبحانه السيد مصطفى الخليفة الى خديمنا نبطان
البستيون السلام على من اتبع الهدى اما بعد خديمنا باننا بلغنا
بحروسة الجزاير في خير وعافية وخرجوا لنا ارباب الدولة
السعيدة على وجه الملاقات ثم وردنا على حضرة العظم
السيد محمد باشا الدولاتلي فبرح بنا مرحا شديدا و
وعظم قدرنا ورفع شاننا كل ذلك من فضل الله والحرمة
السيد صالح باي بالبلاد بلاده والوطن وطنه ولا يدفوف
يده وعرفناكم بذلك لا لتاخذوا حضكم معنا من الفرح
والسرور من السيد مصطفى الخليفة وفقه الله بمنه
وكرمه امين

Le Khalifa Mustapha au compte de Bastion
[illegible]

المصدر: الرسالة رقم 63 المجموعة 1641، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر

الحمد لله

مـــن عبد الله سبحانه السيد مصطفى الخليفة إلى خديمنا قبطان البستيون السلام علـــى مـــن اتـــبع الهدى أما بعد خديمنا فإننا بلغنا بمحروسة الجزائر في خير وعافية وخـــرجوا لنا أرباب الدولة السعيدة على وجه الملاقات ثم وردنا على حضرة المعظم الســـيد محمد باشا الدولاتني ففرح بنا فرحا شديدا وعظم قدرنا ورفع شأننا كل ذلك من فضـــل الله و لحـــرمة الســـيد صالح باي فالبلاد بلاده والوطن وطنه ولا يد فوق يدع وعرفـــناكم بذلـــك لتأخذوا حضكم معنا من الفرح والسرور من السيد مصطفى الخليفة وفقه الله بمنه وكرمه آمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحـــق رقـــم (04): رسالة من صالح باي إلى وكيل الباستيون، تتحدث عن تمويل الباستيون بالقمح والشعير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض
جميع اموره اليه المعظم الارجح الهمام الانجح الصدر الوجيه
الامنح مولانا السيد صالح باي اعزه الله تعالى اميس الى خديمنا قبطان
الفاله السلام على من اتبع الهدى اما بعد فانه قد ورد علينا كتابك
وما عرفتنا فيه من احتياجكم لماية وخمسين قنطارا من القمح
لعولتكم وماية قنطارا من الشعير لعلوف دوابكم و ثيرانكم علماه
تعلم وان القمح كما تعلمون حال هذه السنة غالي عندنا و
سوم قنطار القمح وحمله من قسنطينة انعام بخمسة اثنين و
اربعين ريال غناي وهذا القدر كثير الذي تريدونه من القمح
والشعير ولو كان شي قليل زايد ناقص لاكن حيث كان مرادكم
في هذا القدر تبعثوا لنا من يتكلم معنا في السوم او تكتبوا
لنا بالسوم لاني جعلنا للقمح انما هو لاجل الجزاير ولذلك جعلناه
من قسنطينة الى عنابة وعلى هذا يكون عملكم وكتب عن اذن
المسمى اعلاه حام عزه وعلاه اميس اوايل ذي الحجة سنة ١١٩٢

(Reçue le 4 novembre 1778)

De la part du Bey Salah à l'agent de La Calle
affaire de grains

Reçu le 11 Moharram 1192 Vers la mi-Décembre 1778

المصدر: الرسالة رقم 68 المجموعة 1641، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

الحمـــد لله مـــن عـــبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع أموره إليه المعظم الأرفع الهمام الأنفع الصدر الوجيه الأمنع مولانا السيد صالح باي اعزه الله تعالى آمين إلى خدمينا قبطان القالة السلام على من اتبع الهدى اما بعد فإنه قد ورد علينا كتابك وما عرفتنا فيه من احتياجكم لماية وخمسين قفيزا من القمح لعولتكم وماية قفيزا من الشعير لعلف دوابكم وثـــيرانكم علمـــناه تعلم وان القمح تعلمون حال هذه السنة غالي عندنا وسوم قفيز القمح وحمله من قســـنطينة انقـــام بـــنحو اثنين وأربعين ريال (42) عنابي وهذا القدر كثير الذي تريدونه من القمح والشـــعير ولـــو كان شيء قليل زايد ناقص لكن حيث كان مرادكم في هذا القدر تبعثوا لنا من يتكلم معـــنا فـــي الســـوم أو تكتـــبوا لنا بالسوم لأن حملنا للقمح إنما هو لأجل الجزائر ولذلك حملناه من قسنطينة إلى عنابة وعلى هذا يكون عملكم وكتب عن إذن المسمى أعلاه دام عزه وعلاه آمين أوائل ذي الحجة سنة 1192.

الفهـــــارس

أولا: فهرس الأعلام

ثانيا: فهرس الأماكن

ثالثا: فهرس القبائل والجماعات والهيئات

رابعا: فهرس الألقاب والوظائف

خامسا: قائمة المصادر والمراجع

سادسا: فهرس الموضوعات

ملاحظة: هناك مجموعة من المصطلحات تكرر ذكرها في معظم صفحات البحث لم نذكرها ضمن الفهارس، وهي: الإيالة، البايلك، الجزائر، قسنطينة، الباي، الباشا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
-أ-	
أحمد بن الصخري بوعكاز	123
أحمد بوضربة	119
أحمد توفيق المدني	41
أحمد الشريف الزهار	21-25-40-42-46-55-56-57-59-65-73-82-94-96-108
أحمد القلي باي قسنطينة	102-113
أحمد المستظهر بالله (الخليفة العباسي)	45
أحمد المملوك باي	118-122
أروج بربروس	15-16-19-21-23
استرهازي Esterhazy	35-41-53
الأميري	25
أندري دوريا	15
-ب-	
بايسونال Payssonel	87
بوزيد المقراني	87-88
-ت-	
تيدنا Thédnat	35-52-55-58-59-64-70-81-82-85-91
-ج-	
جميلة معاشي	25
-ح-	
الحاج أحمد باي	61-63-66-65-102-118-119-122
الحاج بكير (خليفة باي قسنطينة)	88
حاج علي داي	102-123

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حسن بن خير الدين	121-27-24-23-22-20-19
الحسن بن عيسى الحسيني (الوالي بالمغرب)	45
حسن الوزان	111
حسين باشا	122-118-95-66
حسين بوكمية باي	48
حماد بن عبيد (أمير التنس)	27
حمدان خوجة	83-34-30-20
أبو حمو الثالث	16
ابن حيان	45
-خ-	
ابن خديجة باي الغرب	23
ابن خلدون	45
خليفة حماش	18
خير الدين بربروس	25-21-19-17-16-15
-د-	
دو بورمون De Bourmont	54
-ر-	
راينال Raynal	63
رجب باي التيطري	22
رجب باي قسنطينة	123
روزي Roset	64-60-56-55-52
-ز-	
زرق عينو باي قسنطينة	49
أبي زيان	16
-س-	
سالم التومي	16
سليم الأول	17
سليمان القانوني	26

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سي فرحات باي قسنطينة	48
-ش-	
شاو Shaw	57-56-55-52
الشريف بن الأحرش	66
-ص-	
صالح باي	119-103-102-101-65-64-51 120-
صالح رايس	26-23-19
-ع-	
أبو العباس أحمد بن القاضي	19
عبد العزيز العباسي	89
عبد الكريم الفقون	27
أبي عبد الله محمد (أمير تونس)	25
عثمان باي قسنطينة	89-27
ابن العطار (أحمد بن المبارك)	25
أبي علي الحسين بن عبد المؤمن (والي قرطبة)	44
علي شاوش داي	48
علي قاره يرغلي باي وهران	120
عمر آغا	124
عمر باشا	120
ابن عودة المزاري (الآغا إسماعيل)	60-35
-غ-	
غاليبير Galibert	24
-ف-	
فاطمة الزهراء قشي	106-94
فايسات Vayssettes	109-37
فونتير دو بارادي Venture De Paradis	68-65-63-59-52-51-50-29

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ق-	
أبو القاسم سعد الله	18
القديس يوحنا	87
-ك-	
كاثارت	59-55-52-31
-ل-	
لوجي دو طاسي L. De Tassy	56-55-52
-م-	
محمد الصالح العنتري	67-66-63-50-49-48-25
محمد الصغير بوكابوس باي وهران	124-123
محمد الكبير	120-102-86-82-64-51
محمد بن فرحات باي قسنطينة	48
محمد بن يوسف الزياني	108
محمد عثمان باشا	101-64
محمد مانيماني	119-118
محمد ﷺ	101-99
محي الدين المسراتي	40
مصطفى الوزناجي باي قسنطينة	88
مصطفى بوشلاغم باي الغرب	40-23
مصطفى بومزراق باي التيطري	85
مصطفى خليفة صالح باي	101
أبو موسى الأشعري	99
مولاي الحسن بن عبد الله بن محمد الثاني	23
مولاي سليمان سلطان المغرب	123
مولاي عبد الله (الأمير الزياني)	16
-ن-	
ناصر الدين سعيدوني	64-57-41-34-26
الناصر لدين الله (الخليفة الأموي بالأندلس)	45

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-هـ-	
أم هاني بنت رجب باي	123
هايدو Haydo	25
-و-	
وارني	61
الورثيلاني	61
ويليام شالر	-55-54-30-28-22-60-52-17 86-84
-ي-	
يوسف بن تاشفين	45
يوسف بن عبد المؤمن (الخليفة الموحدي)	44

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأمـــــاكن

الأمـــــاكن	الصفحة
-أ-	
أبواب الحديد	76-75-74
أحواض عين السلطان	74
الأربعاء	78
إسبانيا	124-56-55-14
الإستانة	121
إسطنبول	127-108-89-49-47-28-21
الأماكن المقدسة	17
أمريكا	31
الأندلس	45-44-15
أودية الحراش	74
الأوراس	123-68-66-61
أوربا الغربية	63
أوطان دار السلطان	96-54-53-52-31-21
أولاد سيدي عبيدي	74
أولاد سيدي يحي بوطالب	62
إيغرغر	24
-ب-	
بئر البقرات	74
الباب العالي	127-121-123-93-47
باب عزون	77-74
البابور	62
الباستيون	113-102-101-65
بجاية	15-14
البحر المتوسط	22-17-16

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البرتغال	56
برج بوحلوان	78-77
برج بوعريريج	74-73
برج بوغني	75
برج حمزة	75-74-73-24
برج زمورة	73
برج سباو	95-75
برج مجانة	75-74-73
برج منايل	75
البرواقية	78
بريطانيا	87
بلاد الشام	17
بلزمة	123-61
البليدة	16
بني جعاد	74
بني خلفون	74
بني شقران	77
بني مصيرة	78
بوخرشفة	77
بوفاريك	106-98-96-74
البيبان	88-87-74
-ت-	
تاشودة	74
تبسة	62
تقرت	24-14
تلمسان	123-109-72-24-23-19-16
تنس	23-21-16

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تونس	123-79-56-25-15
التيطري	19-21-22-23-24-25-40- 52-53-56-60-74-77-83- 85-108-126
-ث-	
ثنية بني عائشة	75
-ج-	
جبال الأطلس	75
جبال عمال (بوزقزة)	74
جبل دوي	77
جديوية	77
جرجرة	24-66
جيجل	15-16-62
-ح-	
الحرمين الشريفين	17
الحضنة	14-68
حلق الوادي	15
حوش الغمري	77
حوش القايد	74
حوش باي الغرب	77
حوش باي قسنطينة	74
حوش واد سلامة	78
-خ-	
الخربة	74
خميس الخشنة	74
-د-	
دار الإمارة	103-108-109-113
دار السلطان	19-20-21-22-40-42-74-

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	76-79-80-93-94-97-99- 101-102-114-122-123- 124-126-127
الدانمارك	87
دلس	16
الدول الأوربية	28-33-70-112
الدولة الحفصية	22-37-43
الدولة السعدية	19
الدولة العثمانية	17-18-26
دولة المرابطين	44
الدولة الموحدية	43-44
دولة بني عبد الواد	23
الدويلات الإيطالية	55
دويلات المغرب	44-45
-ز-	
الزاب (الزيبان)	14-68
زبوش مولاي إسماعيل	77
زمالة	77
زمورة	62
-س-	
سطح المنصورة	26
سطيف	62-68-73-74
سكيكدة	62
سهول بني سليمان	75
سور الغزلان	75
السيق (المقطع)	77
-ش-	
شرشال	15

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشلف	23
-ص-	
الصحراء	122-118-86-69-68-22
الصومام	62
-ط-	
طبرقة	17
طرابلس	123
-ع-	
العفرون	77
العلمة	73
عنابة	67
عين الدفلة	77
عين الربط (ساحة أول ماي)	104-98-78-77-74
عين العظم	78
عين ترك	73
عيون الشعر	106-96-74
-ف-	
فاس	111-109-59
فحص الجزائر الجنوبي	77
فرنسا	56
فليسة	75
-ق-	
القالة	113
قالمة	68
قرطبة	44
القرقور	62
القرن الذهبي	97
قصور الجنينة	19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قلعة بينون	15
قنطرة الحراش	98-78-74
قنطرة الشلف	120
القيروان	72
-ك-	
الكرمة	77
-م-	
مازونة	83-77-23
متيجة	96-77-74-14-21
محطة البغدادي	77
محطة بني منصور	74
محطة بني هارون	74
محطة سيدي مبارك السماتي	74
المدية	83-78-72-68-21-20-16
مراكش	44
مرتفعات صماتة	78
مرتفعات معالو	74
مرتفعات موزاية	78
مرجة سيدي عابد	77
مرحلة الأربعطاش	74
المرسى الكبير	77-56-24-14
مستغانم	124-23
مستنقعات المقطع	77
مصر	17
معبر الهبرة	77
معسكر	72-70-64-59-35-24-20- 94-91-86-83-82-77-73- 124-96

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المغرب الأقصى	124-56-31-24-23-22
المغرب الأوسط	16-15-14
مقطع الرخام	74
ملیانة	120-77-16
موريطانيا السطايفية	72
موريطانيا القيصرية	72
ميناء القل	25
ميناء عنابة	68

-ن-

النمسا	56
نهر الرمل	24
نهر بوبراك	22
نهر مازافران	22
نهر ملوية	17
نهر هارون	73
نوميديا	72

-هـ-

الهضاب العليا	69-62

-و-

واد أولاد محمد	74
واد الحميز	74
واد الذهب	73
واد الزيتون	74
واد السمار	74
واد الشلف	78-77
واد العلايق	77
واد الفضة	77
واد يوفاريك	77

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

واد قدارة	74
واد هني	74
واد يسر	77-73
وادي الاخرة	78
وادي الأكحل	73
وادي الكرمة	78-77
وادي تليلات	77
وادي جر	78-77
وادي ريغ	68-24-14
وادي سلي	77
وادي سوف	123-68-66
وادي ملوان	78
ورقلة	24
وطن الجندل	78
وطن الحفص	21
وطن الخشّنة	74-21
وطن السبت	78-77-21
وطن بني خليل	21
وطن بني موسى	21
وطن يسر	21
الولايات العثمانية (الإيالات العثمانية)	126-56-46-43-20-19
الولايات المتحدة الأمريكية	87
ونوغة	75-24
وهران	120-83-77-73-24-23-14 124-123-

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: فهرس القبائل والجماعات والهيئات

القبائل والجماعات والهيئات	الصفحة
-أ-	
الأتراك	21-22-24-26-34-37-38
الأربعاء (قبيلة)	85
الأندلسيون	21-56
أولاد الحاج	88
أولاد القندوز	88
أولاد خلوف (قبيلة)	75
أولاد راشد (قبيلة)	90
أولاد سلام	62
أولاد عبد السلام	88
أولاد ماضي (قبيلة)	75
أولاد مختار الشراقة (قبيلة)	85
أولاد مقران	75-76-78-86-87-88-89-90
ابن الأبيض (أسرة)	36
ابن البجاوي (أسرة)	36
-ب-	
البربر	45
بن قانة (أسرة)	90
بني جلاب (إمارة)	14
بني عباس (قبائل)	75
بني مناصر (قبائل)	77
بني منان (قبائل)	77
بني منصور (قبيلة)	75
بني يزناسن (إمارة)	14
بوصلاح (قبيلة)	73

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بوعكاز (أسرة)	123
بوكتون (قبيلة)	90
-ث-	
الثعالبة (إمارة)	14
-ج-	
جبل كوكو (إمارة)	14
الجينويين	15
-ح-	
الحراكتة	62
حرشاوة (قبيلة)	73
الحضر	31
الحفصيون	126-79-44
حمزة (قبيلة)	75
الحنانشة	116-90-62
-د-	
الدوابر (قبائل)	123
-ذ-	
الذواودة (إمارة)	14
-ر-	
ريغة (قبائل)	77
-ز-	
الزمول (قبائل)	123-62
الزواتنة (قبيلة)	73
الزيانيون	126-79-44-43-37-23-22-21
-س-	
السقنية	62
سيدي موسى (قبيلة)	75

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ش-	
شطابة (قبائل)	62
-ص-	
الصحراوية (قبيلة)	73
-ع-	
العباسيون	45
عبد المؤمن (أسرة)	26
العثمانية (قبيلة)	73
العرب	31
العمامرة (قبائل)	62
-غ-	
الغرازلة الغربية (قبيلة)	73
-ف-	
الفاطميون	45
الفرنسيون	119
الفقون (أسرة)	26
فقيق (إمارة)	14
-ق-	
قرية دارية (قبيلة)	75
-ل-	
لعريب (قبيلة)	73
-م-	
المرابطون	44
المرينيون	126
مزيتة (قبيلة)	75
منصورة (قبيلة)	75
الموحدون	126-79-44
النمامشة	66-62-61
-هـ-	
هاشم (قبيلة)	73
-ي-	
اليهود	56-21

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: الوظائف والألقاب

الوظائف والألقاب	الصفحة
-أ-	
الآغا (الآغاوات)	18-30-34-35-49-82-83-124
آغا الدائرة	36
آغا العرب	21-31-32-49-74-96-97-98-99-100-104-106-107-108-110-
آغا المحلة	82
آغا النوبة	120
أمناء	33
أمير	16-21-44-45
أمير اللواء	20
أوضه باشي	82
-ب-	
الباش سايس	37
الباش سيار	37-96-98
الباش كاتب	36-108-110
باي البايات	21
البراح	101
بلوكباشي	82
بيت المالجي	30-32-110
البيلر باي	18-47
-ج-	
الجندي	28-29
-خ-	
الخدام	97-107

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخزناجي	30-31-32-35-36-99-100- 102-110-113
الخزندار	35-64-81-91-109-110
الخليفة	44-45
خليفة الباي	35-40-41-44-49-50-58-76- 78-80-81-82-88-95-101- 115-
خليفة الكرسي	35
الخواجة (الخواجات)	30-32-33
خوجة الباب	110
خوجة الخيل	30-31-32-99-100-108-110
-د-	
الداي (الدايات)	18-28-49
الدفتر دار (الكاتب الثاني)	33
-ر-	
رؤساء العشائر	37
رئيس الكتبة	33
الرقمجي (الكاتب الرابع)	33
-ز-	
الزرناجية	97-107
-س-	
السفراء	28
سقا باشي	83
السلطان	15-23-24-26-28-29-32-44- 45-46-87-90-97-108-123- 124-
-ش-	
شاويش الكرسي (شاوش العرش)	37

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشواش	110-108-107-83-49
شيخ أولاد مقران	90-87-76-75
شيخ البلد	36-29
شيخ الحنانشة	116
شيخ العرب	116-91
شيخ فرجيوة	90
الشيوخ	90-89-85-81-37-36-34-26 126-119-116-115-106-91-
شيوخ الزوايا	38
-ص-	
صاحب الشرطة	49
الصبايحية	110
-ط-	
الطباخين	110
الطبالين	107-97
-ع-	
عسجي باشي (رئيس الطباخين)	83
العلماء	29-28-26
-ف-	
الفقيه	17
-ق-	
قائد فرسان المخزن	36
قاض	115-32
قايد الدار	49-36
قايد الوطن	91
قايد سباو	95
قبجي باشي (مبعوث الدورة)	116
قناصل	31-29

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القياد	28-35-36-54-82-85-89-90-91-106-115-126
-ك-	
الكاتب (الكتاب)	49-96-108
كاتب ضبط	32
-م-	
الماريشال	54
المحتسب	49
مخازني	37-49
مرابط	38
مسجلون	32
المقاطعجي (الكاتب الأول)	33
ملك	111
موثق	32
-ن-	
النخوع (شيوخ القبائل)	82
نقيب الأشراف	36
-و-	
والي البلدة (ولاة)	27-44-46-48
وزراء الباب العالي	97
وزراء الديوان	72-93-100-102-103-104-105-108-110-117
وزير الحربية	31
وكيل الباستيون	65-101-113
وكيل الباي	98-103-104-109-110
وكيل الحرج	30-32-110
وكيل الحرج الصغير (الكاتب الثالث)	33

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا: قائمة المصادر والمراجع

1-من القرآن الكريم برواية حفص.

2-صـــحيح مسلم بشرح النووي، مج7، ج14، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م.

الوثائق غير المنشورة بأرشيف المكتبة الوطنية الجزائر.

1. المجموعة 1641، الرسالة رقم: 34-63-68.
2. المجموعة 3205، الملف الثالث، الرسالة رقم: 12-13.
3. المجموعة 3206، الملف الأول، الرسالة رقم: 7.

المصادر والمراجع باللغة العربية

1-المصادر:

1. أحمـــد (باي) وحمدان خوجة و بوضربة: مذكرات، تقديم وتحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.
2. ابـــن حـــيان: المقتـــبس في أخبار بلد الأندلس، تح: بيدرو شمنطار، ج5، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، الرباط، كلية الآداب، 1979م.
3. ابن العطار (أحمد بن المبارك): تاريخ قسنطينة، تحقيق رابح بونار، دت، دم.
4. ابـــن عـــودة المـــزاري (الأغـــا إسماعيل): طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإســـبانيا، وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
5. ابـــن مـــيمون الجزائـــري (محمد): التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمـــية، تقديـــم وتحقـــيق: محمد بن عبد الكريم، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
6. خوجـــة (حمدان بن عثمان): المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

7. الـــزهار(أحمـــد الشريف): نقيب أشراف الجزائر، مذكرات (1246/1168هـــ)، (1754-1830م)، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

8. الزيانـــي (محمد بن يوسف): دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

9. شـــالر (ولـــيام): مذكـــرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، 1816-1824، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

10. العنـــتري (محمد الصالح): تاريخ قسنطينة، تقديم يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

11. الفقون (عبد الكريم): منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

12. فـــون مالتســـان (هاينرش): ثلاثة سنوات في شمال غربي إفريقيا، ت: أبو العديد دودو، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

13. كاتكـــارت(جيمس ليندر): مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

14. الورثلانـــي (الحســـين بن محمد): نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار-الرحلة الورثلانية-، تحقيق: محمد بن أبي شنب، ط2، دار الكتاب العربي، لبنان، 1974.

15. الـــوزان (الحسن بن محمد الفاسي):وصـــف إفريقيا، ج1، تج: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

2-المراجع:

16. ألتر (عزيز ساح): الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، 1989.

17. بروشنفيك (روبار): تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ج2، ترجمة حمادي الساحلي، ط1،دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.

18. برينان (أندري) و نوشي (أندري) ولاكوست (إيف): **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ت: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

19. ابن عبد الكريم (محمد): **حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته**، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1982.

20. ابن علي شغيب (محمد المهدي): **أم الحواضر في الماضي والحاضر-تاريخ قسنطينة-** مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.

21. بوحوش (عمار): **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

22. بوعزيز (يحي): **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1999.

23. الدوري (عبد العزيز): **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، ط4، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1982.

24. الزبيري (محمد العربي): **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

25. سبنسر (وليام): **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

26. سعد الله (أبو قاسم) : **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

27. سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي): **الجزائر في التاريخ-العهد العثماني-**، ج4، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

28. سعيدوني (ناصر الدين): **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

29. سعيدوني (ناصر الدين): **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والحباية-الفترة الحديثة-**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.

30. سعيدوني (ناصر الدين): **ورقات جزائرية -دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

31. السوري (صلاح حسن): **الضرائب العثمانية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي في العهد العثماني الثاني، -مشاكل الضغط والتوتر-، ج1**، مؤتمر الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، 1986.

32. الشريف (محمد الهادي): **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، ت: محمد الشاوش، محمد عجينة، ط2، سراس للنشر، تونس، 1985.

33. عباد (صالح):**الجزائر خلال العهد التركي 1514-1830**،دار هومه للنشر والتوزيع،الجزائر،2005.

34. علي حسن (حسن): **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس -عصر المرابطين والموحدين-** ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.

35. عميراوي (احميدة): **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني -مذكرات تيدنا أنموذجا-**، دار الهدى، الجزائر، 2003.

36. المدني (أحمد توفيق): **حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

37. المدني (أحمد توفيق): **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

38. الميلي (مبارك بن محمد): **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

39. نصر الله (سعدون عباس): **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين امير المرابطين**، ط1، دار النهضة العربية، 1985.

40. يحيى (جلال): **المغرب الكبير -العصور الحديثة وهجوم الاستعمار-**، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981،

3-الرسائل الجامعية:

41. جلـــول (المكي): **مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من (631-1263هـ)، (1847/1234م)** رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993.

42. حمـــاش (خلـــيفة): **العلاقـــات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798إلى 1830**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1988.

43. دريـــاس (لخضر): **المدفعية الجزائرية في العهد العثماني**، شهادة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1990.

44. سيســـاوي (أحمد): **النظام الإداري لبايلك الشرق 1791-1830**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1987-1988.

45. سيســـاوي (أحمد): **فريدة مؤنسة في حال دخول الترك قسنطينة المشهور بتاريخ بايـــات قســـنطينة**، بحـــث مقدم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث ،جامعة قسنطينة ،1980ـــ1981.

46. غطـــاس(عائشة): **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694)**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1985.

47. فـــركوس (صـــالح): **بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير، 1779-1796م**، دبلوم الدراسات المعمقة ، جامعة قسنطينة،1979.

48. القشاعي(فلة): **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني، 1771-1837**،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1990.

49. قشـــي (فاطمة الزهراء): **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م)**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1998.

50. معاشي (جميلة): **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10 هـــ إلى القرن 13هـــ(16-19م)** دراسة اجتماعية سياسية، ماجستير في التاريخ الحديث جامعة قسنطينة، 1990-1991.

51. الوالـــيش (فتـــيحة): **الحياة الحضرية لبايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994.

4-المقالات:

52. بلحميســي (مــولاي):" الــثورة على الأتراك بالجزائر -شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر-"**مجلة الثقافة**، العدد48، الجزائر، 1978،ص ص35-51.

53. بلحميســي(مولاي):" مدينة المدية عبر العصور"، **مجلة الأصالة**، العدد2، الجزائر، 1971،ص ص135-143.

54. بوعزيــز(يحي):" الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن 19م"، **مجلة الثقافة**، العدد80،الجزائر، 1984،ص ص159-186.

55. التميمــي (عــبد الجلــيل):" أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول، سنة 1519"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد6، تونس، 1976،ص ص116-120

56. التميمــي (عبد المالك خلف):" ملامح الوضع الاقتصادي في المغرب العربي قبيل الاستعمار"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد29-30، تونس، 1983،ص ص109-124.

57. حمــاش (خلــيفة):"أهمــية المصــطلحات التركــية في دراسة التاريخ والحضارة الإســلامية"،**تحــية وتقديــر للأستاذ خليل الساحلي أوغلو**،ج1،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،زغوان،أكتوبر-نوفمبر1997،ص ص141-167.

58. الصفصافي (أحمد المرسي):" الدولة العثمانية والولايات العربية"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد30/29، تونس، 1983،ص ص323-343.

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية.

1-المراجع والمصادر:

59. Boyer (Pierre): **l'évolution de l'Algérie médiane (Ancien département d'Alger) de 1830, à, Libraire d'Amérique et d'orient**, Paris, 1960

60. Esterhazy (Walsin) : **Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Paris, Gesselin, 1840.

61. Merouche (Lemnouar) : **Recherche sur l'Algérie à l'époque Ottomane Monnaies, prix et revenue 1520-1830**,Edition Bouchene, Paris, 2002.

62. Nouschi (A): **Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquête jusqu'en 1919**, Paris, 1961.

63. Paradis (Venture De) : **Alger au 18 eme siècle**, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898. .

64. Vayssettes (Eugène), **Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837**, présentation de Ouarda Siari-Tengour, Editions Bouchene, Paris, 2002.

2-المقالات:

65. Federmann (Henri) et Aucapitaine (H) :« Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri », **R.A,** , N°=9.1865(pp280-302). N°=11.1867(pp289-301)

66. Féraud (Charles Louis)." Histoire des villes de Constantine Bordj Bouareredj",in **R.A.S.C**, Constantine, 1871.pp231.

67. Filali (Kamel) :" Le don épine dorsale du système Ottoman, Le cas de l'Algérie",in **Annals du laboratoire d'études et de recherches Maghreb-Méditéranée**, Vol5, Constantine, 2002.pp5-23.

68. Haedo (Diego De) :" Topographie et histoire générale d'Alger", traduit par : M.M Monnereau et A. Berbrugger, **R.A,** 1871.pp458-473.

69. Haédo (Fray diégo de) : « Histoire des Rois d'Alger » traduit par H.D De Grammont,in **R.A**, N°24, Année 1880.pp116-132.

القواميس:

70. ديـــران كلكـــيان: قـــاموس تركـــي فرنسي، مطبعة مهران، باب العالي، استنبول، 1329هـــ/1911م.

سادسا: فهرس الموضوعات

المقدمة.....2

الفصل الأول: التنظيم الإداري للجزائر خلال العهد العثماني

أولا: تأسيس إيالة الجزائر وظهور البايلكات الثلاثة.....14
1-دار السلطان.....21
2-بايلك التيطري.....21
3-بايلك الغرب.....22
4-بايلك الشرق.....24
ثانيا: الإدارة المركزية والمحلية.....27
1-الإدارة المركزية.....28
2-الإدارة المحلية.....34

الفصل الثاني: الدنوش ومكوناته

أولا: تعريف الدنوش.....40
ثانيا: أصل ممارسة الدنوش.....43
ثالثا: مكوناته.....50
1-الأموال النقدية (الكمية والعملات).....50
2-الأموال العينية (المنتجات والأسعار).....58

الفصل الثالث: الطريق السلطاني ومحلة الدنوش

أولا: الطريق السلطاني: خط سير البايات.....72
ثانيا: جمع الضرائب ومحلة الدنوش.....78

الفصل الرابع: مراسيم ورمزية تقديم الدنوش وتوزيع الهدايا

أولا: مراسيم الاستقبال والإقامة.....93
ثانيا: توزيع الهبات والهدايا.....105
ثالثا: قفطان التعيين: ولاء وولاية.....113

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة.....126
الملاحق.....128
الفهارس
أولا: فهرس الأعلام.....137
ثانيا: فهرس الأماكن.....142
ثالثا: فهرس القبائل والجماعات والهيئات.....150
رابعا: فهرس الألقاب والوظائف.....153
خامسا: قائمة المصادر والمراجع.....157
سادسا: فهرس الموضوعات.....164

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية